

د. عبد الحليم عويس

# بنو أمية في التاريخ

بين الضربات الخارجية والانهيار الداخلي

[دراسة حول سقوط دولة بني أمية في المشرق]



دار الكتاب الحديث











# بنو أمية فى التاريخ

بين الضربات الخارجية والانهيال الداخلي

{ دراسة حول سقوط دولة بني أمية فى المشرق }

الدكتور

عبد الحلیم عويس

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية

دار الكتاب الحديث



حقوق الطبع محفوظة  
1428 هـ / 2008 م

دارالكتاب الحديث

القاهرة	94 شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة ص.ب 7579 البريدي 11762 هاتف رقم : 22752990 (00 202) فاكس رقم : 22752992 (00 202) بريد إلكتروني : <b>dkh_cairo@yahoo.com</b>
لكويت	شارع الهلالي ، برج الصديق ص.ب : 22754 - 13088 الصفاة هاتف رقم 2460634 (00 965) فاكس رقم : 2460628 (00 965) بريد إلكتروني : <b>ktbhades@ncc.moc.kw</b>
لجزائر	B. P. No 061 - Draria Wilaya d'Alger- Lot C no 34 - Draria Tel&Fax(21)353055 Tel(21)354105 E-mail <b>dkhadith@hotmail.com</b>
رقم الإيداع	2007/20175
I.S.B.N	977-350-167 - 1

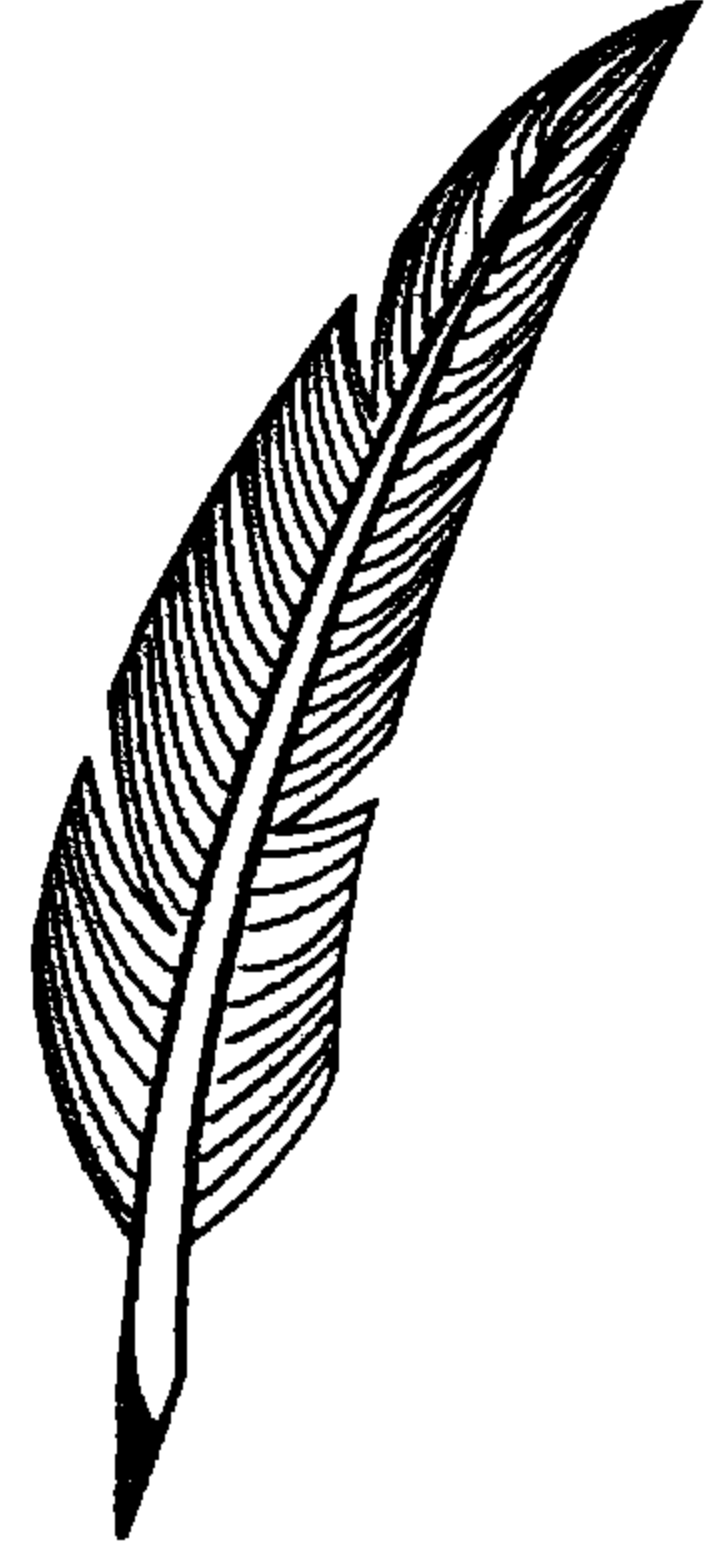


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

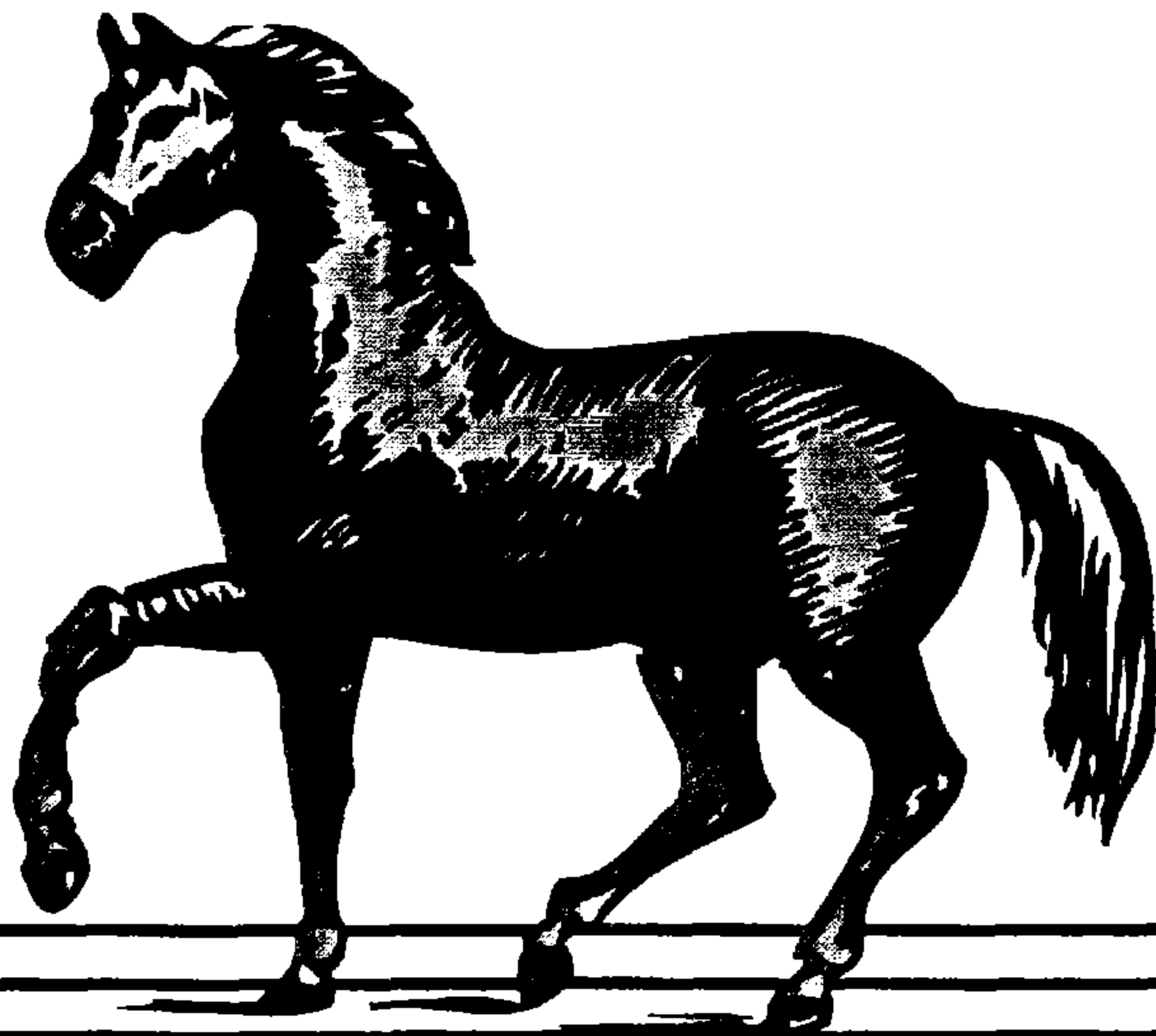








**بنو أمية  
والكتابات المتحيزة**









## توطئة

\*\*\*\*\*

قامت دولة بنى أمية فى المشرق عام الجماعة سنة 41هـ (661م) وعاشت تواجه عدداً من المشكلات حتى انتهت سنة (132هـ / 750م) ..

أسسها أموى هو معاوية بن أبى سفيان (41 - 60هـ) وسقطت - وهى لا تزال فتية - على عهد أموى آخر هو مروان بن محمد (127 - 132هـ).

ويكاد يجمع المؤرخون على أن مؤسس الدولة عظيم من عظماء العرب وداهية من داهياتهم .. ويكادون يجمعون كذلك على أن مروان بن محمد الذى سقطت الدولة فى عهده عظيم كذلك، وأنه - لولا تكالب عوامل السقوط وبزوغ دعوة آل العباس - لكان قادراً على قيادة السفينة، وأنه كان كفتاً بارعاً.

وبين هذين الرجلين العظيمين - مع اختلاف فى درجة العظمة بينهما - تتابع خلفاء بنى أمية الأربعة عشر .. فكان منهم عظماء كبار، وبناءة دول من طراز نادر، مثل: عبد الملك بن مروان (65 - 86هـ)، والوليد بن عبد الملك (86 - 96هـ)، وعمر بن عبد العزيز (99 - 101هـ)، وهشام بن عبد الملك (105 - 125هـ) ..

وتكاد فترة حكم هؤلاء الذين يكاد الإجماع ينعقد على عظمتهم - حتى من بعض خصومهم - تغطى ثلاثة أرباع الفترة الزمنية للحكم الأموى فى المشرق .. فهى بالتحديد تنتظم سبعة وسبعين سنة من حكم بنى أمية الذى يبلغ إحدى وتسعين سنة!! .

فلماذا سقطت هذه الدولة الشابة الفتية إذن؟

- إن هذا السؤال كان - وما زال - يلح على مؤرخى الإسلام، ولعله ليس من المبالغة القول: إن كثرة طرح السؤال فيما يتعلق بالدولة الأموية دليل - فى حد





ذاته - على نوع من الاندهاش والحيرة لدى جمهور المؤرخين إزاء هذا العمر القصير، والسقوط السريع لدولة الفتوحات العظيمة؛ التي حفلت بعظماء كبار من طراز معاوية وعبد الملك وعمر بن عبد العزيز!!

إن أية مقارنة تاريخية بين شخصيات الدولة وأعمالها، شخصيات عدد من الدول التي طال عمرها أضعاف الدولة الأموية وأعمالها - كذلك - سوف تكشف لنا أن الأمويين لم يكونوا أقل من غيرهم، إن لم يكونوا أفضل منهم، سواء في نوعية الشخصيات الحاكمة، وإمكاناتهم الخلقية والنفسية والفكرية والتزامهم بالإسلام، أم في الأعمال العامة الحربية والسلمية التي قامت بها كل دولة من هذه الدول.

فالفاطيون - كمثال - كان حكامهم في المغرب أربعة عشر خليفة، وهو نفس عدد خلفاء بني أمية، وقد كانت صراعاتهم في أغلبها مع المسلمين، وكانت امتداداتهم الحربية على الأرض الإسلامية نفسها، وإنه لمن التجاوز مقارنة شخصيات خلفائهم - من ناحية أعمالها الخارجية والداخلية والتزامها بالإسلام<sup>(1)</sup> - بخلفاء بني أمية، وبالأعمال التي قام بها بنو أمية في الداخل والخارج. . . ومع ذلك فقد عاش الفاطميون يحكمون مصر أكثر من قرنين (358 - 567هـ)!! وحكموا المغرب أكثر من ستين سنة. . .

فكيف وقع هذا التفاوت بين عُمر الأمويين والفاطميين مع ما تميز به كل منهم؟!؟

---

(1) انظر في هذا السبيل: القاضي النعمان: رسالة افتتاح الدعوة، ص1-3، وما بعدها، بتحقيق فرحات الدشراوي، طبع بتونس، وانظر ابن قاضي شعبة: الكواكب الدرية في السيرة النبوية، تحقيق محمود زايد، ص: 207، وما بعدها، طبع بيروت 1971م، وانظر ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، طبع الرياض، ص: 15، وما بعدها، وانظر عبد الحلیم عويس: قضية نسب الفاطميين أمام منهج النقد التاريخي - نشر دار الصحوة بالقاهرة، ط 1985م.





إنه ل يبدو لى - ك فرضية أطرحها فى باب تفسير التاريخ - أنه لا تطابق بالضرورة بين أعمال الدول وبين عظمتها... وإن سقوط الأمويين السريع ليس دليلاً على عدم جدارتهم، كما أن امتداد أعمار بعض الدول ليس دليلاً - بالضرورة - على أهليتها للبقاء...!!

وربما يرى كثير من دارسى التاريخ أن ميزان الأمويين فى التاريخ - على قصر عمرهم - لا يقل عن ميزان العباسيين مع طول عمرهم (132 - 656هـ)!!  
وبالتالى فإننا يجب أن نبحث عن الأسباب الحقيقية التى أودت ببني أمية، دون أن نحمل أفكاراً ثابتة مسبقة ضدهم، أو أن نكون قد تأثرنا بتلك الكتابات الشائعة التى ذهبت تعالج تاريخ بني أمية، وهى منتمة أصلاً لموقف فكرى عقدى أو سياسى أو عاطفى مناهض لهم!!

فى البداية أحب أن أقول: إن المؤرخ الموضوعى هو (محام) عن الحقائق التى ينتهى إليها من خلال معاشته للوقائع وفحصها...

وحتى لو كان دفاعه حاراً، فهذا لا يؤخذ عليه (من ناحية المبدأ) لا سيما بالنسبة لقوم كبنى أمية ظل تاريخهم هدفاً للتجنى والافتراء والازدراء خلال القرون الخمسة التالية لسقوطهم على الأقل، وهى قرون خصومهم العباسيين.. كما ظل تاريخهم هدفاً للغمط والازدراء من الفاطميين ومن آل البيت والهاشميين ومن الخوارج ومن بني بويه ومن عملائهم المأجورين كآبى الفرج الأصفهاني صاحب كتاب (الأغانى) وغيرهم.....

فإذا جاءت مدرسة تاريخية معاصرة - على هذا النحو - تكشف اللثام عن هذا الظلم، وتقدم للأمة الصفحة الحقيقية - بكل ألوانها وأطيافها - لدولة إسلامية لم تعش إلا تسعين عاماً [وهو ما يساوى أعمار ثلاثة حكام من الجبارين المعاصرين الذين دمروا كل شىء إيجابى فى أوطانهم المحدودة!!] [وبالمناسبة فإن المستنصر الفاطمى الذى أكلت مصر فى عهده لحوم الكلاب والحمير وبيعت لحومها فى





الأسواق حكم ستين سنة!!][<sup>(1)</sup>... ومع ذلك استطاعت هذه الدولة (الأموية) - في هذا الزمن الوجيه - أن تفتح معظم بلاد العالم القديم، وتفتح أبواب القسطنطينية، وتسيطر على البحر المتوسط الذي كان بحيرة رومانية، وتقضى على البيزنطيين في الشمال الإفريقي الذي عجز من كانوا قبلها عن فتحه، وتفتح الأندلس حتى ما وراء جبال البرانس، وتتوغل في الهند الشمالية، وتسيطر على منطقة ما وراء النهر، وتزحف على آسيا الوسطى وغيرها.

إذا جاءت مدرسة تفعل هذا دون أن تخفى الأخطاء... فهل تلام هذه المدرسة (وأنا واحد منها)؟ وهل تستحق أن يقال عنها كما قال عنى الشيخ (القرضاوى): (إننى أغالى غلواً غير مقبول، وأنصبُ نفسى محامياً عن تاريخ بنى أمية كله بأخطائه وخطاياها)<sup>(2)</sup>؟!

إننى لا أعتقد أنى - وهذه المدرسة - نستحق اللوم أو نستحق هذه الصفات (فحاشا لله أن ندافع عن الأخطاء والخطايا)؛ بل إننى أعتقد أن هذا الموقف الذى نتبناه إنصاف جاء متأخراً عدة قرون لبعض صفحات (تاريخنا المفترى عليه!!).

لنتذكر هنا ما يقوله العقاد:

حق الأمانة على المؤرخ فى هذه المرحلة من التاريخ الإسلامى أن يراجع بينه وبين ضميره طائفة من الحقائق البديهية، قبل أن يستقيم له الميزان الصادق لتقدير الرجال بأقدارهم وتقويم المناقب والمآثم بقيمتها.

ومن الحقائق البديهية تواطؤ الزمن على إقرار ما قيل وتكرر، وطال وقوعه فى الأسماع، حتى لتكاد تنفر من تغييره لو عرض لها شىء من التغيير، وحتى

(1) انظر: المقرئى: إغاة الأمة بكشف الغمة، ص: 23 وما بعدها، القاهرة، دار ابن الوليد، بدون تاريخ.. وراجع كذلك، د/ أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية فى مصر، ص: 204، 205، الدار المصرية اللبنانية، ط / الثانية - (2000م).

(2) د/ يوسف القرضاوى: تاريخنا المفترى عليه، ص 289، القاهرة، دار الشروق، ط / الأولى (1425هـ / 2005م).





لتكاد تعجز عن النفاذ إلى الحقيقة لو رغبت في ذلك التغيير لسبب من الأسباب،  
وقلما تعرض هذه الأسباب لمن لا يعينهم تمحيص ما يقال في الساعة الراهنة،  
فضلاً عما يقال ويعاد منه مئات السنين<sup>(1)</sup>.

\*\*\*

ومن الجدير بالذكر - أيضاً - في هذا المقام - أن الموارد العاطفية لا تحكم  
وقائع التاريخ، وبالتالي فالقول بأن المسلمين جميعاً - كما يقول البعض - يتحيزون  
للإمام عليّ وذريته هو قول صحيح إذا كان التحيز دينياً وعاطفياً، ونحن مع  
المسلمين جميعاً في هذا، فنحن نحب آل البيت أكبر من معاوية والأمويين مئات  
المرات...

لكنّ هذا الحب الديني والوجداني لا يمنعنا (ما دنا في مقام الإنصاف  
التاريخي) أن نحكم بالعقل المجرد، وبالمنهج الموضوعي المحايد، كما يحكم  
القاضي العادل على أقربائه لحساب أعدائهم (اعدلوا ولو كان ذا قربى).

\*\*\*

---

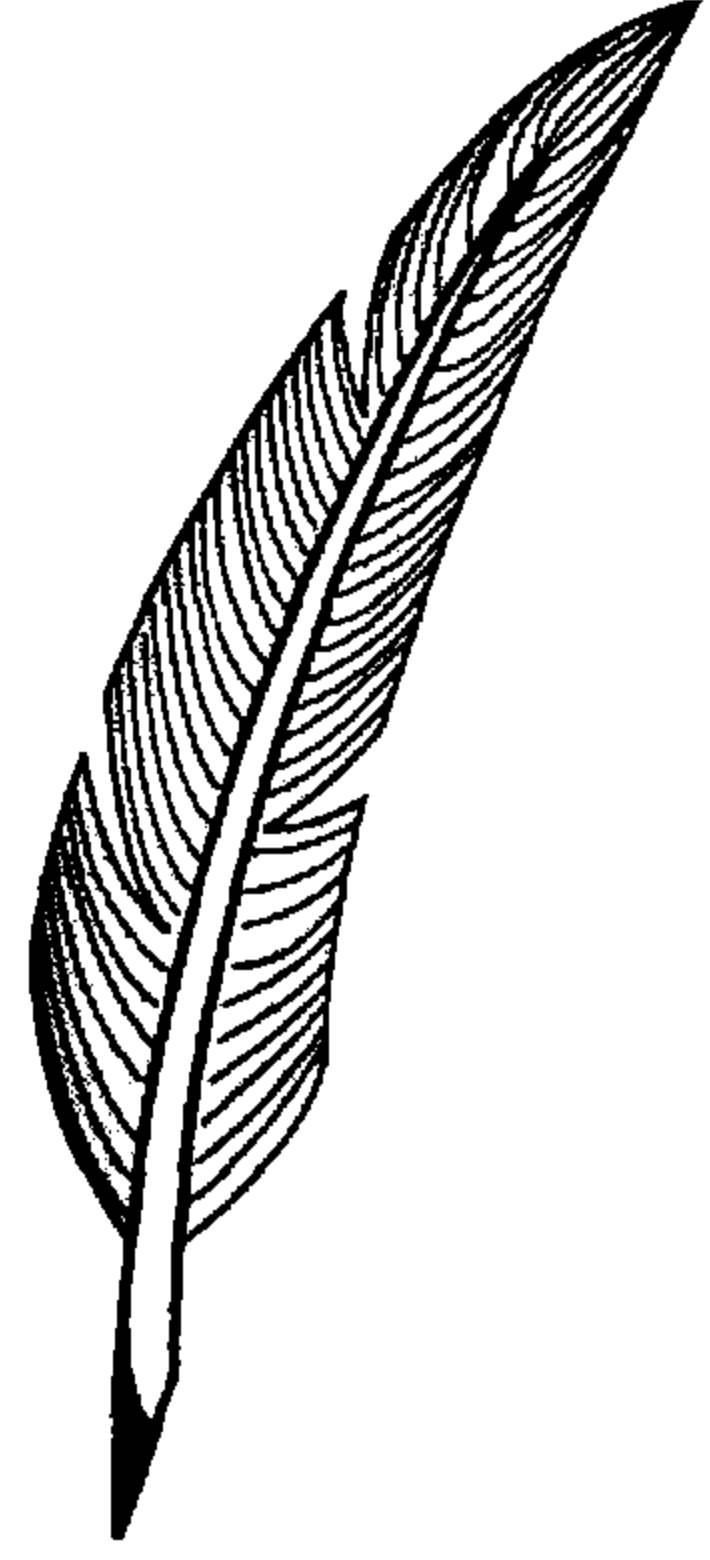
(1) العقاد: معاوية، ص 325، دار الكتاب اللبناني، ط / 1، 1974م.



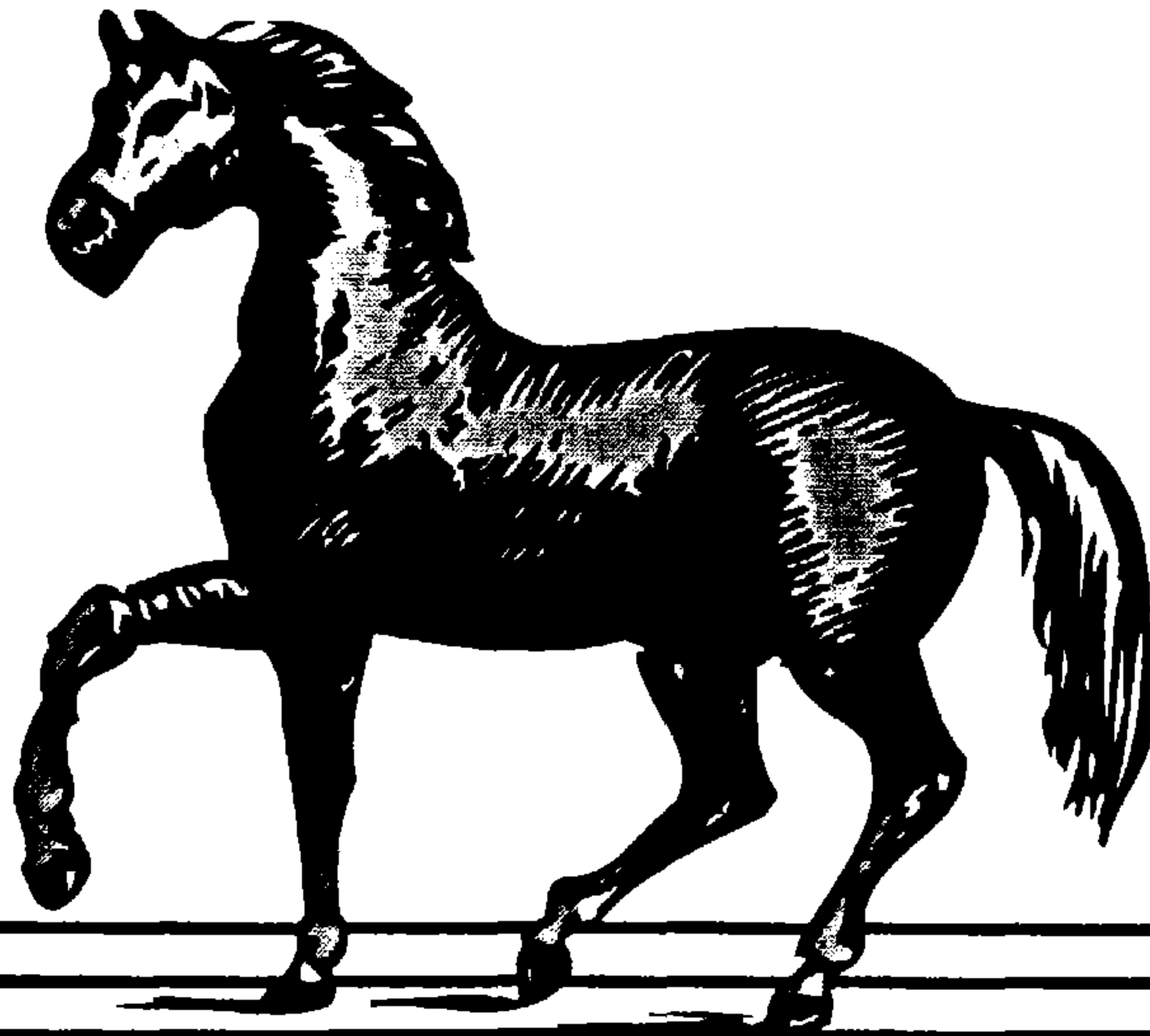








**بنو أمية**  
**والأحكام العاطفية**









إن كتابات مثل كتابات يوليوس فلهوزن عن (تاريخ الدولة العربية - من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية)، وكتابات فان فلوتن عن (السيادة العربية والشيعية والإسرائيليات في عهد بني أمية) وكتابات عبد الرزاق الأنباري عن (تاريخ الدولة العربية) قد دخلت باب الكتابة عن الأمويين، وهي تحمل أفكاراً مسبقة، ولعل الإصرار على استعمال مصطلحي (الدولة العربية، والسيادة العربية) يحمل حكماً مسبقاً على الأمويين بأنهم كانوا ذوى نزعة عربية متعصبة!! أو على الأقل كأن الأمر انتقل من دولة راشدية إسلامية عامة إلى دولة تحكم لصالح العرب وحدهم!!

على أن بعض المصادر التاريخية لم تخل من هذا الموقف العقدي أو العاطفي المسبق، ولعل هذه المصادر هي المسئولة عن كثير من التشويهات التي لحقت بتاريخ بني أمية.

فكتاب الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة (276هـ) كتاب ملئ بالفرائب فيما يتعلق ببني أمية، وصاحبه متحيز ضدهم، وهو لا يذكر لنا مصادره ولا سلسلة روايته<sup>(1)</sup>، والذين درسوا حياة ابن قتيبة يتشككون في نسبة الكتاب إليه؛ لأن ابن قتيبة أديب أكثر منه مؤرخاً. . كما أنه كان أميناً في ترجماته التي وردت في كتابه (المعارف) لبعض شخصيات العصر الأموي، وهو ما يتناقض مع ما أورده - إذا صححت نسبته إليه - في كتاب الإمامة والسياسة. . فالكتاب فضلاً عن كونه مشكوك النسبة إلى صاحبه لم يوثق رواياته.

---

(1) انظر عبد الرزاق الأنباري: تاريخ الدولة العربية العصر الراشدي والأموي، طبع بغداد، 1406هـ ص(ح)، وانظر: سيده إسماعيل كاشف: مصادر التاريخ الإسلامي، مكتبة الخانجي، 1396هـ، ص33.





ومن معاصري ابن قتيبة الذين كان لهم موقف عقدي وعاطفي مسبق من الأمويين أحمد ابن أبي يعقوب المعروف باليعقوبي المتوفى سنة (284هـ/798م) . . . فقد اشتهر اليعقوبي بميوله العلوية<sup>(1)</sup>، وقد ألف تاريخه المعروف بتاريخ اليعقوبي، وأظهر تعصباً ضد بني أمية على امتداد صفحات الكتاب.

وكان أبو حنيفة الدينوري المتوفى سنة (282هـ) والمعاصر لابن قتيبة واليعقوبي من المتعصبين للموالي ضد العرب؛ ولهذا فقد كثرت الروايات الضعيفة عنده، ولم يأت بأسانيد لرواياته، فكانت رواياته غير دقيقة ومضللة في كثير من الأحيان<sup>(2)</sup>.

كما أن مؤرخنا الكبير الرحالة أبا الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفى سنة (346هـ) صاحب كتابي "مروج الذهب"، و"التنبيه والإشراف" دخل إلى مجال التاريخ الأموي وهو يحمل - سلفاً - تحيزاً مسبقاً ضد معاوية في صراعه مع علي بن أبي طالب، واضطراباً فيما يرويه عن يزيد بن معاوية، وعدم رضا وقبول لشخصية عبد الله بن الزبير، وتناقضاً في كلامه عن عبد الملك بن مروان، وظلماً وإجحافاً ومبالغةً وجموحاً فيما سطره عن الحجاج الثقفي<sup>(3)</sup>، وبصفة إجمالية أثرت نزعة المسعودي الشيعية على كتاباته عن تاريخ الخلفاء الراشدين والأمويين، ولم يستطع أن يكتب تاريخاً مجرداً من الهوى<sup>(4)</sup>، وقد رفض اليعقوبي والمسعودي - كموقف مبدئي - الاعتراف ببني أمية - كخلفاء

---

(1) انظر: سيدة كاشف: المرجع السابق، ص 33. وانظر عبد الرزاق الأنباري: المرجع السابق، ص (خ).

(2) عبد الرزاق الأنباري: المرجع السابق، هامش (3).

(3) انظر سليمان السويكت: منهج المسعودي في كتابة التاريخ (رسالة دكتوراه) السعوية، الطبعة الأولى، 1407هـ صفحات 362 إلى 367.

(4) المرجع السابق، ص 367، وانظر عبد الرزاق الأنباري: تاريخ الدولة العربية العصر الراشدي والأموي، طبع بغداد، 1406هـ، ص (ر المقدمة).





- وكانا يتحدثان عن تاريخ خلفاء بني أمية تحت عنوان (أيام... ) فيقولان: أيام عبد الملك بن مروان<sup>(1)</sup> وهكذا في بقية الخلفاء، وهو ما يعكس موقفًا ثابتًا مسبقًا - كما ذكرنا - !!

فإذا أضفنا إلى هذه المصادر التاريخية ذات الموقف العقدي والعاطفي المسبق تلك الكتب الأدبية التي اعتمدها بعضهم - دون حذر وتمحيص -<sup>(2)</sup> مصادر تاريخية، وكان أصحابها من أصحاب الميول العلوية وكانوا من هواة جمع المعلومات ذات الطابع القصصي المثير، دون أن يتثبتوا من صحتها رواية ودراية... إذا أضفنا هذه الكتب - وعلى رأسها كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه المتوفى سنة (349هـ) وكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني المتوفى سنة 356هـ<sup>(3)</sup>، والكامل للمبرد المتوفى سنة 385هـ، فإننا سندرك أثر ذلك الحاجز السميك الذي حال دون الوصول إلى كثير من الحقائق المتصلة بتاريخ بني أمية في المشرق!!.

\*\*\*

---

(1) انظر - مثلاً - المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الثالث، صفحات 49،

65، 82، 99، وغيرها، طبعة دار الفكر بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، وانظر

عبد الرزاق الأنباري مرجع سابق، ص (خ).

(2) عبد الرزاق الأنباري: المرجع السابق، ص (ر).

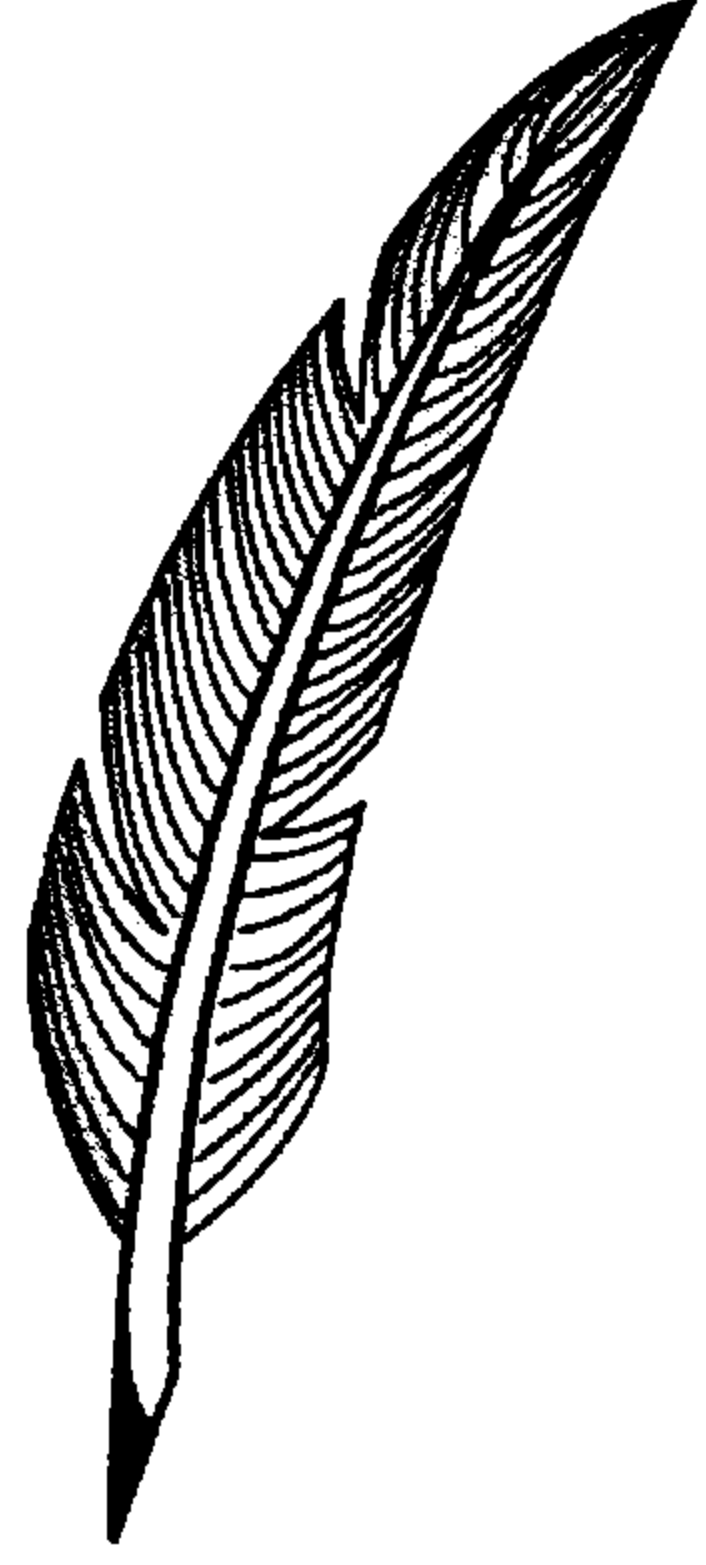
(3) السابق.



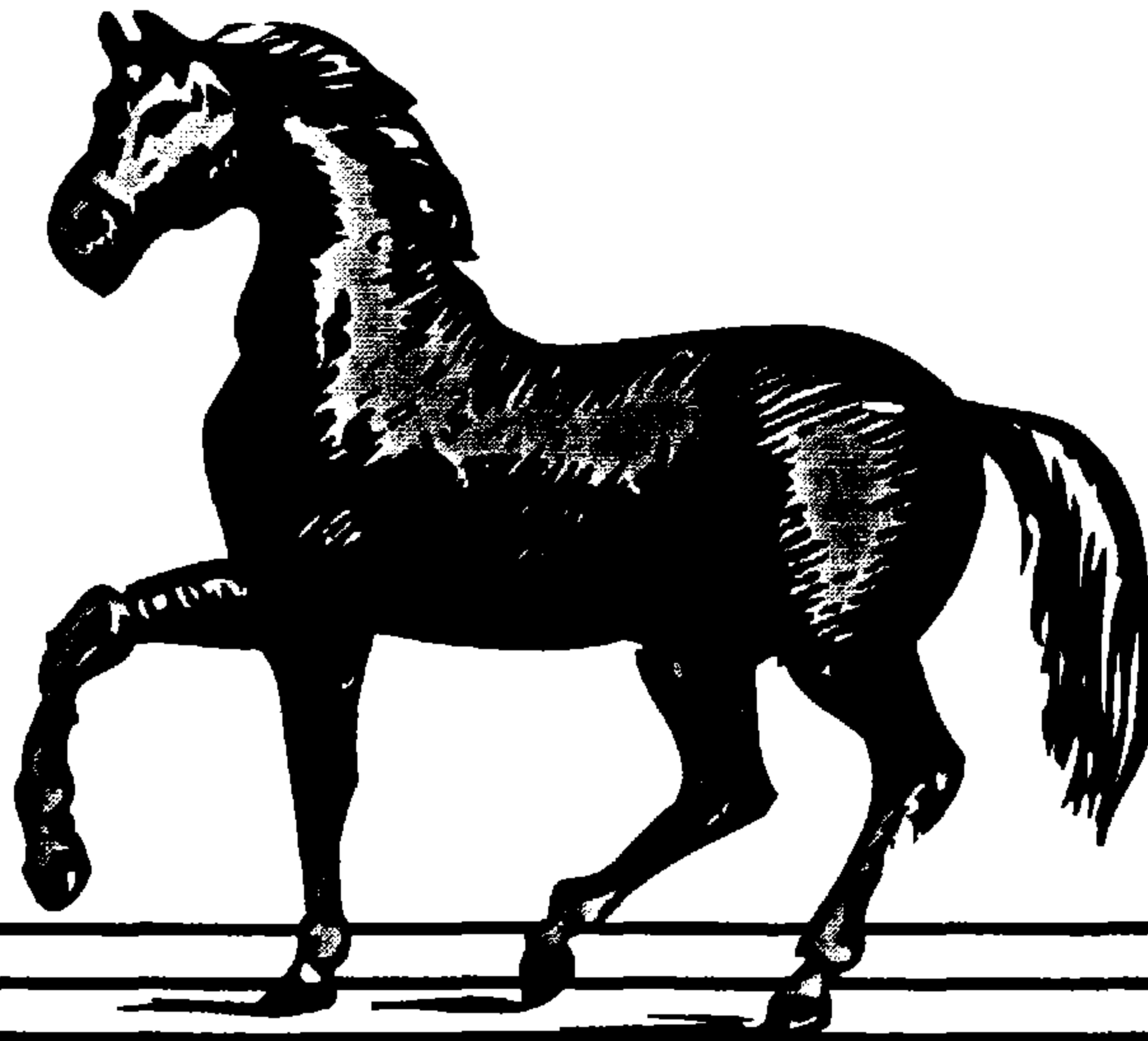








**بنو أمية  
والمصادر المحايدة**









ومن الجدير بالذكر أن هناك مصادر كانت محايدة، ومن بينها تاريخ خليفة ابن خياط المتوفى سنة 240هـ، وتاريخ الأمم والملوك للطبرى المتوفى سنة 310هـ، وجوامع السيرة والرسائل الملحقة بها لابن حزم الأندلسى المتوفى 456هـ، والعواصم من القواصم لأبى بكر بن العربى المتوفى سنة 543هـ، والكامل فى التاريخ لابن الأثير المتوفى سنة 630هـ، والعبر فى أخبار العرب والعجم والبربر لعبد الرحمن بن خلدون المتوفى سنة 808هـ..

وقد وقفت هذه المصادر - وغيرها - موقفاً محايداً إلى حدٍ كبير فى الحكم على الدولة الأموية.

ومع ذلك فلم تستطع هذه المصادر المحايدة أن تقف أمام هذا الحاجز السميك الذى حال دون إنصاف بنى أمية، وجذب نحوه عشرات من الدراسات العاطفية التى توالى عبر العصور حتى عصرنا الحديث<sup>(1)</sup>.

والحق أن هناك أسباباً وقفت مع المنهج المتحيز على حساب المنهج المحايد، وكانت وراء هذا الميل السائد لدى جمهرة كبيرة من المسلمين لظلم بنى أمية، ومن هذه الأسباب:

1 - أن صراع بنى أمية يفسر دائماً وبصفة مطلقة على أنه كان صراعاً مع أهل البيت، أدى إلى انتقاصٍ من قدرهم، وسلبٍ لبعض حقوقهم، وقد نسبت

---

(1) انظر - على سبيل المثال - كتابات الأستاذ سيد قطب العدالة الاجتماعية فى الإسلام، وكتابات الأستاذ عباس محمود العقاد عن عبقرية على ومعاوية فى الميزان، مع أنهما كاتبان جيدان، وانظر من باب أولى كتابات طه حسين فى الفتنة الكبرى وغيره، فهى دراسات متعصبة تفتقد أبسط أركان التحقيق التاريخى، وانظر ما كتبه الكاتب اليسارى أحمد عباس صالح حول اليمين واليسار فى الإسلام، وما كتبه عبد الرحمن الشرقاوى فى كتابه (على إمام المتقين).. وغيرها من الدراسات المتحيزة المتأثرة بالأراء الشائعة حول بنى أمية.





القضية الأساسية التي كانت محور الصراع، وهي (مقتل عثمان)، وهي قضية خلافية لم يختلف فيها على ومعاوية وحدهما، بل كان مع كل منهما عدد كبير من الصحابة والتابعين!!.

2 - يرى بعضهم أن العداة كان تقليدياً وأصيلاً، بل وسابقاً للإسلام، بين فرعى عبد مناف: عبد شمس ثم أمية فحرب، فأبى سفيان، وبين هاشم فعبد المطلب فعبد الله فمحمد ﷺ، ويدخل فيهم - بالضرورة - أبناء عبد المطلب جميعاً..

ويؤكد هؤلاء رأيهم بأن كثيراً من الأمويين - فى رأيهم - وقفوا من الرسالة المحمدية موقف العداة المطلق؛ ولهذا يبدى هؤلاء مشاعر بغض لبني أمية، وهم يظنون أن موقفهم المتحيز<sup>(1)</sup> إنما هو تحيز للإسلام ولآل الرسول عليه السلام ضد خصومهم<sup>(2)</sup>.

ج - ومن أبرز الأسباب التي شجعت الكتابات المتحيزة أن هناك طوائف قد ظهرت فى العصر الأموى معادية - منذ البداية - لبني أمية، وأبرزها طائفة الشيعة

(1) انظر عبد الشافى محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامى فى العصر الأموى دراسة سياسية، الطبعة الأولى، مصر 1404هـ، ص أ، ب، وقد فند الدكتور عبد الشافى عبد اللطيف دعوى العداة التقليدى بين بنى هاشم وبنى أمية فى صفحات تالية من كتابه، وذكر أنه مجرد تنافس على الشرف والسيادة فى الجاهلية وكانوا يرضون بما يقضى به الكهان، وقد كان عبد المطلب صديقاً لحرب وكان العباس صديقاً لأبى سفيان، فأى عداة تقليدى إذن؟.. (انظر ص 3، 4 من المرجع السابق).

(2) لم تكن عداوة الإسلام وفقاً على بنى أمية، بل كان من بنى هاشم أعداء للرسول، وكان من الأمويين سابقون كثيرون للإسلام، وهل كان عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية ابن عبد شمس - إلا أمويًا مع ما بلغه من مكانة فى نفس الرسول؟.. - وقد جب الإسلام ما قبله، وقام الأمويون بدور عظيم أيام الرسول بعد فتح مكة وفى أيام أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم، وكانوا موضع ثقة جميعهم (انظر للتوسع فى هذا عبد الشافى عبد اللطيف المرجع السابق 3 - 19).



التي بدأت كحركة منحازة لآل البيت، ثم تطورت فأصبحت مذهباً محدداً وطائفة محددة، كما ظهرت طائفة الخوارج بفروعها المختلفة، وقد بقى أعداء الأمويين يحكمون العالم الإسلامي بعدهم لقرونٍ طويلة؛ فالعباسيون الذين قاموا على أنقاضهم قد ظلوا يحكمون بعدهم أكثر من خمسة قرون، وقد وجهوا الكتابة التاريخية في عصرهم توجيهاً مناهضاً لبني أمية، كما أن الشيعة الذين حكموا المغرب ومصر لأكثر من قرنين ونصف كانوا يتحكمون كذلك في مسار الكتابة التاريخية..

وأمام هذا الحاجز أغفل المسلمون كتب الحديث التي تتحدث عن جيل الصحابة كله<sup>(1)</sup> - وأكثر بناء الدولة الأموية كانوا منه - كما أغفلوا نقد المصادر التاريخية كالبلاذرى والطبرى وابن الأثير، فضلاً عن نقد المصادر العلوية المتحيزة اعتماداً على منهج الحديث فى الجرح والتعديل فيما يتعلق بالرواة (الرجال)، وعلى نقد (المتن) فيما يتعلق بالوقائع التاريخية.

وقد أغفلوا كتب المحدثين والفقهاء من أمثال الصحاح الستة، وكتب أئمة المذاهب الثلاثة عشر كأبى حنيفة وابن حنبل والليث بن سعد وسفيان الثورى، وكتب الفقهاء والعلماء المجتهدين اجتهاداً مقيداً مثل القاضى أبى بكر بن العربى، والإمام ابن تيمية، وابن قيم الجوزية، وغيرهم.

\*\*\*

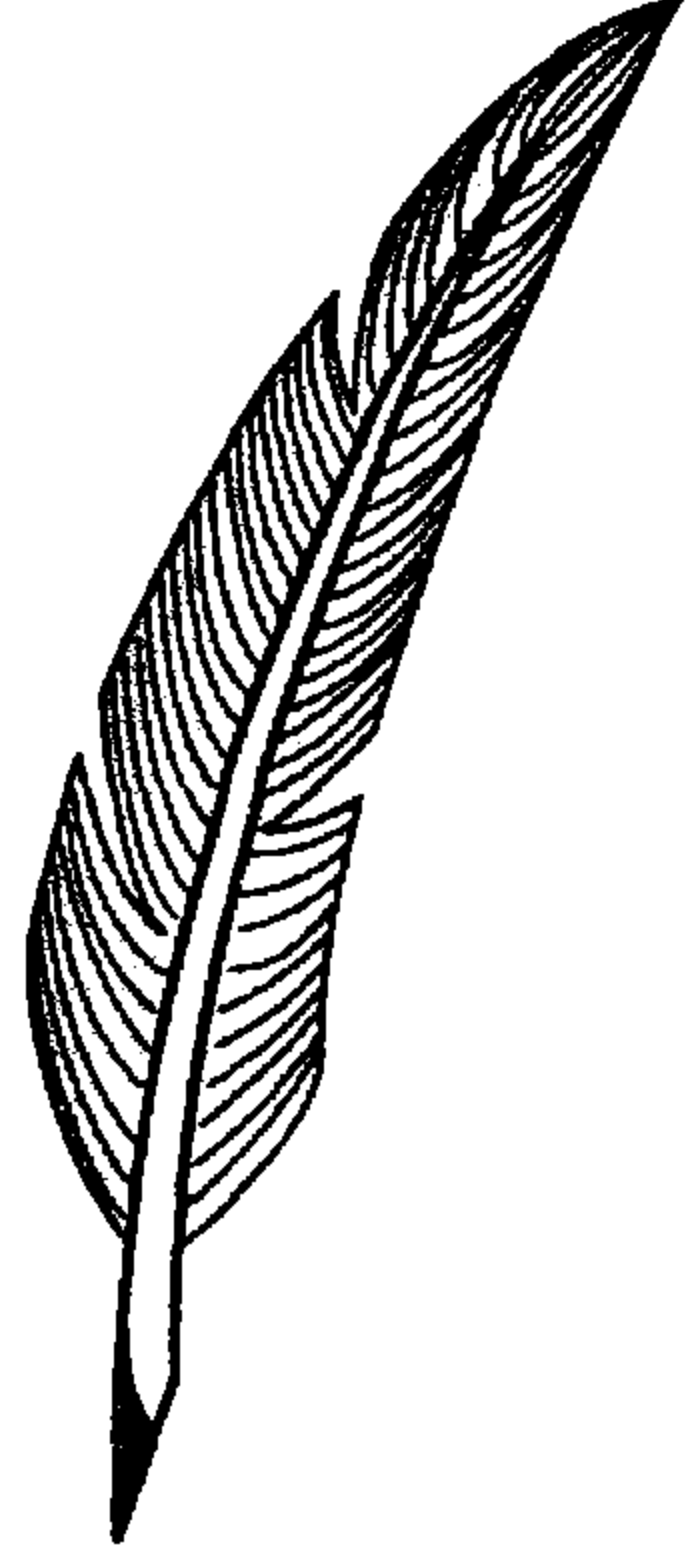
---

(1) انظر عبد الشافى عبد اللطيف: مرجع سابق، ص (ب، ج).

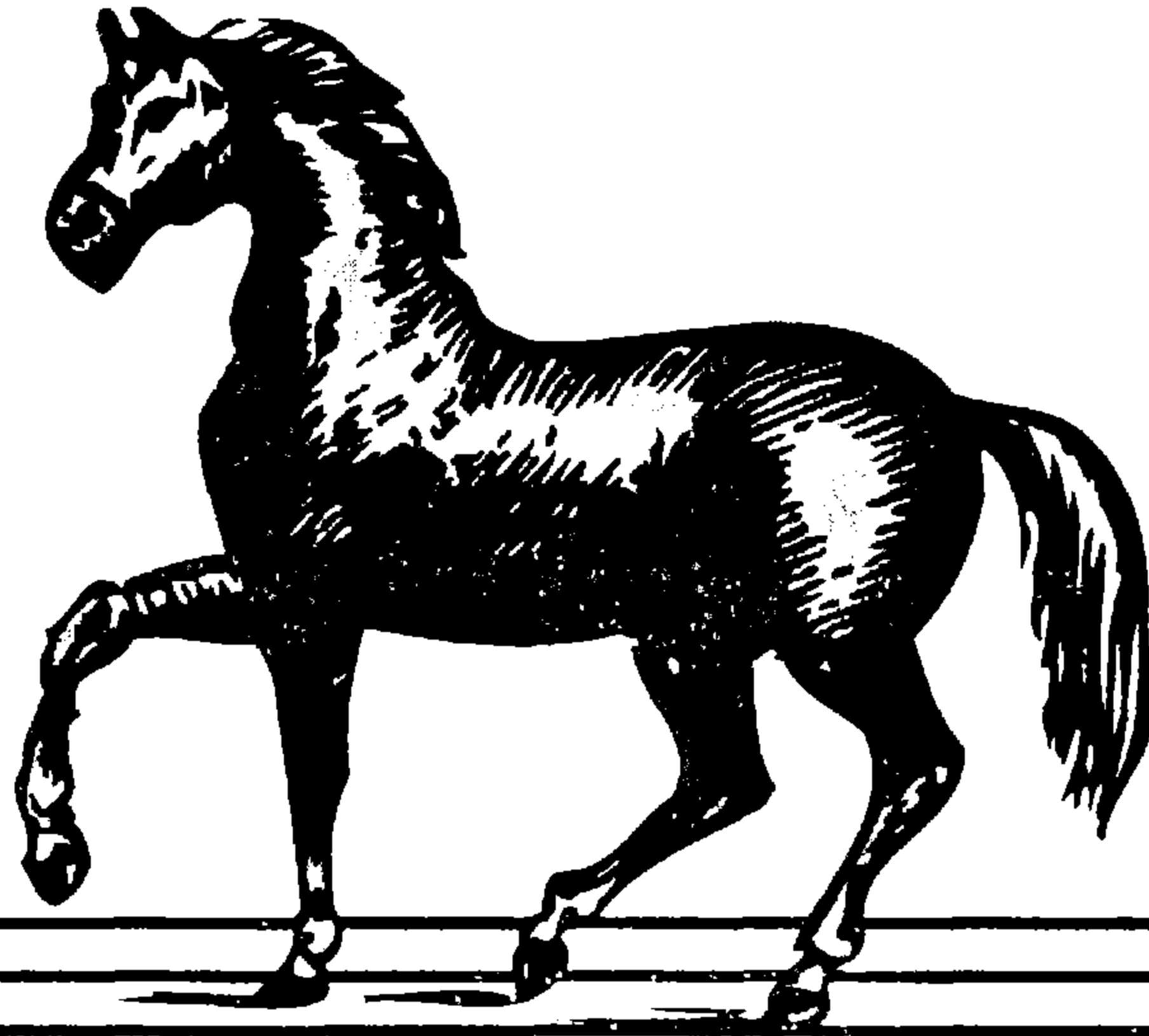








**بنو أمية**  
**سيرة شخصية**







بنو أمية أقحاح من أصرح العرب نسباً<sup>(1)</sup>، وجدهم أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.. ولأمية حرب والعاص.. ومن نسل حرب كان الفرع الأموي الأول (الفرع السفيناني) الذي أسس دولة بني أمية.. وحكمها ثلاثة منه هم: معاوية بن أبي سفيان، ويزيد، ومعاوية الثاني..

ومن نسل العاص كان الحكم ثم مروان بن الحكم<sup>(2)</sup>، ومنه كان الفرع الثاني الذي حكم بني أمية بعد مؤتمر الجابية.

وعروبة بني أمية رشحت بها كل أعمالهم، وقد أخذوا من الإسلام ما أخذوا، وهو كثير، وأخذوا من خصائص العروبة ما أخذوا..

وكان لبني هاشم بن عبد مناف - أبناء عموماتهم - صلات وثيقة بهم، يشوبها لون من التنافس على المجد والسؤدد، وهو أمر طبيعي - بل أحياناً يكون مطلوباً - في بيئة تعطي الشرف والسيادة المكانة الأولى.

وكثيرون أسرفوا في التعميم، فجعلوا من عروبة بني أمية (عصية قومية) في الإسلام، مثلما كانت في الجاهلية<sup>(3)</sup>، وهو أمر مبالغ فيه. إلا أن ذلك لا يعنى عدم اعتزاز بني أمية بعروبيتهم وشعورهم بكرم مجدهم وصراحة أنسابهم وانتمائهم لعبد مناف بن قصي، وهذا هو ما نميل إليه.. وشتان بين التعصب

---

(1) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص78 وما بعدها، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1402هـ، بيروت. وانظر ابن خلدون: العبر 2/3، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، 2007م.

(2) المرجع السابق.

(3) انظر - مثلاً - نبيه عاقل: تاريخ خلافة بني أمية، ص6، الطبعة الرابعة، بيروت، ومحمد الطيب النجار: الدولة الأموية في المشرق، طبع مصر، الطبعة الثالثة، 1397 ص 5 وما بعدها.





والاعتزاز بالأصل والنسب. ولئن كانت قد وجدت بعض التجاوزات في هذا السبيل فقد وجد مثلها عند غيرهم من قبائل العرب؛ يقول ابن حزم القرطبي:

"وانقطعت دولة بني أمية، وكانت دولة عربية، لم يتخذوا قاعدة، إنما كان سكنى كل امرئ منهم داره وضيعته التي كانت له قبل الخلافة، ولا أكثروا جمع الأموال، ولا بناء القصور، ولا استعملوا مع المسلمين أن يخاطبهم بالتحويل ولا التسديد، ويكاتبهم بالعبودية والملك، ولا تقبيل الأرض، ولا رجل ولا يد، وإنما كان غرضهم الطاعة الصحيحة من التولية والعزل في أقاصى البلاد"<sup>(1)</sup>.

وقد كان بنو أمية - بصفة عامة وبنسبة لا تتحقق لكثير من الأمم بعد الراشدين - عند حسن ظن الأمة بهم.. سواء في مستوى كفايتهم الشخصية أم في مستوى أعمالهم العامة..

كان في معاوية (مميزات قلما توافرت في بناء الدول.. فهو ممن تحقق فيهم شرطا الولاية (القوة والأمانة).. قال تعالى: ﴿... إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ [القصص].. وقد كان في الصحابة من هو أتقى منه وأورع منه ديناً وأكثر منه سابقه في الإسلام.. وعلى الحسن والحسين والزبير وطلحة أزكى منه في ذلك لا ينكر هذا منكر ولا يمارى فيه مسلم.. وسعد ابن أبي وقاص أحد العشرة المبشرين بالجنة، وعبد الله بن عمر<sup>(2)</sup>، وغيرهم.

لكن معاوية كان أقدر من كل هؤلاء في إدارة الدولة وتحقيق العدل وصناعة الحضارة وقيادة الأمة في فترة تطور هائل..

ومن المعروف أنه ليس كل تقى صالح في أمور الدين هو الأقدر والأصلح - بالضرورة - في أمور الدنيا.. ومعاوية نفسه كان يدرك هذه الحقيقة.. وقد خطب

(1) رسالة أسماء الخلفاء ص 365 / 366 من ملحقات جوامع السيرة بتحقيق إحسان عباس وناصر الدين الأسد، طبع دار المعارف بمصر.

(2) أبو بكر بن العربي: العواصم من القواصم (حاشية 202) بقلم محيي الدين الخطيب، طبع بيروت، ص: 89، 1979م.



الناس فقال لهم فى تواضع المؤمنين: " يا أيها الناس ما أنا بخيركم، وإن منكم لمن هو خيرٌ منى ( . . . ) ولكن عسى أن أكون أنفعكم ولاية، وأنكاكم فى عدوكم، وأدركم حلباً" (1).

ولهذا جمع له عمر بن الخطاب الشامات كلها وأفرده بها؛ لما رأى من حسن سيرته وقيامه بحماية البيضة وسد الثغور وإصلاح الجند والظهور على العدو وسياسة الخلق، وقد شهد له فى صحيح الحديث بالفقه (2).

ونحن نعتقد أن شهادة المؤرخ المسعودى لمعاوية فى المجال الإدارى وتحقيق العدل ورد المظالم - مع أنه معروف بميوله لآل البيت وتحامله على بنى أمية - هى من أوثق الشهادات وأصدقها. . قال المسعودى: "كان من أخلاق معاوية أنه كان يأذن فى اليوم والليلة خمس مرات، كان إذا صلى الفجر جلس للقاص حتى يفرغ من قصصه، ثم يدخل فيؤتى بمصحفه فيقرأ جزأه، ثم يدخل منزله فيأمر وينهى، ثم يصلى أربع ركعات ثم يخرج إلى مجلسه. . . ثم يؤتى بالغداء وربما قدم عليه من أصحاب الحوائج أربعون أو نحوهم على قدر الغداء. . . وينادى بالمغرب فيخرج فيصلبها ثم يصلى بعدها أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة خمسين آية. . . ثم يؤذن للخاصة وخاصة الوزراء والحاشية. . ." (3).

وبعد أن ينتهى المسعودى من سرده الذى ذكرنا بعضه، يعقب على البرنامج اليومى لمعاوية - رجل الحكم العظيم - فيقول: "وقد كان همّاً بأخلاقه جماعة

---

(1) ابن كثير: البداية والنهاية (8/ 134) نقلاً عن العواصم من القواصم 203.

(2) أبو بكر بن العربى: العواصم من القواصم 203 - 205، وانظر عبد الشافى عبد اللطيف مرجع سابق ص 107.

(3) المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجواهر 40/3، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الفكر.





بعده مثل عبد الملك بن مروان وغيره، فلم يدركوا حلمه، ولا إتقانه للسياسة ولا التأتى للأمور، ولا مداراته للناس على منازلهم، ورفقه بهم على طبقاتهم<sup>(1)</sup>.

لقد كانت وجهة نظر معاوية ومن معه - إبان الصراع مع علي بن أبي طالب - أن بقاء معاوية في الشام في تلك الظروف المضطربة التى تولى فيها عليّ الخلافة بقاء ضرورى؛ حيث خبر معاوية الروم وأدرك أمورهم وعرف كيف يسوس الأمور في مواجهتهم بسياسة مرنة حكيمة، وقد أقرّه على سياسته عمر وعثمان - رضى الله عنهما -... فلماذا لا يذهب عليّ مذهبهما حفاظاً على هذا الثغر المهم، لا سيما أن الوضع في المدينة كان يحمل في ظاهره وباطنه نذراً خطيرة لا تبعث على التفاؤل؟ وأصحاب الفتنة هم الذين نصّبوا عليّاً، وهناك عدد من كبار الصحابة توقف عن مبايعة عليّ رضى الله عنه مثل: سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، (وهما من أهل الشورى) ثم أسامة بن زيد، وصهيب من المهاجرين، وحسان بن ثابت، وزيد بن ثابت، وكعب بن مالك، ومحمد بن مسلمة، والنعمان بن بشير، ورافع بن خديج، وسلمة بن وقص، وأبى سعيد الخدرى من الأنصار، كما أن الحدود كانت قد أهملت لعدم إقامتها على من قتلوا الخليفة عثمان رضى الله عنه.

كما أن معاوية - في رأى كثيرين - كان أقدر على سياسة الدنيا في ظل انفتاح المسلمين على العالم، واستيلائهم على كثير من أرض امبراطورتي الفرس والروم بما يحمله هذا التطور من تحديات تستوجب قدراً كبيراً من المرونة...

وقد كان الخليفة العظيم عمر بن الخطاب رضى الله عنه نافذ البصيرة والرؤية حين زار واليه معاوية في الشام، ورأى بعض أساليبه (البروتوكولية والأمنية) غير المألوفة، فأنكر عليه ذلك... لكنه بعد حوار مع معاوية انتهى إلى إقرارها عن

(1) المسعودى: مروج الذهب 3/ 42.



طريق السكوت عنها.. قائلًا لمعاوية: (لا أمرك ولا أنهاك)... مع أن (معاوية) قال له: لو نهيتني يا أمير المؤمنين عن ذلك انتهيت!! فقال له عمر: (لا أمرك ولا أنهاك)...

وهذا يعنى أن هناك أوضاعًا جديدة في عدد من البلاد المفتوحة - لا يصلح معها نوم الخليفة العظيم عمر بن الخطاب آمنًا في جانب من الطريق في المدينة!!.

إن الأستاذ عباس العقاد يشير إلى حقيقة هذا التطور الذى استطاع معاوية التعامل معه بقوله: "وما كان أحد ليطمع في بقاء عصر الخلافة على سنة الصديق، والفاروق أبد الأبدين ودهر الدهارين؛ لأن اطراد النسق من ولاة الأمر على هذه الطبقة العليا من الخلق والتقوى أمرٌ تنوء به طاقة بنى الإنسان.

فما كان دوام الخلافة الصديقية، أو الفاروقية بمستطاع على طول الزمن، وما كان قيام الملك بعد الخلافة بالأمر الذى يؤجل إلى زمنٍ بعيد" (1).

وقد حاول بعضهم النيل من معاوية عند عمر - رضى الله عنهما - فقال لهم عمر: "دعونا من ذم فتى قريش، من يضحك فى الغضب، ولا يُنال ما عنده إلا على الرضا، ولا يؤخذ ما فوق رأسه إلا من تحت قدميه".

وإلى جانب ذلك، فإن من المعروف أن عمر رضى الله عنه كان يحاسب ولاته على الصغيرة والكبيرة، ولا يقبل منهم العمل إلا من خلال وجهة نظره القائمة على العدل والشورى، إلا أنه قبل من معاوية رضى الله عنه وجهة نظره وقال: "لحسن مصادره وموارده جشمناه، ما جشمناه".

وهكذا استحق معاوية أن يظل على ولاية الشام أيام عمر، ثم أقره الخليفة عثمان رضى الله عنه عليها ولم يقبل فيه أى شيء، حتى أصبحت الشام فى عهد

(1) العقاد: معاوية، ص 206.





عثمان شبه دويلة مستقلة يقوم واليها بتعيين العمال على أقسامها بنفسه دون الرجوع إلى الخليفة، فلما ولى على الخلافة أراد أن يعزل كل ولاية عثمان رضى الله عنه ومنهم معاوية رضى الله عنه ورفض أن يتألفهم أو أن يستجيب لهم فيقتص من قتلة عثمان حتى يسلموا له، فنشأ الخلاف، وقام بينهم أناس يسعون إلى الفتنة، ويحرضون عليها حتى تمكنوا من إشعالها وظلوا يؤججون أوارها بتدبير المكائد الخفية حتى ظن الناس أن المشاركة فيها واجب ديني<sup>(1)</sup>!!

ونحن - وإن اتفق رأينا مع أكثر الأمة في تأييد الإمام على وموقفه - إلا أننا نرى أن المنهج العلمى والضمير الدينى معا يفرضان علينا أن نبرز وجهة نظر (الطرف الآخر)، وأن نقدم المبررات التى جعلته يتخذ هذا الموقف، وكأنه هو الذى يدافع عن نفسه، حتى ولو كان موقفه خاطئاً ولا تؤيده فيه. . فهذا المنهج موقف علمى مبدئى لا علاقة له بعاطفتنا، وهو من صميم المنهج العلمى الذى يفرض التعرف الكامل على رأى الخصم، وتقديم اللوحة كاملة بكل قسماتها، وألوانها، فلم يكن معاوية ومن معه مجردين من كل فقه وحجة؛ بل إنه لا يمكن القول - كما يعترف العقاد - بأن "معاوية لم يكن يعمل بباعث من الغيرة الدينية أو بباعث من أحكام المروءة والعرف المتبع فى الأخلاق.

وليس فى وسعه أن يتجرد من هذه البواعث لو أراد، وليس فى وسع رجل أسلم على يد النبى ﷺ وصاحبه، وعمل على أيدى الجلة من صحابته - أن يغفل عن غيرة دينه وأحكام فرائضه، وواجبات المروءة فى عرف زمنه<sup>(2)</sup>، كما أن معاوية وأنصاره لم يكونوا مجردين من كل إيجابية.

وليس معنى تحليلنا التاريخى الذى ينصف معاوية رضى الله عنه ويظهر بعض ملكاته وقدراته - فى مقام السياسة والقيادة والمصلحة العامة للأمة - أننا

---

(1) انظر: صلاح النبراوى: معاوية: الصحابى الفاتح المفترى عليه، ص: 15، نشر مصر 2005.

(2) العقاد: معاوية، ص: 210.



نحابي معاوية أو الأمويين؛ بل نحن فى ذلك خاضعون للرؤية التى رأى فيها شيخ الإسلام (ابن تيمية) وغيره أن الإمام (القوى الأقل التزامًا) أصلح للمسلمين من الإمام (التقى الأقل قوة) فى مجال فقه التحديات ومقتضيات السياسة الشرعية المناسبة للعصر وتحدياته، والتعامل معها بما يلائمها.

ومرة أخرى ليس معنى تحليلنا هذا، وإنصافنا لبنى أمية أو لمعاوية، وإظهارنا لملكاته وقدراته التى تقتضيها المرحلة الجديدة التى لم يعد الوقوف فيها عند المستوى (المثالى) الذى كان عليه أبو بكر وعمر وعثمان (رضى الله عنهم) ممكنًا . . .

أقول: ليس معنى هذا أننا نقلل من قدر على أو الحسن أو الحسين أو آل البيت - رضى الله عنهم جميعًا - فهم الأجدر - بيقين - فى ميزان الدين والآخرة، وغرس القيم والمبادئ التى بذلوا من أجلها أرواحهم رخيصة فى سبيل الله.

لكننا نؤمن بأن حظوظ الدنيا يتفاوت فيها الناس سواء كانوا من آل البيت أم من غيره، كما أننا نؤمن بذلك الرأى العظيم الذى ذهب إليه المفكر التركى الكبير (بديع الزمان سعيد النورسى) عندما قال: إن آل البيت هم الأئمة فى الدين والدعوة والولاية، وليس شرطًا أن يكونوا الأئمة فى أمور الدنيا والسياسة، فلو أن هذا التخصص طبق فى تاريخنا لما كثرت (مقاتل الطالبين) وكثرت آل البيت الإسلام خلال القرون - عبر العالم - بعيدًا عن المعارك الطاحنة التى حصدت منهم بتأثير دعاوى العصمة لهم، ودعاوى أحقيتهم فى حكم الدنيا وقيادة شئون السياسة وما يتصل بها، وهو الأمر الذى ينتهى - أيضًا - إلى (الملك العضوض) - مشفوعًا (بالثيوقراطية) - على نحو أكبر مما كان عليه بنو أمية!!

ولعله لهذا المعنى كتب المؤرخ المعاصر الدكتور حسين مؤنس (رحمه الله) فى تعليقه على ما ورد تحت عنوان (مثالب بنى أمية) من كتاب المقرئى<sup>(1)</sup>، يقول:

(1) النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم، تحقيق حسين مؤنس، نشر دار المعارف



إن معظم هذه الجرائم التي تنسب إلى بنى أمية - إن صدقت - جرائم سياسية، أى أن جميع هؤلاء المقتولين كانوا منافسين سياسيين لبنى أمية، يريدون انتزاع الخلافة منهم، والسياسة تعمى البصر، وتضلل الذهن، وتملأ القلب قسوة، وتجعل الإنسان يرتكب جرائم لا توصف... ويقول الدكتور مؤنس أيضاً:

ولقد سبق أن ذكرنا أن بنى أمية إذا لم يكونوا أصحاب حق فى الخلافة فما هو الأساس الشرعى لمطالبة العلويين بالخلافة؟

وهل إذا مات على بن أبى طالب ورث الحق فى الخلافة أولاده: الحسن والحسين ثم زيد، وهكذا؟

كل ذلك نشأ من أن أحداً لم يضع للخلافة تشريعاً؛ بل الكل هنا يجمعون على حق أبناء على بن أبى طالب فى الخلافة!! [وفى المقابل يحرمون بنى أمية من هذا الحق] ثم: هل نحن واثقون من أن كل العلويين كانوا أفاضل؟ وأنهم لو كانوا قد تولوا الخلافة لما اقترفوا مثل هذه الجرائم؟

وحسبك أن تقر ما كتبه ابن حزم فى جمهرة أنساب العرب عن سيرة أحد العلويين وهو محمد بن الحسن بن إبراهيم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على ففىها من الفظائع ما يكفى للدلالة على أن آل البيت هم كغيرهم من البشر<sup>(1)</sup>...

وأما الحياة السياسية والإدارية فى الدولة الأموية بعد استقرار الأمور لمعاوية، فقد نشطت غاية النشاط حتى بلغت سيادة المسلمين أوج توسعها فى خلافة معاوية<sup>(2)</sup>، بالنسبة لسابقه، وقد استعان بعدد من الولاة الأكفاء منهم المغيرة بن شعبة وزباد بن أبيه، وعبد الله بن عامر... وقد كان معاوية - بحق - رجل دولة

(1) د/ حسين مؤنس: تنقية أصول التاريخ الإسلامى، ص: 97، 100، 101، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(2) عبد الرزاق الأنبارى: تاريخ الدولة العربية 58.





يخطط ويعهد إلى غيره أن ينفذ ويطبق، ومن هنا اختار رجال دولته وسياسته ونجح في هذا الاختيار نجاحًا اعترفت به المصادر التاريخية<sup>(1)</sup>.

وقد أحسن معاوية إلى كبار الصحابة والتابعين وأبنائهم وخاصة بنى هاشم، كما قام بتوطيد الأمن وباشراً أمور الدولة بنفسه إلى حدٍ كبير، ونشطت الفتوحات في عهده<sup>(2)</sup>.

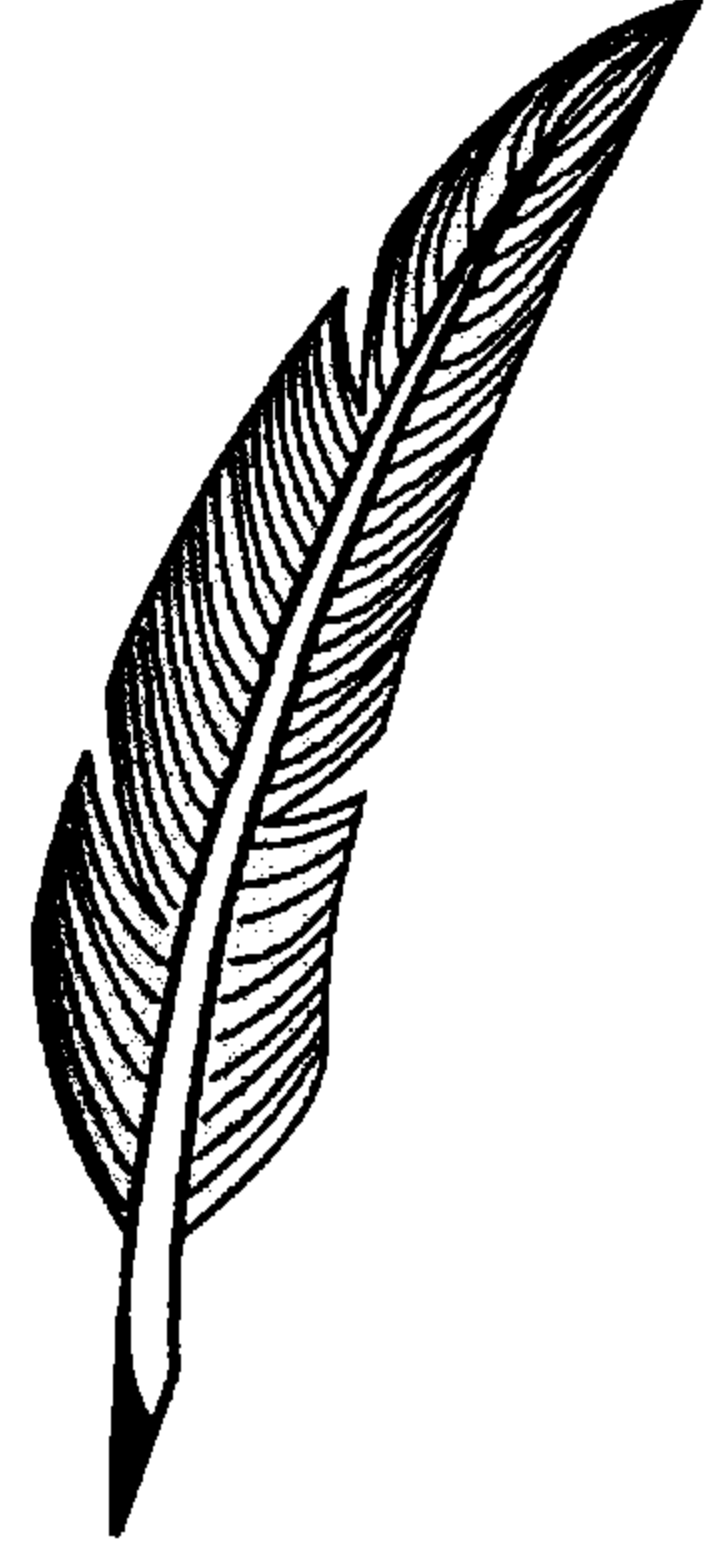
\*\*\*

---

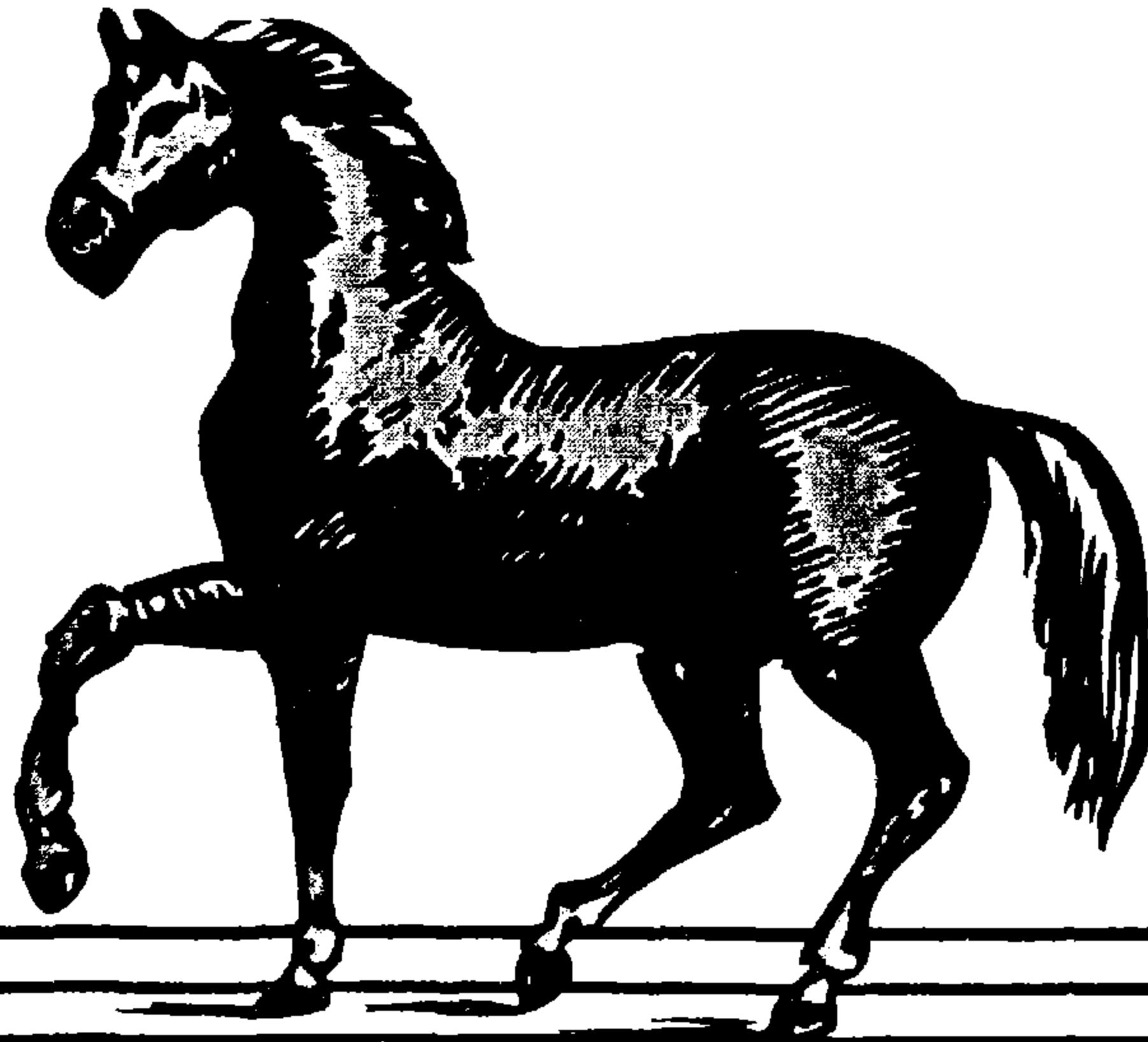
(1) المرجع السابق 166.

(2) عبد الشافي عبد اللطيف: مرجع سابق 114.





**معاوية**  
**فئ الميزان الصحيح**







لقد كان خروج العرب من الجزيرة العربية وسيطرتهم على أكثر أرجاء الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية - ملزماً بضرورة مواجهة التحديات الجديدة بآليات تسمح بالسيطرة عليها، وهذا ما أدركه (معاوية رضى الله عنه) فى الشام، وأبصره (الخليفة عمر رضى الله عنه) وسكت عنه، فالبيئات الجديدة تختلف عناصرها وتتنوع ميول شعوبها، وتتعدد موروثاتها الثقافية ودياناتها، وبالتالي تتباين عاداتها وأنماط حياتها، ومن ثمَّ كما يقول (أستاذنا الدكتور محمد حلمى أحمد) فى كتابه<sup>(1)</sup>: اقتضى الموقف مواجهة الحاجات والمشكلات الجديدة فى مواطنها، وفى ضوء ظروفها المباشرة، وهذا لا يمكن أن يكون إلا بإقرار نظام (اللامركزية)، فقد مضى الزمن الذى كان عمر يقول فيه: (لا أريد أن يحول الماء بينى وبين المسلمين فى شتاء أو صيف، إن شئتُ أن أركب ظهر ناقى إليهم فعلت)!!

فلقد قضى تنوع المذاهب السياسية والميول العنصرية على الخلفاء بأن يكتفوا فى معالجة المشكلات التى تنشأ عن تحركات هذه المذاهب والميول بالإشراف اليقظ فى مقر الحكومة المركزية بدمشق، وإلا فكيف يستطيع الخليفة أن يتدخل تدخلاً مباشراً فى مواجهة الشيعة والخوارج والموالى والبربر فى العراق وفارس والشمال الإفريقى والأندلس، (والطريقة المثلى) المناسبة للتحديات الجديدة هى اتباع (اللامركزية) (والواقعية الملتزمة بالشوابت) فى مواجهة هذه التحركات، وذلك على العكس من مركزية الدولة ومثاليتهما فى عصر عمر رضى الله عنه!!

ولقد بقى الإمام على رضى الله عنه واقفاً عند مستوى (المثالية الراشدية) وملتزماً بنظام (المركزية العمرية) غير ملتفت إلى أساسية اعتراف هو بها لأحد محاوريه، وهى أن (عمر بن الخطاب) كان يحكم ناساً فى مستوى (على بن أبى طالب) - رضى الله عنهما - أما هو - أى على - فقد جاء فى ظروف مختلفة، فهو

---

(1) الخلافة والدولة فى العصر الاموى ص 123، طبع مصر 1974.



يحكم ناساً مختلفين انفتحوا على العالم القديم وتغيرت أساليبهم وبساطتهم [كما اعترف هو]... لكن الإمام الورع علياً رضى الله عنه بدلاً من تقدير هذا التطور ومواجهته بما يلائمه من ضروب السياسة بقى عند مستوى المثالية والمركزية، مع أن أقرب الناس إليه وأخلصهم له قد نصحوا له... وطالبوه بالإيمان (باللامركزية) وأن يترك (معاوية) على الشام، وهو الوالى الذى سبق توليته والتسليم بقدرته وكفايته من قبل الخليفين الراشدين (عمر وعثمان) - رضى الله عنهما - إلا أنه رفض رفضاً لم يقبله كثير من المحيطين به، وكثير من المؤرخين... وبمثل هذا الوقوف عند (المثالية والمركزية) فشل عبد الله بن الزبير رضى الله عنه وهو الذى أوشكت الأمة كلها على أن تبايعه، لكنه أضاع بمنهجه هذا كل شيء فى عدة أيام!!..

وعلى العكس من ذلك كان موقف معاوية مختلفاً، فقد كان مستوعباً للظروف، قادراً على مواجهتها بأكثر الطرق مرونة وسياسة، وذلك فى مقابل هذا الموقف السياسى (الجامد الحازم) للإمام على رضى الله عنه...

كان معاوية - بحق - (كما وصفه ابن الطقطقا صاحب الفخرى) داهية من الدهاة، ومن أوفر الناس حظاً بأساليب السياسة، وكان عاقلاً فى دنياه، قوياً، حسن التدبير، حكيمًا، فصيحًا، بليغًا، يحلم فى موضع الحلم، ويشتد فى موضع الشدة، إلا أن الحلم كان الغالب على طبعه، كريمًا باذلاً للمال، محبًا للرئاسة شغوفًا بها، وهو يُفضّل على أشرف رعيته، فلا يزال أشرف قريش من أمثال عبد الله بن العباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبى بكر، وبعض آل أبى طالب، يفدون عليه بدمشق فيكرمهم ويقضى حوائجهم، ولا يزالون يحدثونه أغلظ الحديث، ويجابونه أقبح مجابهة، وهو يداعبهم تارة، ويتغافل عنهم أخرى، ولا يعيدهم إلا بالجوائز السنوية والصلوات الجمّة<sup>(1)</sup>!!

(1) انظر: محمد بن على بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا، الفخرى فى الأداب السلطانية

والدول الإسلامية، بيروت - بدون تاريخ، ص: 104.

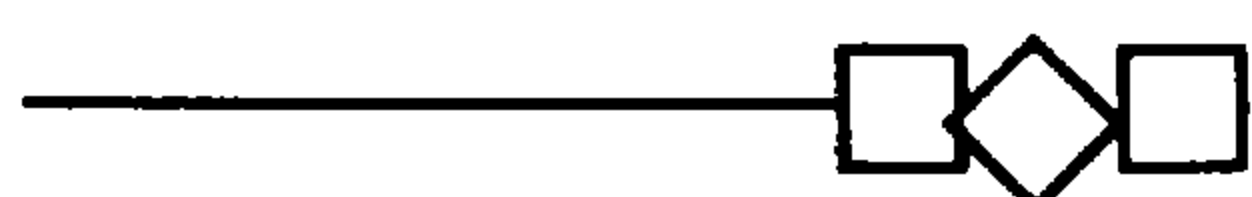




وكان معاوية - إلى جانب ذلك - أرحب أفقًا، وأبعد مدى من المحيط الذى حوله، وكانت تطلعاته تتجه إلى قيام دولة إسلامية يسودها الرخاء والعدل، ويتهى فيها سيل الدماء إلى الأبد؛ لذلك اجتهد أن يقيم صرح دولته على أركان أهمها: التغييرات فى بنية النظام السياسى، وتنظيم الإدارة، وتحقيق التوازن القبلى، وتأمين ولاية العهد، وإخضاع المعارضة، والإحسان إلى كبار الشخصيات الإسلامية من الصحابة وأبنائهم، خاصة بنو هاشم، وتوطيد الأمن فى العالم الإسلامى، فاختر من أجل ذلك أكفأ الرجال فى الإدارة والسياسة ليساعدوه فى إدارة الدولة، وتحقيق الاستقرار فيها ومباشرة أمور الدولة بنفسه من أجل رعاية مصالح المسلمين، هذا بالإضافة إلى اتجاه معاوية لفتح العالم، معتمداً على مواهبه السياسية، حيث كان على درجة عالية من الذكاء والمرونة يعاونه فى ذلك مجموعة من القادة الممتازين، ومنهم (الحجاج) مع مآخذنا عليه وبغضنا له<sup>(1)</sup>.

وتأكيداً لما قلناه من وجود مؤيدين له من المسلمين نشير - مرة أخرى - إلى نجاح معاوية الساحق الذى لم يستطعه غيره - فى السيطرة على أهل الشام وتعلقهم به تعلقاً عميقاً، كما أنه وجد تأييداً من اليمانيين وغيرهم... ولهذا فمع أنه دون الإمام على رضى الله عنه فى الفروسية والحرب (كما يقول فيليب حتى وآخرون معه)، فإنه لم يستطع أحد من معاصريه أن يتقدمه فى مضمار الإدارة والتنظيم الحربى، فلقد أوجد من أهل الشام مادة حربية لتأليف جيش دربه، فكان أول جيش منظم فى الإسلام، وقد طهره من آثار العصبية القبلية المتخلفة عن العهود السابقة، واستخدمه لضبط الأمن والنظام فى الداخل وإثارة الجهاد فى الخارج، ثم تناول الإدارة الحكومية فألقى كثيراً من مظاهرها التقليدية وأنشأها على الأساس البيزنطى السابق، وأقام جهازاً حكومياً منظماً، وأنشأ مجتمعاً إسلامياً جديداً، وينسب إليه المؤرخون فضل السبق فى وضع ديوان الخاتم، وأنه أول من اهتم بأمر

(1) انظر عمر العقيلي: خلافة معاوية بن أبى سفيان، صفحات 15، 16، 17، بتصرف.



البريد الذي صار في أيام عبد الملك مصلحة راقية تربط أجزاء الدولة المترامية الأطراف<sup>(1)</sup>.

وفي مجال التطبيق نشير إلى الحقيقة المؤسفة التي شاعت بين المؤرخين، فبينما كان معاوية على هذا النحو من المرونة والقدرة على جذب الناس والحنكة السياسية... فإن الإمام علياً كان ينطلق من مبدأ ضرورة تطبيق ما يرى أنه (الحق) مهما تكن الظروف غير مواتية، دون أن يخشى في الله لومة اللائم.

وحتى لو كانت النتائج السيئة شبه مرئية للعيان، ويحتاج التطبيق إلى صبر وكياسة... أو لأن التطبيق بهذه الصورة صالح عند التمكّن والتوحد والحياة البسيطة في زمن مثل زمن الراشدين، أما في زمن الفتن، وفي كثير من الظروف فالأمة تحتاج إلى تدرج وأناة... وقد صبر الرسول ﷺ على كثير من الأذى في مكة دون مقاومة، كما قبل شروطاً مجحفة في صلح الحديبية تجاوباً مع الظروف وإيماناً بالتخطيط البعيد وسلامة العاقبة<sup>(2)</sup>...

(1) انظر فيليب حتى وآخرون: تاريخ العرب، ص: 255، طبع: دار غندور.

(2) تمثلت بنود صلح الحديبية فيما يلي:

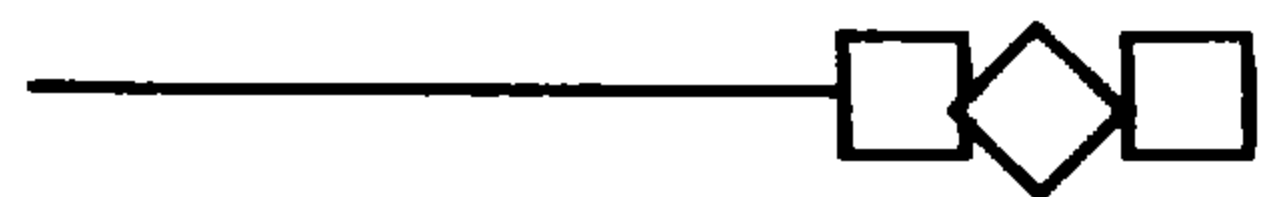
- 1- أن تتوقف الحرب بين قريش والمسلمين عشر سنين.
  - 2- من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده فعل، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدها فعل.
  - 3- من جاء إلى محمد من قريش بغير إذن وليه رده إليه، ومن جاء إلى قريش من أصحاب محمد لم ترده.
  - 4- يرجع المسلمون عن مكة عامهم هذا ويدخلونها في العام القادم، على أن يقيموا بها ثلاثة أيام بعد أن تخرج قريش منها، وعلى ألا يحمل المسلمون من السلاح إلا السيوف في القرب.
- انظر: سيرة ابن هشام، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد 3/366، 367، القاهرة، بدون تاريخ، ابن عبد البر: الدرر في اختصار المغارى والسير، ص: 193، دار المعارف - القاهرة، ط/ الثالثة، بدون تاريخ، د/ عبد الرحمن سالم: الرسول حياته وتطور الدعوة الإسلامية في عصره، ص: 160، دار الفكر العربى - القاهرة (2006م).



لكن الإمام علياً رضى الله عنه رفض كل النصائح التى وجهت إليه داعية إياه إلى الأخذ بالتدرج... ولهذا فعندما أشار عليه المغيرة بن شعبة بإبقاء معاوية على الشام لاعتبارات عملية، ولأنه ولى من قبل الخليفتين الراشدين اللذين سبقاه... رفض بقوة نصائح المغيرة التى تتلخص فى قوله لعلّى - رضى الله عنهما -: "يا أمير المؤمنين، إن أردت أن يستقيم لك الأمر فاستعمل طلحة على الكوفة، والزبير على البصرة، وابعث بعهد معاوية على الشام حتى تلزمه الطاعة، فإذا استقرت لك الخلافة فأدرها كيف شئت برأيك".

وعندما علم عبد الله بن عباس بنصيحة المغيرة لعلّى بإبقاء معاوية على الشام ذهب إليه وأشار عليه بتثبيت معاوية والأخذ برأى المغيرة فى هذه الظروف بخاصة، وعمد إلى إغرائه بقبول ذلك حين قال له: إنَّ علياً أن أقلَّعه من منزله بعد أن تستقرَّ الأمور... يا أمير المؤمنين أنت رجلٌ شجاع، لكنك لست بصاحب رأى فى الحرب، أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: "الحرب خدعة؟" فقال عليٌّ: بلى... فقال ابن عباس: أما والله لئن أطعتنى لأصدرنهم بعد وِرد، ولأتركنهم ينظرون فى دُبر الأمور لا يعرفون ما كان وجهها فى غير نُقصان عليك ولا إثم لك، فقال عليٌّ: يا ابن عباس لستُ من هناتك ولا من هنات معاوية فى شىء، فقال ابن عباس لعلّى: أطيئنى والحقِّ بمالكِ بينبع، وأغلق بابك عليك، فإن العرب تمور وتضطرب ولا تجد غيرك، فإنك والله لئن نهضت مع هؤلاء اليوم ليُحمِلنك الناسُ دمَّ عثمانٍ غداً... فأبى عليٌّ قبول ما أشار عليه به ابن عباس (رضى الله عنهما)...

وكان ما كان - بعد ذلك - من تطور الأمور على النحو المعروف خلال السنوات الخمس التالية التى سميت (سنوات الفتنة)، وانتهت بنهاية أسيفةٍ يحزن لها كل مسلم بالنسبة للإمام عليٍّ رضى الله عنه... لكنها - على الطرف الآخر - انتهت بوصول معاوية إلى منصب الخلافة الذى لم يكن يطمح إليه، أو يعتقد أنه جدير به بالنسبة لمكانة الإمام عليٍّ وغيره من عليّة الصحابة.





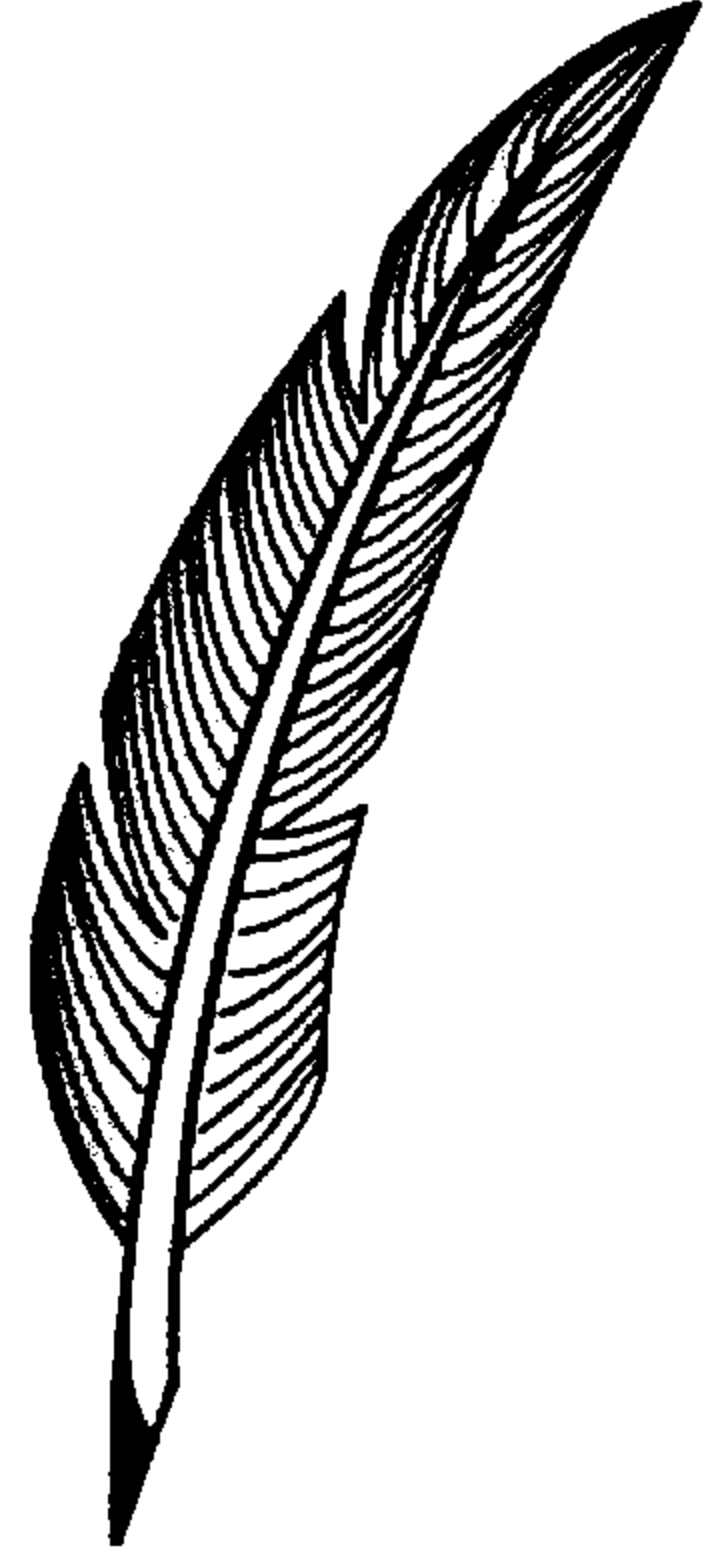
لكن هذه السنوات الخمس بخاصة - وما قبلها حين كان والياً - أثبتت أنه رجل دولة وصانع حضارة.

وقد أشار إلى هذه الحقيقة الإمام ابن تيمية في الجزء الثالث من منهاج السنة... حين قال: "لم يكن من ملوك الإسلام في زمان ملك من الملوك خيراً منهم في زمن معاوية إذا نسبت أيامه إلى أيام من بعده، وإذا نسبت إلى أيام أبي بكر وعمر ظهر التفاضل".

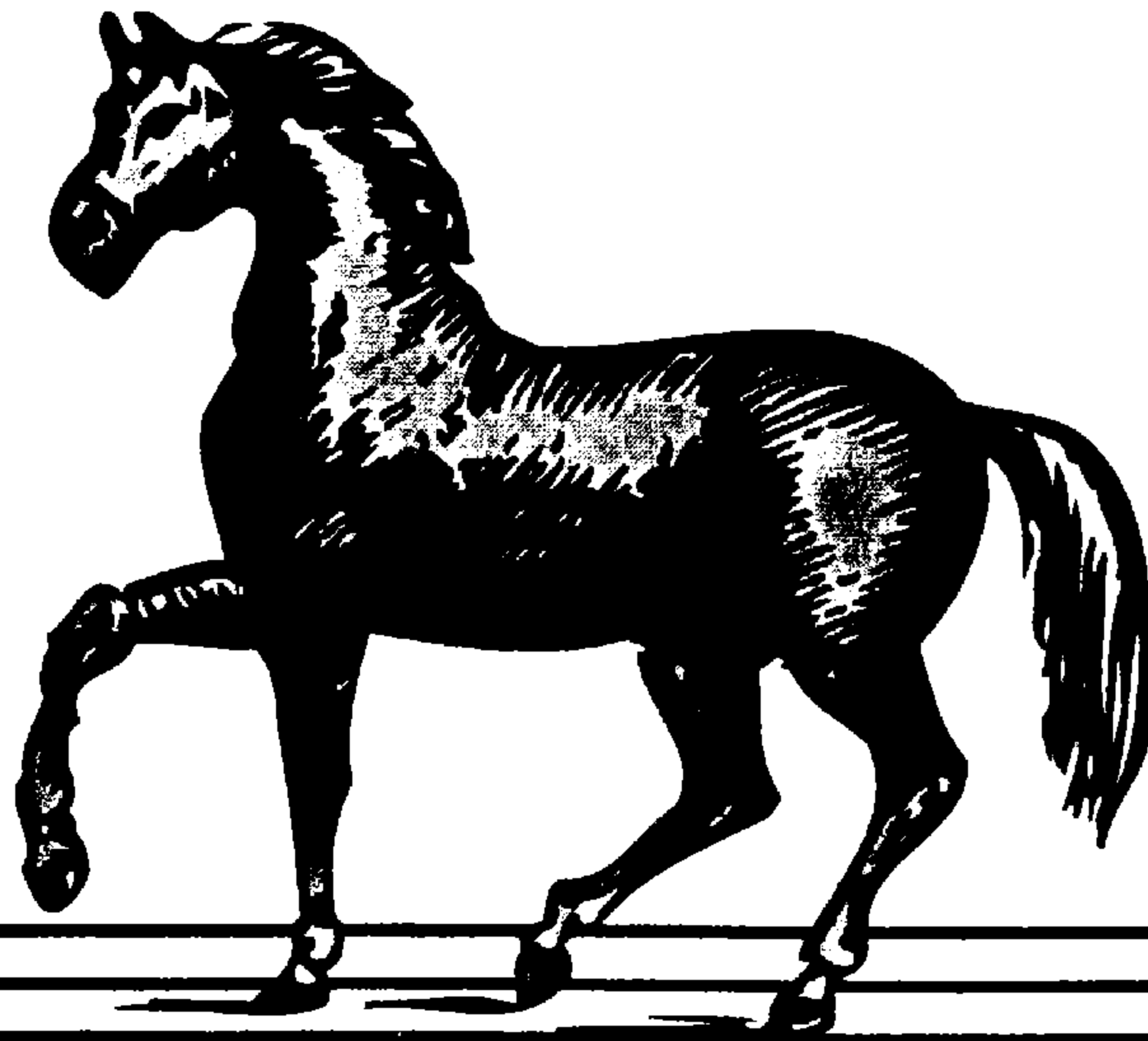
كما أخرج البخارى فى التاريخ الكبير عن همام بن منبه أنه قال: "سمعت ابن عباس يقول: ما رأيت أحداً أخلق للملك من معاوية، إن كان ليرد الناسُ منه على أرجاء وادٍ رحب، ولم يكن كالضيق الخضخض الحصر، أى قليل الخير!!"

\*\*\*





**معاوية ويزيد  
والملك العضوض**







بقى أن نقف عند نقطة أخرى يحاسب عليها (معاوية)؛ فإذا كان معاوية - كما ذكرنا - أهلاً لأن يلي الخلافة، وقد أثبت جدارته فيها.. فثمة نقطة ثانية هي أقل قبولاً لدى كثير من الناس، وهي ترشيحه لابنه يزيد، كى يلي الأمور بعده.. وهم يعترضون على هذا الترشيح من زاويتين:

- زاوية أنه حول الخلافة إلى وراثة وملك عضوض..

- وزاوية عدم جدارة يزيد، فقد كان هناك من هم أجدر منه..

أما فيما يتعلق بقضية تحويل الخلافة إلى ملك عضوض فالحكم فيها يقتضى الرجوع إلى أصول نظام الحكم فى الإسلام، وهل هناك - إذا ما استثنينا قاعدتى الشورى والعدل - إلزام بنظام معين..

وحتى الشورى - وهى قاعدة ملزمة - هل تتم بطريقة الانتخاب الجماعى أو بطريقة أهل الحل والعقد أو بطريقة أقرب الناس إلى إمكانية البيعة فى العاصمة؟ وحتى البيعة بالإكراه التى يلغىها الإمام مالك ويقول فيها:

(لا بيعة لمكره) هل تسمح - حتى ولو كانت بالإكراه - بالخروج الانقلابى الشورى وإحداث الفتن..؟ أو تسمح بما هو أقل من ذلك فحسب، مثل عدم التجاوب والسلبية فى العلاقة بالحاكم!!؟

وعندما بايع المسلمون بعد معاوية ابنه يزيد ولم يبق إلا ثلاثة نفر هم ابن الزبير والحسين وعبد الله بن عمر وأشياهم نساءل: هل تعتد بيعة يزيد باطلة؟ وهل البيعة تقتضى الإجماع أو الأغلبية؟.

وفى كل النظم البشرية يخضع توجيه الرأى العام للترغيب والترهيب والضغط الإعلامية وغيرها.. فهل تعد (الديمقراطية) فى نتائجها - باطلة لمجرد هذا الضغط التوجيهى!!؟



إننا إذا استعرضنا ما كتبه الطبرى<sup>(1)</sup> بشأن محاولة أخذ البيعة من الحسين وابن الزبير فسوف نجد أن الأمور قد عولجت بطريقة خاطئة، وتطورت - على غرار الفتنة بين علي ومعاوية - بشكل لم يكن متوقعاً من جميع الأطراف..

وقد كان محمد بن الحنفية أخو الحسين من أبصر الناس فى هذه الفتنة.. فقد رفض أن يخرج مع الحسين، وكان مشفقاً كل الإشفاق عليه من هذا الخروج، وقال له: "يا أخى أنت أحب الناس إلى وأعزهم على ولست أدخر النصيحة لأحد من الخلق أحق بها منك؛ تنح بتبعتك عن يزيد بن معاوية وعن الأنصار ما استطعت، ثم ابعث رسلك إلى الناس فادعهم إلى نفسك، فإن بايعوا لك حمدت الله على ذلك، وإن أجمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك، ولا تذهب مروءتك ولا فضلك، إنى أخاف أن تدخل مصراً من هذه الأمصار، وتأتى جماعة من الناس فيختلفون بينهم فمنهم طائفة معك وأخرى عليك فيقتلون فتكون لأول الأسته، فإذا خير هذه الأمة كلها نفساً وأباً وأمّاً أضيعها دمّاً وأذلها أهلاً، قال له الحسين: فلانى ذاهب يا أخى، قال: فانزل مكة (... ) حتى تستقبل الأمور استقبالاً، ولا تكون الأمور عليك أبداً أشكل منها حين تستدبرها استدياراً"<sup>(2)</sup>.

ويروى الطبرى - نقلاً عن الواقدي - أن عبد الله بن عمر لم يكن بالمدينة حين ورد نعى معاوية وبيعة يزيد، وأن ابن عمر وابن عباس لقيا الحسين وعبد الله بن الزبير وهما خارجان من المدينة يقصدان مكة فسألاه ما وراءهما فقال لهما ابن عمر (وأيدته ابن عباس): اتقيا الله ولا تفرقا جماعة المسلمين، ثم إن ابن عمر قدم فأقام أياماً فانتظر حتى جاءت البيعة من البلدان فبايع، وبايع ابن عباس<sup>(3)</sup>.

(1) انظر: تاريخ الرسل والملوك، 6/190.

(2) انظر: تاريخ الرسل والملوك 6/191.

(3) انظر: السابق، وانظر كذلك ابن العربي: العواصم من القواصم، ص: 231.



إن خروج الحسين على يزيد - مهما كانت دوافعه النبيلة التي لا نستطيع تجاهلها - أمر يحتاج إلى مناقشة تاريخية وشرعية معاً. وليس من الإنصاف التاريخي أن نبدأ بالحكم قبل هذه المناقشة، أو أن يكون لدينا جموح عاطفي يحول دون التقويم الموضوعي لمسار الأحداث وظروف القضية ومسئولية أطرافها جميعاً في ضوء مبادئ الإسلام التي كانت تحكم حركة هذا الجيل من الصحابة والتابعين!!.

ونتفق مع القاضي أبو بكر بن العربي فيما ذهب إليه: من أن معاوية ترك الأفضل في أن يجعلها شوري (...). فعدل إلى ولاية ابنه وعقد له البيعة وبايعه الناس وتخلف عنها مَنْ تخلف فانعقدت البيعة شرعاً؛ لأنها انعقدت بواحد وقيل باثنين<sup>(1)</sup>. وإن كنا نختلف مع ابن العربي في هذه المبالغة التي تصل إلى حدّ انعقاد البيعة بهذا العدد الضئيل!!

على أن الذي يؤخذ على معاوية كما يقول د/ ضياء الدين الريس أنه لم يفعل كما فعل أبو بكر، وهو أن يختار للأمة أفضل وأكفأ من فيها، ويعهد إليه بالأمر بعد أن يستشير الناس ويأخذ موافقتهم، فالعهد لابن لا يخلو - مع وجود الأسباب الأخرى - من دافع العاطفة وحب الولد والتحيز للأسرة، ثم لا يضمن دائماً أن يكون الولد أو القريب من الكفاءة والفضل؛ بحيث يكون أهلاً لهذا المنصب الخطير، فلا نستطيع أن نبرئ معاوية - مع ذلك - من حب الولد، وإيثار الأسرة بأن يظل الحكم فيها، وهذا هو النظام الوراثي أو الملك.

على أنه ينبغي أن نذكر تغير الزمن والظروف، فالوقت الذي كان المجتمع الإسلامي فيه محصوراً في المدينة، وكان العدد قليلاً؛ بحيث كان من الممكن اجتماع الناس وتشاورهم، وكانوا من التقوى والورع بالمكان الذي كانوا فيه، بحيث كان من اليسور اتفاقهم أو إجماعهم، هذا الوقت قد انقضى وتفرق

(1) أبو بكر بن العربي: العواصم من القواصم، 222، 144.



المسلمون في الأمصار، وكثرت الجماعات، وتعددت المذاهب، وظهرت العصبية، فصار من المتعسر اجتماع الناس أو اتفاقهم على أمر أو شخص، فنظام الشورى أو الاختيار والمبايعة العامة من كل فرد - وهو النظام المثالي والنظام الإسلامى الكامل - صار من الصعب تطبيقه فى ذلك الزمن؛ إذ إن الشعوب فى تلك الأزمان لم تكن قد تقدمت إلى المستوى الذى تستطيع فيه أن تضع دستوراً ثابتاً، له قواعد محددة يعرفها ويلتزم بها الجميع؛ وهيئة دائمة للترشيح، ونظاماً كفوفاً للإدارة؛ لإجراء الانتخابات العامة، كما تفعل الشعوب فى العصر الحديث؛ ولذا كانت الأمم والدول كلها تتبع نظام الوراثة، خوفاً من الاضطراب، ووقوع الفتن والمنازعات والحروب، وطلباً للاستقرار. وقد وجدت أمثال هذه الظروف فى المجتمع الإسلامى أيضاً، فأوجدت ضرورة اللجوء إلى نظام الوراثة.

هذا هو تفسير التاريخ للتحويل الذى طرأ على نظام الحكم فى الإسلام، وهو أن الظروف الواقعية صارت تقتضى أو تحتم ذلك، ولكن المثال، أو النظام المثالى ينبغى فى الوقت ذاته أن يظل ماثلاً فى الأذهان، ويحافظ عليه على أنه هو الذى يمثل نظام الحكم الحقيقى للإسلام، وتظل قواعد ومبادئ هذا النظام مقررة فى النظريات الإسلامية، ومدروسة ومعروفة بحيث يجب العودة إليها وتطبيقها، كلما صار ذلك ممكناً وكلما أتاحت الظروف<sup>(1)</sup>.

والواقع أن التكرار غير الواعى لمصطلح (الملك العضوض) يجرّد نظام الحكم القائم على (الوراثة) و(الشورى المحدودة) من كل الحسنات ويجعله (سبباً دائمة)، خضوعاً لبعض التجارب الديمقراطية المعاصرة التى بدأت تترنح مظهرة طابعها الشعائرى الماسونى الإلحادى الظلوم.

ومن جهة أخرى نسوق وجهة نظر مؤرخ لا يمكن إنكار مكانته: لقد عقد عبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ) فصلاً فى المقدمة؛ عالج فيه قضية انتقال

---

(1) انظر، د/ ضياء الدين الرئيس: النظريات السياسية الإسلامية، ص: 190، 191، دار التراث الإسلامى، القاهرة، ط/ السابعة، بدون تاريخ.





الخلافة إلى ملك، أى حين انتقلت من عصر الراشدين إلى العصر الأموى، وفرق بين نوعين من الملك: ملك وجهته الحق، وملك وجهته الباطل، فقرر أن الأول لا يذمه الشرع؛ لأنه مُلك يعمل للحق والصلاح، أما الثانى فهو المذموم، إذ وجهته الباطل ويعمل للظلم والبعى. ورأى ابن خلدون أن الخلافة انقلبت إلى ملك من النوع الأول، وأن هذا التحول كان لا بد أن يحدث نتيجة للعصبية.

يقول ابن خلدون: "ولما وقعت الفتنة بين على ومعاوية - وهى مقتضى العصبية - كان طريقهم فيها الحق والاجتهاد، ولم يكونوا فى محاربتهم لغرض دنيوى، أو لإيثار باطل، أو لاستشعار حقد - كما قد يتوهمه مُتوهمٌ وينزع إليه ملحد - وإنما اختلف اجتهادهم فى الحق، وسفّه كل واحد منهم صاحبه باجتهاده فى الحق فاقتلوا عليه، وإن كان المصيب عليًا، فلم يكن معاوية قائمًا فيها بقصد الباطل؛ إنما قصد الحق وأخطأ. ثم اقتضت طبيعة الملك؛ الانفراد بالمجد، واستئثار الواحد به نتيجة العصبية المتحكمة<sup>(1)</sup>."

وقد رصد ابن خلدون مدى التحول الذى حدث، فقرر أن الخلافة الراشدة - وإن كانت تحولت فى العصر الأموى إلى ملك - فإن معانى الخلافة قد بقيت، وإنما التغير كان فقط فى الوازع، فبعد أن كان دينًا انقلب عصبية وسيفًا. يقصد ذلك أنه بعد أن كان الناس يتصرفون بوازع الدين، والخلافة شورى، صار الحكم مستندًا إلى العصبية والقوة، ولكن أهداف الخلافة بقيت؛ أى أن غايات هذا الملك الأموى كانت لا تزال تحقيق مقاصد الحكم وفق الشريعة الإسلامية بالعدل، وتنفيذ الواجبات التى يأمر بها الإسلام؛ أى أن الحكم أو الملك استمر إسلاميًا وشرعيًا.

وفى هذا يقول ابن خلدون: "وكذا الملك لما ذمه الشارع لما يذم منه الغلب بالحق، وقَهْرَ الكافة على الدين، ومراعاة المصالح، وإنما ذمه لما فيه التغلب بالباطل، وتصرف الأدميين طوع الأغراض والشهوات. فلو كان الملك مخلصًا - فى غلبه للناس أنه لله، ولحملهم على عبادة الله وجهاد عدوه - لم يكن مذمومًا."

(1) د/ طه عبد المقصود: دراسات فى تاريخ الخلافة الأموية، ص: 82، بتصرف.



ثم يتحدث عن حكام الخلافة الأموية فيقول عنهم: "وهم - وإن كانوا ملوكًا - لم يكن مذهبهم في الملك مذهب أهل البطالة والبغى، إنما يكون متحرين لمقاصد الحق جهدهم، إلا في ضرورة تحملهم على نقضها، مثل خشية افتراق الكلمة الذي هو أهم لديهم من كل مقصد، يشهد لذلك ما كانوا عليه من الاتباع والاقتراء، وما علم السلف من أحوالهم. فقد احتج مالك في الموطأ بعمل عبد الملك بن مروان. وأما مروان فكان من الطبقة الأولى من التابعين وعدالتهم معروفة. ثم تدرج الأمر في ولد عبد الملك، وكانوا من الدين بالمكان الذي كانوا عليه. وتوسطهم عمر بن عبد العزيز فتزع إلى طريقة الخلفاء الراشدين والصحابة جهده ولم يهمل".

ويتهى ابن خلدون إلى الرأي الذي يراه قاطنًا في مشروعية الخلافة الأموية، فيقول: "فقد رأيت كيف صار الأمر إلى الملك وبقيت معاني الخلافة: من تحرى الدين ومذاهبه، والجرى على منهاج الحق، ولم يظهر التغير إلا في الوازع الذي كان دينًا ثم انقلب عصبية وسيفًا. وهكذا كان الأمر لعهد معاوية ومروان وابنه عبد الملك" (1).

ومع إخلاص هؤلاء الذين يدينون (الملك العضوض)، ولا يفرقون بينه وبين (الملك الجبري الظالم) الذي يمثله أصحاب الطبيعة الثورية الوحشية من قدامى ومعاصرين... مع إخلاص هؤلاء للإسلام ولتاريخه وحضارته؛ فإنهم يوجهون سهمًا كبيرًا لتاريخنا - يخدم الأعداء - حين يعالجون أمر نقل السلطة بهذه الطريقة (العائلية) أو (الملك العضوض)... ناسين أن تاريخنا - في معظمه - قد سار على هذا النمط... وهو - ككل النظم - له سلبياته وإيجابياته، بيد أن إيجابياته - على علته - أفضل بكثير من النظم الرئاسية والثورية الهائجة، كما أنه قد يمنع عن

(1) د/ طه عبد المقصود: المرجع السابق، ص: 84، بتصرف.



الأمة ويلات كثيرة عند (فاصل) انتقال السلطة، بدون ضوابط (وراثية)، ولا سيما أن الأمة الإسلامية لم تُبدع (النظام البديل) الذي يمنع وقوع الفتن، ويداول السلطة دون حروب ودماء، وفاقاً لنظام سياسى صارم يحكمه الدستور والقانون!!

وقد كان الشيخ/ محمد الغزالي - رحمه الله - على علمه وفضله - يقول متعجباً وناقداً لتاريخنا بالجملة: كيف يمكن أن يحكم تاريخنا أربع أسر؟ فقلت له: إن هذه الأسرات الكبرى الحاكمة هي التي قادت صناعة الحضارة الإسلامية... فالأمويون هم فاتحو العالم، والعباسيون هم صناع الحضارة الذين قال عنهم (ول ديورانت) في موسوعته (قصة الحضارة): إن إشعاعات علوم العباسيين ومعارفهم سادت العالم لعشرة قرون - أى بعد سقوطهم بأربعة قرون (وأنت لا ترى فيهم إلا أنهم أسرة وراثية حاكمة...!!) وأما (الأيوبيون) فقد صدوا الغزوة الصليبية، كما أن العثمانيين حموا العالم الإسلامى ونشروا الإسلام لخمسة قرون؟!!!

فجوهر القضية ليس فى الآليات - فحسب - بل إن الثمار والنتائج يجب أن تؤخذ فى الاعتبار...

\*\*\*

ومرة أخرى... ما زلتُ أدعو إلى تشريح نظامنا السياسى الإسلامى تشريحاً جديداً يجمع بين المثال والممكن، ولئن كان بعضهم يحاول إخضاعه الآن للديمقراطية المعاصرة، فأولى بنا أن نحلله تحليلاً ينسجم مع تجربتنا فى التاريخ - فى الإطار الذى تقبله الشرعية والثوابت وفقههما والطبيعة العربية والإسلامية... وإلا فإننا سننتهى من تحليلنا إلى إدانة أكبر مساحة زمنية وإيجابية فى تاريخنا... ونكون - بالتالى - قد اتفقنا مع الذين يعمدون إلى تشويه هذا التاريخ، ونكون قد قدمنا مزيداً من الافتراءات على هذا التاريخ!!

والعبرة - فى النهاية - ليست وقفاً على جانب واحد من جوانب الحضارة؛ بل إنما تقوم الأمور بمجموع فعالياتها وآثارها.



ونحن نظن أن الشيخ (محمد الخضرى) كان يعمد - فى فلك هذه الرؤية الهادفة - إلى إنصاف (الأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى) - مهما يكن ثمة مآخذ على أسلوبها السياسى فى تولى السلطة وانتقالها - حين صرّح فى كتابه<sup>(1)</sup>: بأن فكر معاوية فى اختيار الخليفة حسنٌ جميلٌ ما دام لم توضع (قاعدة لانتخاب الخلفاء)، ولم يعين أهل الحل والعقد الذين يرجع إليهم الاختيار، وقد فعل معاوية ما يظهر معه أنه لم يستبدّ بالأمر دون الأمة.

لكن الناس - مع ذلك - انتقدوه فى أنه استهان بأولئك النفر الذين لم يرضوا ببيعة يزيد، وهم من سادة الأمة. وأنه اختار ابنه للخلافة، وبذلك سنّ فى الإسلام سنة الملك المنحصر فى أسرة معينة، بعد أن كان أساسه الشورى ويختار من عامة قريش، وقالوا إن هذه الطريقة التى سنّها معاوية تدعو فى الغالب إلى انتخاب غير الأفضل الأليق من الأمة.

ثم يعقب الشيخ (محمد الخضرى بك) على هذه المآخذ قائلاً:

أما رأينا فى ذلك فإن هذا الانحصار كان أمراً لا بد منه لصالح أمر المسلمين وألفتهم ولم شعئهم، فكلما اتسعت الدائرة التى منها يختار الخليفة كثر الذين يرشحون أنفسهم لنيل الخلافة، وإذا انضم إلى ذلك اتساع المملكة الإسلامية وصعوبة المواصلات بين أطرافها وعدم وجود قوم معينين يرجع إليهم الانتخاب فإن الاختلاف لا بد واقع.

وأعظم من يتقد معاوية فى تولية ابنه هم الشيعة مع أنهم يرون انحصار ولاية الأمر فى آل على، ويسوقون الخلافة فى بنيه يتركها الأب منهم للابن، وبنو العباس أنفسهم ساروا على هذه الخطة فجعلوا الخلافة حقاً من حقوق بيتهم لا يعدوهم إلى غيرهم<sup>(2)</sup>!!

(1) الدولة الأموية، ص 447، 448، نشر دار القلم بمصر.

(2) محمد الخضرى: الدولة الأموية، ص: 447، 448.





أما العلامة عبد الرحمن بن خلدون فيقدم تحليلاً رائعاً في مقدمته، حول استخلاف معاوية لابنه يزيد، وهو تحليل يعالج النقطتين اللتين أشرنا إليهما معاً (الملك العضوض، وشخصية يزيد).

إن مؤرخنا العظيم ابن خلدون - حين يتكلم في هذه القضية - يؤكد في البداية أنه لا يجوز أن يظن (بمعاوية) توليته ليزيد وهو يعتقد ما كان عليه من الفسق - (حاشا لله لمعاوية من ذلك) - والذي دعا معاوية لإيثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه إنما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد عليه حيثئذ من بني أمية؛ إذ بنو أمية يؤمئذ لا يرضون سواهم وهم عصابة قريش، وأهل الملة أجمع، وأهل الغلب منهم، فأثره بذلك دون غيره، ممن يُظن أنه أولى بها، وعدك عن الفاضل إلى المفضول حرصاً على الاتفاق واجتماع الأهواء الذي شأنه أهم عند الشارع .

- ولا يُظن بمعاوية غيرُ هذا فعدَّالته وصُحْبته مانعة من سوى ذلك .

- وحضور أكابر الصحابة لذلك وسكوتهم عنه دليل على انتفاء الريب فيه، فليسوا ممن يأخذهم في الحق هوادة، وليس معاوية ممن تأخذه العزّة في قبول الحق، فإنهم كلهم أجلُّ من ذلك، وعدالتهم مانعةٌ منه، وفرار عبد الله بن عمر من ذلك محمول على تورّعه من الدخول في شيء من الأمور مباحاً كان أو محظوراً كما هو معروف عنه، ولم يبق في المخالفة لهذا العهد الذي اتفق عليه الجمهور إلا (ابن الزبير) وندور المخالف معروف، ثم إنه وقع مثل ذلك من بعد معاوية من الخلفاء الذين كانوا يتحرّون الحق ويعملون به مثل عبد الملك وسليمان من بني أمية والسفّاح والمنصور والمهدى والرشيد من بني العباس وأمثالهم ممن عُرِفَ عدالتهم وحُسن رأيهم للمسلمين، والنظر لهم، ولا يُعاب عليهم إيثار أبنائهم وإخوانهم وخروجهم عن سنن الخلفاء الأربعة في ذلك، فشأنهم غير شأن أولئك الخلفاء، فإنهم كانوا على حين - أي في ظروف - لم تحدث طبيعة الملك،



وكان الوازع دينياً فعند كل أحدٍ وازعٌ من نفسه، فعهدوا إلى من يرتضيه الدين فقط، وآثروه على غيره ووكلوا كلَّ مَنْ يسمو إلى ذلك إلى وازعه.

- وأما مَنْ بعدهم من لدن معاوية فكانت العصبية قد أشرفت على غايتها من الملك، والوازع الدينى قد ضعُف واحتيج إلى الوازع السلطاني والعصباني، فلو عُهدَ إلى غير من ترتضيه العصبية لردّت ذلك العهد وانتقض أمره سريعاً وصارت الجماعة إلى الفرقة والاختلاف (...).

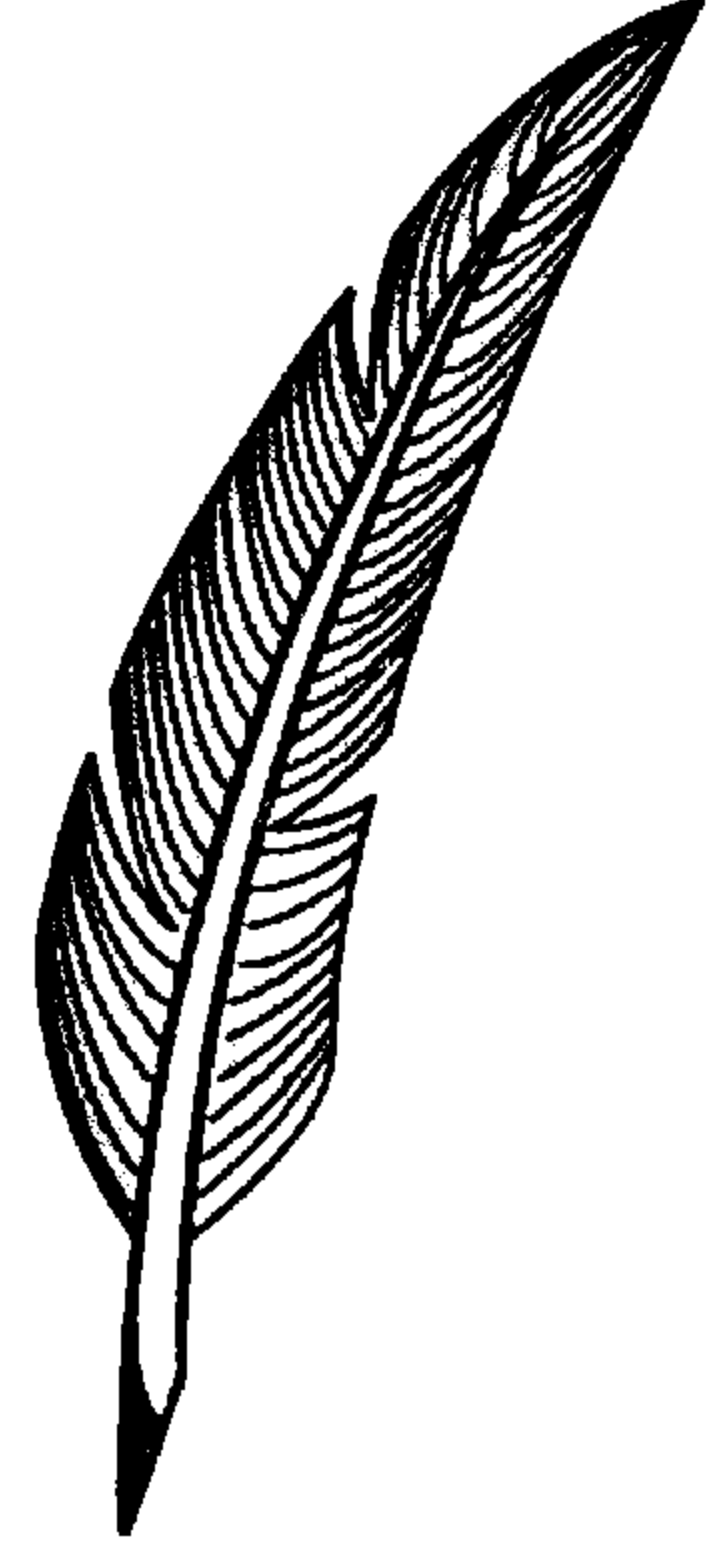
- أفلا ترى إلى المأمون لما عهد إلى عليّ بن موسى بن جعفر الصادق وسمّاه الرضا كيف أنكرت العباسية ذلك، ونقضوا بيعته، وبايعوا عمه إبراهيم بن المهدي، وظهر من الهرج والخلاف وانقطاع السبل وتعدد الثوار والخوارج ما كاد أن يصطلم الأمر حتى بادر المأمون من خراسان إلى بغداد، وردّ أمرهم لمعاهده، فلا بد من اعتبار ذلك في العهد، فالعصور تختلف باختلاف ما يحدث فيها من الأمور والقبائل والعصبيات، وتختلف باختلاف المصالح، ولكل واحد منها حكم يخصه لطفاً من الله بعباده<sup>(1)</sup>.

\*\*\*

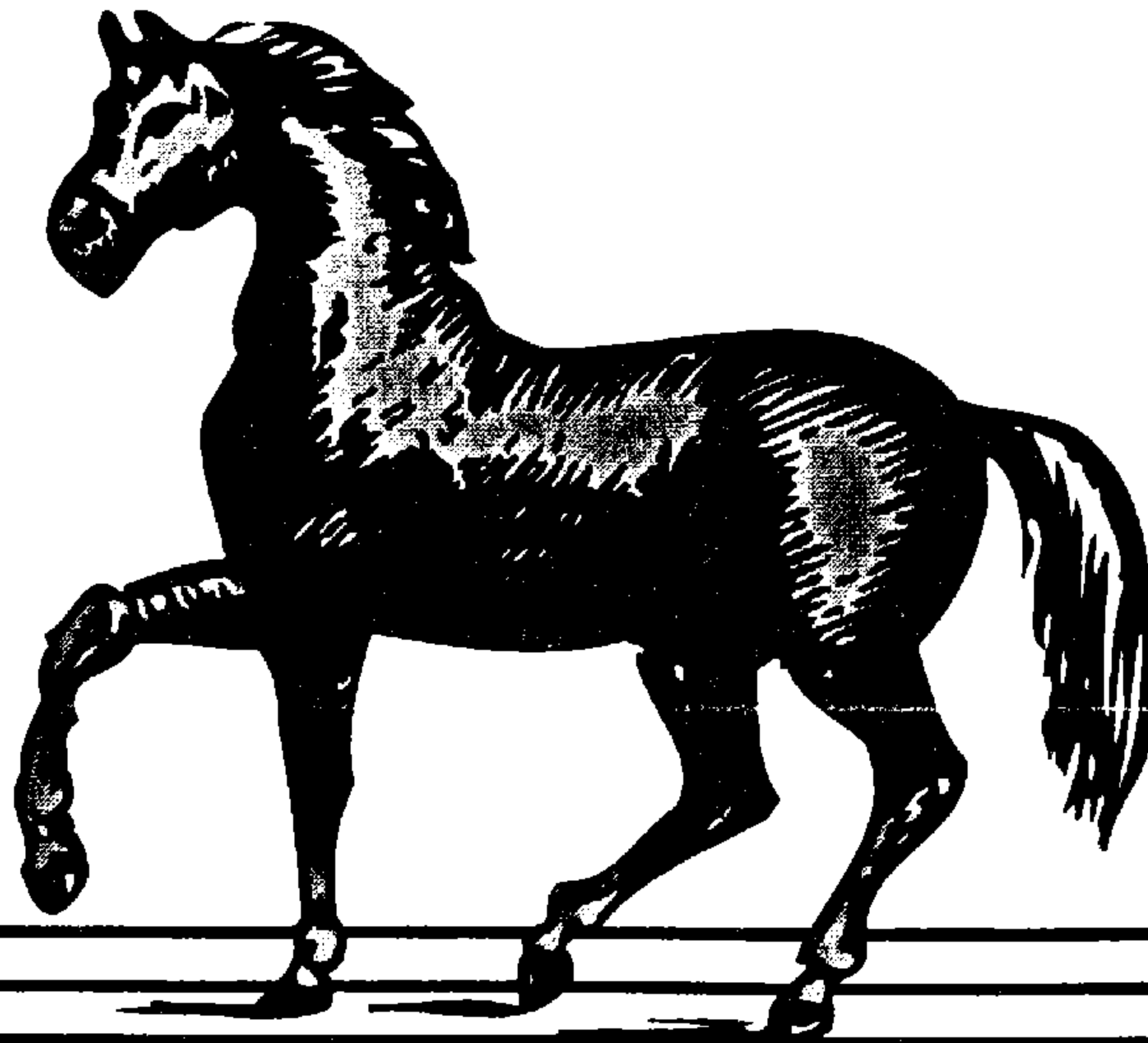
---

(1) المقدمة، تحقيق د/ عبد الواحد وافى 593/2، دار نهضة مصر، القاهرة (2006م).





**أسس استخلاف  
معاوية لابنه يزيد**







بنى معاوية بن أبي سفيان دعوته لاستخلاف يزيد على أسس ثلاثة:

الأول: الحرص على وحدة الجامعة الإسلامية، وائتلاف كلمة المسلمين، وانتظام حياتهم، وتجنبيهم عوامل الاختلاف والفرقة، وقد عبر معاوية عن ذلك حيث قال لعبد الله بن عمر: "إنى خفت أن أذر الرعية من بعدى كالغنم المطيرة، أى: المتفرقة ليس لها راع"، وفي رواية أخرى: "إنى أرهب أن أدع أمة محمد بعدى كالضأن لا راعى لها".

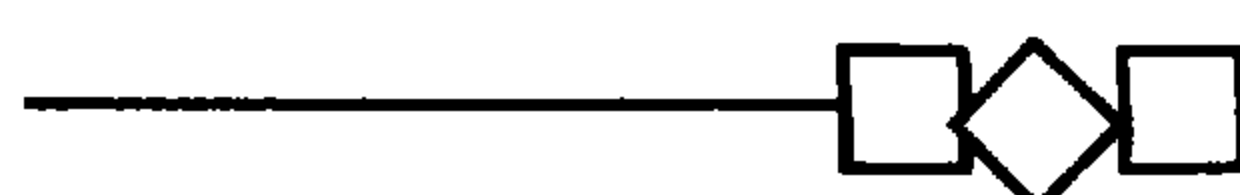
ولا شك فى أن ذكريات الفتنة التى وقعت منذ مقتل الخليفة عثمان رضى الله عنه وما تبعها من حروب بين المسلمين فى موقعى الجمل وصفين، وما نتج عنهما من دماء، مع تعرض مكانة الدولة نفسها للانتقاص، وأطماع الأعداء المتربصين بها؛ لا تزال حاضرة فى الأذهان، تثير القلق والخوف، وهذا يفسر قول معاوية: "فلهذا رأيت أن أبايع ليزيد لما وقع فيه الناس من الاختلاف".

الثانى: كان معاوية يعتقد أن ابنه يزيد قد جمع صفات الرئاسة من شرف النسب، وكرم المنبت، ورحابة الصدر، وسماحة الخلق، وحصافة الرأى، كما جمع صفات الإمامة الإسلامية من معرفته بالكتاب والسنة، وممارسته للسياسة ونهوضه بأعباء الحكم، ودقة فى تدبير الأمور فى الحرب والسلم، وحسن السيرة وغيره مما كان منصب الخلفاء يتطلبه.

وقد عبر معاوية عن ذلك فى خطبة له: "اللهم إن كنت تعلم أنى وليته؛ لأنه فيما أراه أهل لذلك فأتمم له ما وليته، وإن كنت وليته لأنى أحبه فلا تتم له وليته".

وقال لأهل المدينة حين زارها سنة (59هـ): "من أحق بالخلافة من ابنى يزيد

فى فضله، وهديه، ومذهبه، وموضعه من قريش".



وقال لزعماء أهل المدينة حين لقيهم بمكة: "والله لو علمت مكان أحد هو خير للمسلمين من يزيد لبايعت له".

الثالث: كان معاوية يدرك أن أهل الشام لن يسمحوا بخروج الخلافة منهم، بعد أن أحسوا بالمكانة العالية التي اكتسبوها طوال عشرين عاماً من خلافة معاوية، وبالثقة الكبيرة في بنى أمية؛ الذين عايشوهم نحو عشرين عاماً من خلافة معاوية<sup>(1)</sup>.

وبالنسبة ليزيد بن معاوية - بخاصة - فقد شكك في كثير مما نسب إليه كثيرون - منهم - إلى جانب ابن خلدون - الإمام أبو حامد الغزالي، وابن الصلاح، وأبو بكر بن العربي، وشمس الدين أبو عبد الله محمد بن طولون الصالحى الدمشقى المتوفى سنة 953هـ، والذي كتب كتابه المعروف (قيد الشريد من أخبار يزيد)<sup>(2)</sup>، يدافع فيه عن يزيد، ويقدم بعض الحقائق حول ما يريد بعضهم تثبيته حول مسئولية يزيد (الكاملة) عن قتل الإمام الشهيد (الحسين بن على) وشماتته في قتله، وعبثه برأسه، ومسئوليته (الكاملة) عن موقعة (الحرّة) . . . وعدم معالجة الأمور بالقسط، للوصول إلى نسبة محدّدة في المسئولية . . . ذلك أن القول بعدم المسئولية نوع من التدليس لا نقبله ولا نقره؛ فمسئولية يزيد قائمة لا يمكن المماراة فيها . . . لكن في الوقت نفسه لا يمكن تجاهل ظروف الطرف الآخر ومستوى نصيبه من المسئولية . . . لأن هذا هو (القضاء العادل)، وهو (المنهاج الموضوعى) في التقويم التاريخى والعلمى . . . !

ونقدم هنا - باختصار - بعض النصوص المتصلة بيزيد، التماساً لتخفيف الحكم - لا لإلغائه - وكذلك تعميقاً لمنهجية (العدل والموضوعية والحيدة) في

(1) راجع: د/ حسين عطوان: نظام ولاية العهد ووراثة الخلافة، ص: 33، 34، محمود شاكر، التاريخ الإسلامى، (4/119)، نقلاً عن: د/ طه عبد المقصود: دراسات في تاريخ الخلافة الأموية، ص: 80، 81، دار الهانى، القاهرة - ط/ الأولى 2004م.

(2) بتحقيق الدكتور كرم حلمى فرحات، نشر دار عين بالقاهرة ط/ 1/ 2005.



البحث التاريخي، بعيداً عن ضغط العواطف والأحكام المطلقة والموروثة، التي يقف وراء كثير منها أصحاب النزعات الباطنية وأعداء بني أمية من أبناء الدول والثقافات التي هزمها بنو أمية... قادة الفتوحات الكبرى في تاريخ الإسلام.

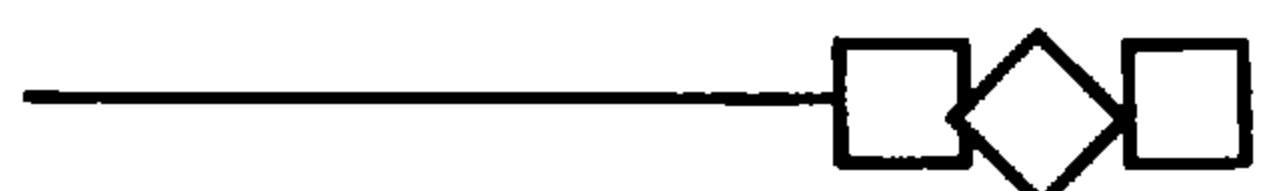
ونبدأ بالنص الأول، أو بالشهادة الأولى، وهي لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي (ت 505هـ) فقد سُئل حجة الإسلام عمن يصرح بلعن يزيد بن معاوية، هل يحكم بفسقه أم لا؟ وهل كان راضياً بقتل الحسين بن علي أم لا؟ وهل يسوغ الترحم عليه أم لا؟ فأجاب الغزالي: لا يجوز لعن المسلم أصلاً، ومن لعن مسلماً فهو الملعون، وقد قال ﷺ: «ليس المسلم بلعان»، وكيف يجوز لعن المسلم وقد نهينا عن لعن البهائم، وحرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة، بنص حديث النبي ﷺ.

وقد صح إسلام يزيد بن معاوية، وما صح قتله الحسين، ولا أمر به، ولا رضاه بذلك، ولا كان حاضراً حين قتل، وهما لا يصح ذلك منه، ولا يجوز أن يُظن ذلك به، فإن إساءة الظن أيضاً بالمسلم حرام.

وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ...﴾ [الحجرات]، وقال النبي ﷺ: «إن الله حرّم من المسلم دمه وماله وعرضه، وأن يُظن به ظن السوء» [متفق عليه].

ومن زعم أن يزيد أمر بقتل الحسين أو رضى به فينبغي أن يعلم أن به غاية الحماسة، فإن من قتل الملوك والأمراء والكبراء بحضرتنا، لو أردنا أن نعلم حقيقة الأمر: مَنْ الذي أمر بقتله، ومن الذي يرضى به ومن الذي كرهه؟ لم نقدر على ذلك، وإن كان قد قتل في جوارنا وزماننا ونحن نشاهده، فكيف بمن قتل في بلد بعيد، وفي زمن بعيد<sup>(1)</sup>، إنها شهادة علمية تدلّ على عقلية أبي حامد الغزالي الفذة!!

(1) عبد السلام هارون: تهذيب الإحياء 2/ 52، نقلاً عن: قيد الشريد، ص 119- 121.



وفى فتاوى الشيخ (تقى الدين بن الصلاح) مسألة: هل يعتقد أن يزيد بن معاوية أمر بقتل الحسين بن عليّ ورضى به طوعاً منه لا كرهاً واختار ذلك؟  
أجاب: لم يصح عندنا أنه أمر بقتل الحسين رضى الله عنه، والمحفوظ أن الأمر بقتاله المفضى إلى قتله (كرمه الله) هو عبيد الله بن زياد والى العراق إذ ذاك.  
وأما سبّ يزيد ولعنه فليس ذلك من شأن المؤمنين، وإن صحّ أنه قتله أو أمر بقتله<sup>(1)</sup>.

قال الحافظ أبو القاسم التيمى الطلحى الأصبهاني فى كتابه (الحجة فى بيان المحجة) فى الفصل الذى عقده عن يزيد بن معاوية وحاله: حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن نافع لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده وقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة» وأنا بايعنا هذا الرجل على بيعة الله ورسوله، وإنى لا أعلم غدرًا أعم من أن يبايع رجل على بيعة الله ورسوله ثم ينصب له القتال، وإنى والله لا أعلم أحدًا منكم خلعه ولا تابع فى هذا الأمر إلا كانت الفصيل (أى القطيعة) بينى وبينه.

وقال عبد الرحمن بن أبى مذعور: حدثنى بعض أهل العلم قال: آخر ما تكلم به يزيد بن معاوية: (اللهم لا تؤاخذنى بما لم أحبه، ولم أردّه، واحكم بينى وبين عبيد الله بن زياد)<sup>(2)!!</sup>

\*\*\*

وهذه النقول - وغيرها كثير - ما أردتُ منها اتّخاذ موقف معين، ولا التعصّب لبعض بنى أمية أو لكلهم، وما أردتُ - علم الله - تبرير أخطائهم وتحويلها إلى قاعدة، وما أردتُ تفضيل نظام (الأسرات الإسلامية) على النظام الراشدى، أو على أىّ نظام إسلامى سياسى يصل إليه (الفقه الإسلامى المعاصر)

(1) ابن طولون: قيد الشريد، ص 123.

(2) المرجع السابق، ص 111، 129.





ياخذ بأكبر قدر من الشورى، ويعبر عن أكبر قدر من أبناء الأمة أو الوطن، ويكون محكوماً بالإسلام لا بضغوط الفكر الليبرالى الديمقراطى الذى افتضح أمره فى التجربة الأمريكية المعاصرة [عصر بوش وحربه العالمية الديمقراطية على الإسلام والمسلمين باسم الديمقراطية، بينما هو أكبر خائن للديمقراطية فى داخل أمريكا وخارجها]...

كما أن أهل البيت لهم مكانتهم التى لا يمكن مقارنتها بالأمويين أو غيرهم، (فحبُّهم دين ونحن نتعبُد لله بالصلاة عليهم).

وإنما أردتُ من كل ما سقته الدفاع عن وجهات النظر الأخرى التى يُراد مصادرتها، وإصدار (صكوك حرمان) بشأنها، فالبحث التاريخى والإنسانى لا يعرف هذا الحرمان... وصفحات التجديد والرأى فيه موصولة دائماً وباقية ما بقى العقلُ يعمل والتطور يتلاحق.

وكل ذلك يصبُّ فى مصلحة تجربتنا الحضارية الإسلامية فى التاريخ، وهذا بيت القصيد حتى تبقى بين الخلف والسلف وشائج الحبِّ والتقدير فى إطار الاعتراف باحتمالات الخطأ والصواب التى تفرضها الطبيعة البشرية!!

\*\*\*

وأياً كان الأمر فلم يكن يزيد كما وصفوه؛ بل هو من الطبقة الأولى من التابعين، وعنه قال عبد الله بن عباس: إذا ذهب بنو حرب ذهب علماء الناس... وقد علمه أبوه العدل والإنصاف والتواضع، وأرسله لغزو القسطنطينية سنة (49هـ)، وكان تحت إمرته كبار الصحابة كابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وأبى أيوب الأنصارى... وهذا الجيش الذى قاده يزيد؛ هو الجيش الذى وعده الرسول بالمغفرة حيث قال: "أول جيش يغزو مدينة قيصر مغفور له" (1)، وقد شهد له محمد بن الحنفية شهادة صدق، ودافع عنه دفاع حق ضد

(1) ابن كثير: البداية والنهاية 277/8.



خصومه<sup>(1)</sup>، كما روى البخارى موقف عبد الله بن عمر من بيعة يزيد، ورفضه  
الغدر بالبيعة<sup>(2)</sup>.

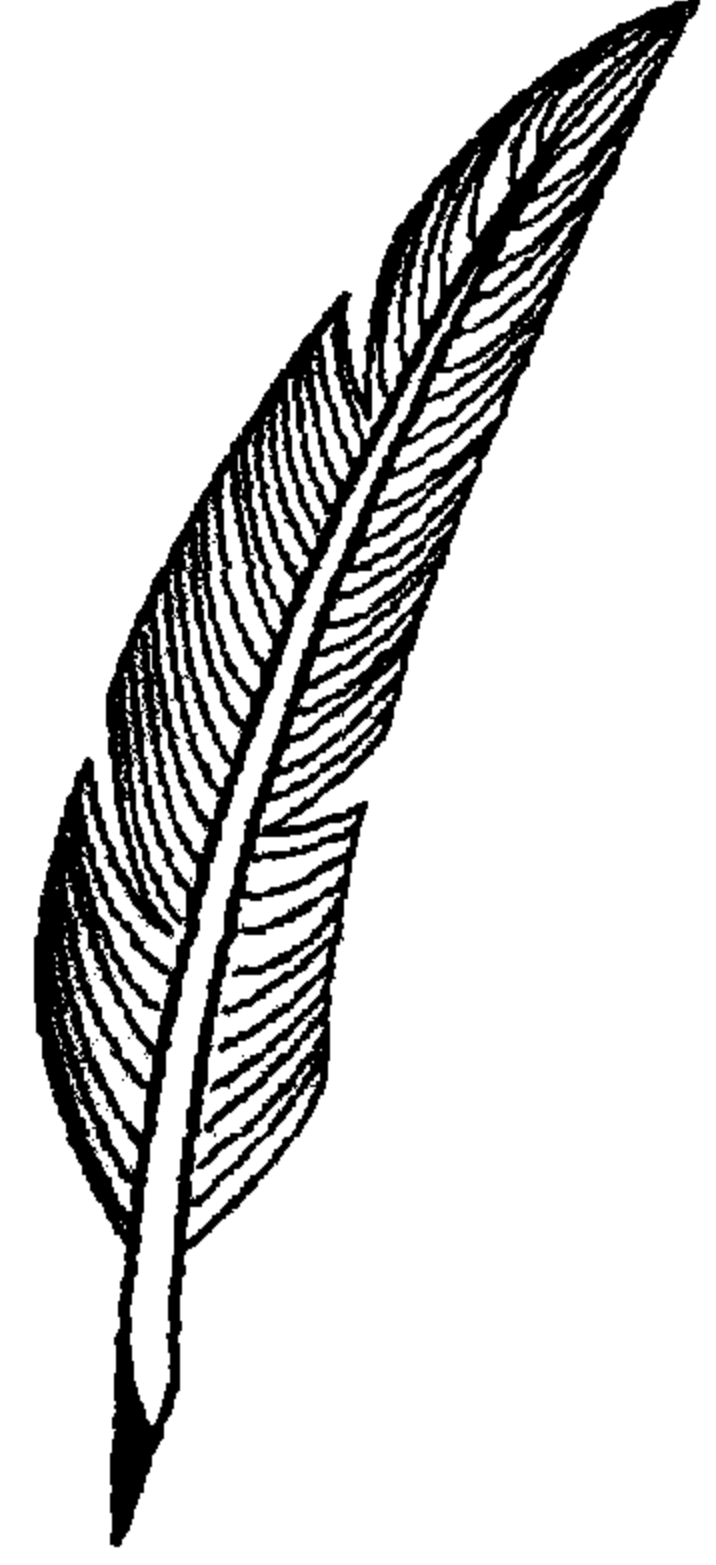
\*\*\*

---

(1) انظر: العواصم من القواصم، ص: 227، 228 حاشية.

(2) انظر السابق، ص: 224، وانظر د/ عبد الشافى عبد اللطيف: مرجع سابق، ص: 128-

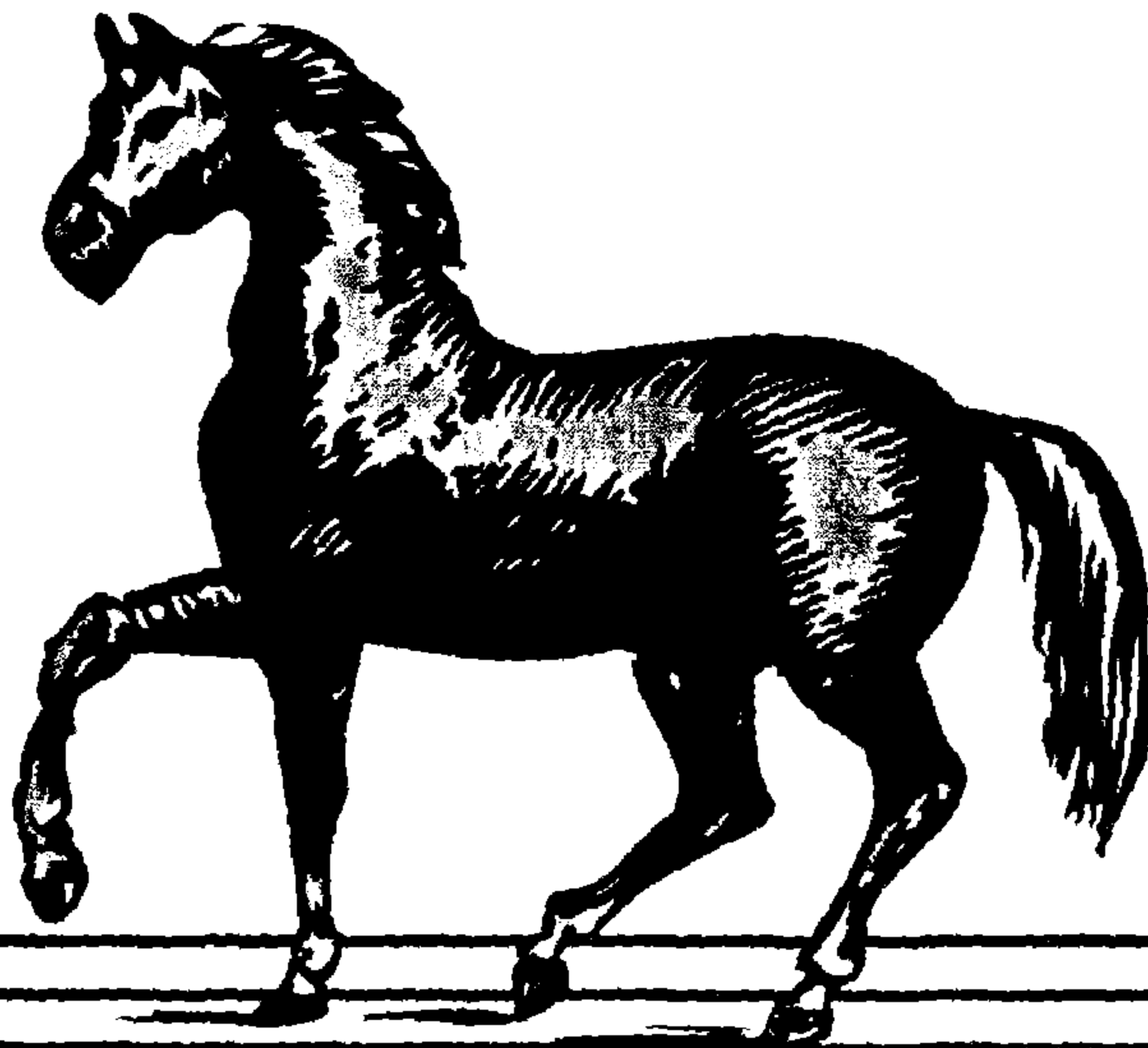




**المغيرة بن شعبة**

**وقضية اتهامه بتحريض معاوية على**

**نحويل الخلافة إلى الملك**





هو المغيرة بن شعبة بن أبي مسعود الثقفي<sup>(1)</sup>، يُكنى: أبا عبد الله، أسلم عام الخندق سنة (5هـ)، وشهد الحديبية سنة (6هـ)، وكان موصوفاً بالدهاء، ووحدة الذكاء، وسرعة البديهة؛ قال عامر الشعبي: دهاة العرب أربعة: معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وزياد؛ فأما معاوية بن أبي سفيان فللأناة والحلم، وأما عمرو بن العاص فللمعضلات، وأما المغيرة فللمبادهة، وأما زياد فللصغيرة والكبيرة...

وقال قبيصة بن جابر: صحبت المغيرة فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بالمكر، لخرج المغيرة من أبوابها كلها.

وقال الطبري: كان لا يقع في أمر إلا وجد له مخرجاً، ولا يلتبس عليه أمران إلا ظهر الرأي في أحدهما؛ ولذلك كان يقال له: مغيرة الرأي.

ومن الأخبار الماثورة عنه، والدالة على شدة ذكائه، وسعة حيلته؛ أنه أراد أن يكون آخر الناس عهداً برسول الله ﷺ قبل دفنه، فخلع خاتمه وألقاه في اللحد، ثم استأذن في إحضاره قبل أن يغلق القبر، فكان آخر الناس عهداً بالنبي ﷺ.

وقد شارك المغيرة بن شعبة في حركة الفتوحات الإسلامية أيام أبي بكر الصديق مشاركة فاعلة فيها أمانة وإخلاص وتفان؛ من أجل إعلاء كلمة الله، ورفع راية الإسلام؛ حتى لقد فقد إحدى عينيه في موقعة اليرموك.

ونظراً لكفاءته ومواهبه فقد استعمله عمر بن الخطاب على البصرة، فظل والياً عليها إلى أن عزله عمر سنة (17هـ)؛ بعد أن اتهم بالزنا. وقد قام عمر بن الخطاب بالتحقيق في هذا الاتهام؛ فثبتت براءة المغيرة؛ حيث شهد عليه ثلاثة هم:

---

(1) راجع في ترجمته: ابن الأثير: أسد الغابة (5/247، 248)، ابن سعد: الطبقات الكبرى (4/345)، التاريخ الكبير للبخاري (7/175)، تاريخ دمشق لابن عساكر (14/391).





أبو بكره الثقفى؁ ونافع بن الحارث بن كلده الثقفى؁ وشبل بن معبد بن عتفة بن الحارث البجلى؁ وامتنع من الشهادة زفاد بن عبفد الذى قفل له ففما بعد: زفاد بن أبف سففان .

فجلد عمر الشهود الثلاثة حد القذف؛ لأن الشهادة لم تكتمل؁ وقال: الحمد لله الذى لم فشمث الشفطان بأصحاب محمد ﷺ .

ففد أن عمر بن الخطاب عزل المغيرة بن شعبة وولى مكانه أبا موسى الأشعرى من باب الاحتفاط؁ ومراعاة المصلحة العامة؁ وإن ولاه ففما بعد على أماكن أخرى .

وكان عمر بن الخطاب مقتنعاً تماماً ببراءة المغيرة بن شعبة؁ وأن التهمة الموجهة إلفه من أهل البصرة محض افتراء؛ ولذلك نراه فستعمل المغيرة بن شعبة على الكوفة؛ ففث روى أن عمر استشار الصحابة ففمن فولى على أهل الكوفة؁ فقال لهم: من فعذرنى من أهل الكوفة؛ إن استعملت فلفهم عففاً استضعفوه؁ وإن استعملت فلفهم قوفاً فجروه - أى: اتهموه بالفجور ظلماً - ثم قال: أفاها الناس؁ ما تقولون فى رجل ضعف ففر أنه مسلم فقى؁ وآخر قوى مشدد؁ أفاها الأصلح للإمارة؁ فقال المغيرة بن شعبة: فف أمفر المؤمنف إن الضعف المسلم إسلامه لنفسه؁ وضعفه فلفك وعلى المسلمف؁ والقوى المشدد فشداده على نفسه؁ وقوته لك وللمسلمف؁ فقال عمر: صدقت فف مغيرة؁ ثم ولاه الكوفة .

وقد استعمل معاوية بن أبف سففان المغيرة بن شعبة على الكوفة؁ قال ابن عسافر: اقتدى معاوية فى ذلك بعمر وعثمان - رضى الله عنهما - ففث سبق لهما فعففن المغيرة على صلاة الكوفة دون خراجها .

وفتتهم المغيرة بن شعبة بأنه أحد من أسهموا فى الانحراف بالخلافة نحو الملك العضوض؁ أو ما فشببه؛ ففث تتفق أكثر الروافى على أن المغيرة بن شعبة هو الذى أوحى إلى معاوية بفكرة ولاية العهد؁ وأنه هو الذى أشار فلفه بأن فرشح



ابنه يزيد لهذا المنصب، وكان المغيرة آنذاك والياً لمعاوية على الكوفة، ويذكر ابن الأثير أن "ابتداء ذلك وأوله كان من المغيرة بن شعبة".

وقد شرح المغيرة لمعاوية مبررات هذا الاقتراح ودوافعه حين وفد إليه بدمشق، وقال له: "يا أمير المؤمنين قد رأيت ما كان من سفك الدماء، والاختلاف بعد عثمان، وفي يزيد منك خلف فاعقد له، فإن حدث لك حادث كان كهفًا للناس، وخلفًا منك، ولا تسفك دماء، ولا تكون فتنة" (1).

وتدلنا الروايات التاريخية على أن معاوية قبل اقتراح المغيرة، وشرع في تنفيذه، وإن كان من المحتمل أنه فكر في استخلاف يزيد قبل أن ينبهه المغيرة إلى ذلك؛ ولكنه كان ينتظر الظروف المناسبة لأخذ البيعة له، ويمكن أن يستدل على ذلك بقول ابن كثير: "وقد كان معاوية لما صالح الحسن بن علي عهد للحسن بالأمر من بعده، فلما مات الحسن قوى أمر يزيد عند معاوية، ورأى أنه لذلك أهل، وذاك من شدة محبة الوالد لولده، ولما كان يتوسم فيه من النجاة الدنيوية، وسيما أولاد الملوك، ومعرفتهم بالحروب، وترتيب الملك، والقيام بأبهته، وظن ألا يقوم أحد من أبناء الصحابة في هذا المعنى" (2).

وتذكر المصادر التاريخية أن معاوية أمر المغيرة أن يعمل في بيعة يزيد بالكوفة، فعرض الأمر على من يثق به، فأجابوه إلى بيعته، فأوفد المغيرة وفداً من أهل الكوفة إلى معاوية، فحببوا إليه البيعة ليزيد، ودعوه إلى عقدها.

وأرسل معاوية إلى زياد والي البصرة يستشيريه في بيعة يزيد، فأشار عليه بالتؤدة، وألا يعجل، فقبل معاوية منه؛ ولكن حين توفي زياد سنة (53هـ) قوى عزم معاوية على البيعة ليزيد بولاية العهد، فكتب إلى مروان بن الحكم والي المدينة يقول: "إني قد كبرت سني ودق عظمي وخشيت الاختلاف على الأمة

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ 3/349، بيروت - دار صادر (1979م).

(2) ابن كثير: البداية والنهاية (4/577).



بعدي، وقد رأيت أن أتخير لكم من يقوم بعدي، وكرهت أن أقطع أمراً دون مشورة من عندك". وكذلك كتب معاوية إلى عماله أن يوفدوا إليه الوفود من الأمصار، فقدمت عليه الوفود من البصرة والكوفة والمدينة، فحدث اجتماع أو شبه مؤتمر، وتكلم الخطباء فأعربوا عن تأييد البيعة، وباع أكثر الناس ليزيد، وذلك سنة (56هـ).

وكان ممن تكلم الأحنف بن قيس؛ حيث قال: "يا أمير المؤمنين أنتم أعلم بيزيد في ليله ونهاره، وسره وعلانيته، ومدخله ومخرجه؛ فإن كنت تعلمه لله رضا ولهذه الأمة فلا تشاور الناس فيه، وإن كنت تعلم منه غير ذلك، فلا تزوده الدنيا، وأنت تذهب إلى الآخرة".

\*\*\*

أما معاوية الثاني فلم يبق في الخلافة إلا أربعين يوماً<sup>(1)</sup>. . . . وكان ورعاً صالحاً رفض أن يوصى بالخلافة من بعده، وقال: لم أنتفع بها حياً فاتقلدها ميتاً<sup>(2)</sup>.

وأما مروان بن الحكم فكانت خلافته تسعة أشهر<sup>(3)</sup>، ومع ذلك فخلافته نقلت الخلافة من الفرع السفيناني إلى الفرع المرواني.

وقد خلفه - بعهد منه - ابنه عبد الملك الذي يراه الدارسون - بحق - مؤسس الدولة المروانية، أو المؤسس الثاني للدولة الأموية. وبجهد عبد الملك انتهت دولة ابن الزبير، وانتصرت الدولة الأموية، واعتبر عام (73هـ) ميلاداً ثانياً للدولة

---

(1) خليفة بن خياط، ص: 224، وابن دقماق: الجواهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين: تحقيق سعيد عاشور (نشر مكة المكرمة، ص: 61، 62).

(2) انظر: المرجعين السابقين.

(3) انظر: خليفة بن خياط، ص: 259، وابن دقماق: الجواهر الثمين، ص: 62.



الأموية، ومن مناقب عبد الملك أنه كان لا يسمح لأحد أن يداهنه أو ينافقه أو يضيع وقته<sup>(1)</sup>.

ولئن كان حكم عبد الملك بن مروان قد وحدّ الدولة الإسلامية وعربها؛ فإن عصرى الوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبد الملك مثلاً عصر الفتوحات الكبرى فى قارات العالم القديم، ففى آسيا فتح الأمويون أقاليم ما وراء النهر، وثبتوا فتوحاتهم فى خراسان وسجستان وجرجان وطبرستان وأرمينية وأذربيجان. وفى إفريقيا فتح الأمويون الشمال الإفريقى كله: برقة وطرابلس وإفريقيا والمغربين الأوسط والأقصى، وفى أوروبا فتحوا شبه جزيرة إيبيريا، وعبروا ما وراء جبال البرانس، وحاولوا الاستيلاء على القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية<sup>(2)</sup>.

وكما تجلّت عبقرية الأمويين فى الغزو والفتح، فقد كانت عبقريتهم فى الإدارة والتنظيم والتقريب بين الشعوب التى دخلت فى حوزة الإسلام أعظم، فبفضل السياسة المرنة، والأفق الواسع الذى كان يتمتع به الخلفاء الأمويون انصهرت شعوب البلاد المفتوحة - من إيرانيين وأتراك وأرمن وأكراد وبربر - فى بوتقة الإسلام، لتشكل عالماً إسلامياً واحداً، وبفضل مثابرتهم وجهادهم مهدوا الأرض فى هذه البلاد لانتشار الإسلام. ومهما كابر المكابرون؛ فإن أى منصف لابد أن يعترف بأن العصر الأموى كان عصرًا باهرًا فى جميع المجالات، وأن بذور الحضارة الإسلامية التى غرست منذ بداية ظهور الإسلام أخذت تنمو وتترعرع فى هذا العصر، وواصلت نموها وازدهارها حتى وصلت إلى أوج عظمتها فى العصر العباسى<sup>(3)</sup>.

وقد وصف الوليد بأنه أكثر الأمويين فتوحات وأعظمهم نفقة فى سبيل الله، وهو الذى بنى جامع بنى أمية بدمشق، وعمّر مسجد النبى بالمدينة، وعمل المنابر،

(1) د/ عبد الشافى عبد اللطيف: مرجع سابق، ص: 151، 152.

(2) المرجع السابق، ص: 238.

(3) المرجع السابق، ص: 238، 239.



وأغنى المجذومين عن سؤال الناس<sup>(1)</sup>، كما وصف سليمان بأنه (مفتاح الخير)، وقد أطلق الأسارى، وأخلى الحبوس، وأحسن إلى الناس، وأمر بغزو القسطنطينية... وكان رجلاً عاقلاً ديناً متوقفاً عن الدماء<sup>(2)</sup>.

وقد أسدى سليمان يداً عظيمة للأمة الإسلامية بجعله ولاية العهد من بعده لعمر بن عبد العزيز (خامس الراشدين)!!

فلئن كان عبد الملك قد وحد الدولة وعربها، ولئن كان الوليد وسليمان قد توسعا في الفتوحات العسكرية والسياسية والإدارية والتنظيمية... فإن عمر بن عبد العزيز قد اتجه إلى الشيء الأهم والأعظم والأبقى... لقد بذل كل جهده في نشر الدعوة الإسلامية في أقطار الأرض، فكتب إلى ملوك الهند يدعوهم إلى الإسلام والطاعة، على أن تبقى أملاكهم وإمارتهم بأيديهم، ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، وكانت سيرة عمر ومذهبه في الحكم والحياة قد بلغت هؤلاء، فأسلموا وتسموا بأسماء العرب، كما دفع عمر برسائله ووفوده إلى ملوك ما وراء النهر يدعوهم إلى الإسلام، فاستجاب له بعضهم، كما استجاب له كثير من أهالي تلك المناطق، فأمر ببناء الخانات كي تكون لهم محطات يأوي إليها الغرباء والمسافرون والمنقطعون، كما كتب إلى (ليو الثالث) إمبراطور الروم، يدعوهم إلى الدخول في الإسلام<sup>(3)</sup>.

---

(1) ابن دقماق: الجواهر الثمين، ص: 65، وسير حديث عن ذلك عند الإمام بأهم المنجزات الحضارية لبنى أمية.

(2) السابق، ص: 70، 71.

(3) عماد الدين خليل: ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز، ص: 85، ط2، دار الكتب العلمية، وانظر توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام ترجمة حسن إبراهيم وآخرين، ص: 102، القاهرة، بدون تاريخ.





وكان لعمر المتهى فى العلم والفضل والورع ونشر العدل، فجدد الله به للأمة دينها، وكان مقرباً لأهل الفضل، يؤثر الدين على الدنيا، وكان يجمع العلماء والزهاد كل ليلة، فيتذاكرون الموت حتى كان بينهم جنازة<sup>(1)</sup>.

وكانت خلافة عمر سنتين وستة أشهر، ثم خلفه يزيد بن عبد الملك؛ الذى حاول أن يسير سيرة عمر إلا أنه لم يستطع الصمود فى القمة... مع أن ليزيد بن عبد الملك أخباراً حسناً أوردها المسعودى<sup>(2)</sup>.

أما هشام بن عبد الملك الذى حكم عشرين سنة من عمر الدولة الأموية القصير، فتجمع المصادر على أنه كان فى خلافته ذا رأى حازماً ذكياً عاقلاً... بل محشواً عقلاً - حسب تعبير الطبرى - وقال الطبرى أيضاً نقلاً عن عبد الله بن على: "جمعت دواوين بنى مروان فلم أر ديواناً أصح ولا أصلح للعامة وللسلطان من ديوان هشام"<sup>(3)</sup>، وقال: لم يكن أحد من بنى مروان أشد نظراً فى أمر أصحابه ودواوينه ولا أشد مبالغة فى الفحص عنهم من هشام<sup>(4)</sup>.

وأما السنوات السبع الباقية من عمر الدولة الأموية فقد دخلت الدولة مرحلة الاحتضار، ولم تصلح الجهود الكبيرة لمروان بن محمد - آخر خلفاء بنى أمية العظام - مع كل ما أوتيته من ذكاء وحكمة وشجاعة - أن يحول دون السقوط... لأن كل ظروف السقوط كانت قد توافرت، ولم يعد فى قدرة أى فرد عظيم أن يقف ضد التيار!!

وقد حكم فى هذه الفترة المضطربة أربعة خلفاء هم: الوليد بن يزيد، ويزيد ابن الوليد، وإبراهيم بن الوليد، ومروان بن محمد. وقد اختلفت آراء المؤرخين

---

(1) ابن دقماق: الجواهر الثمين، ص: 74.

(2) مروج الذهب 2/215، وانظر عبد الشافى عبد اللطيف، ص: 183.

(3) الطبرى: التاريخ 7/285، 1979، وانظر ابن دقماق: الجواهر الثمين، ص: 78.

(4) الطبرى: المرجع السابق.

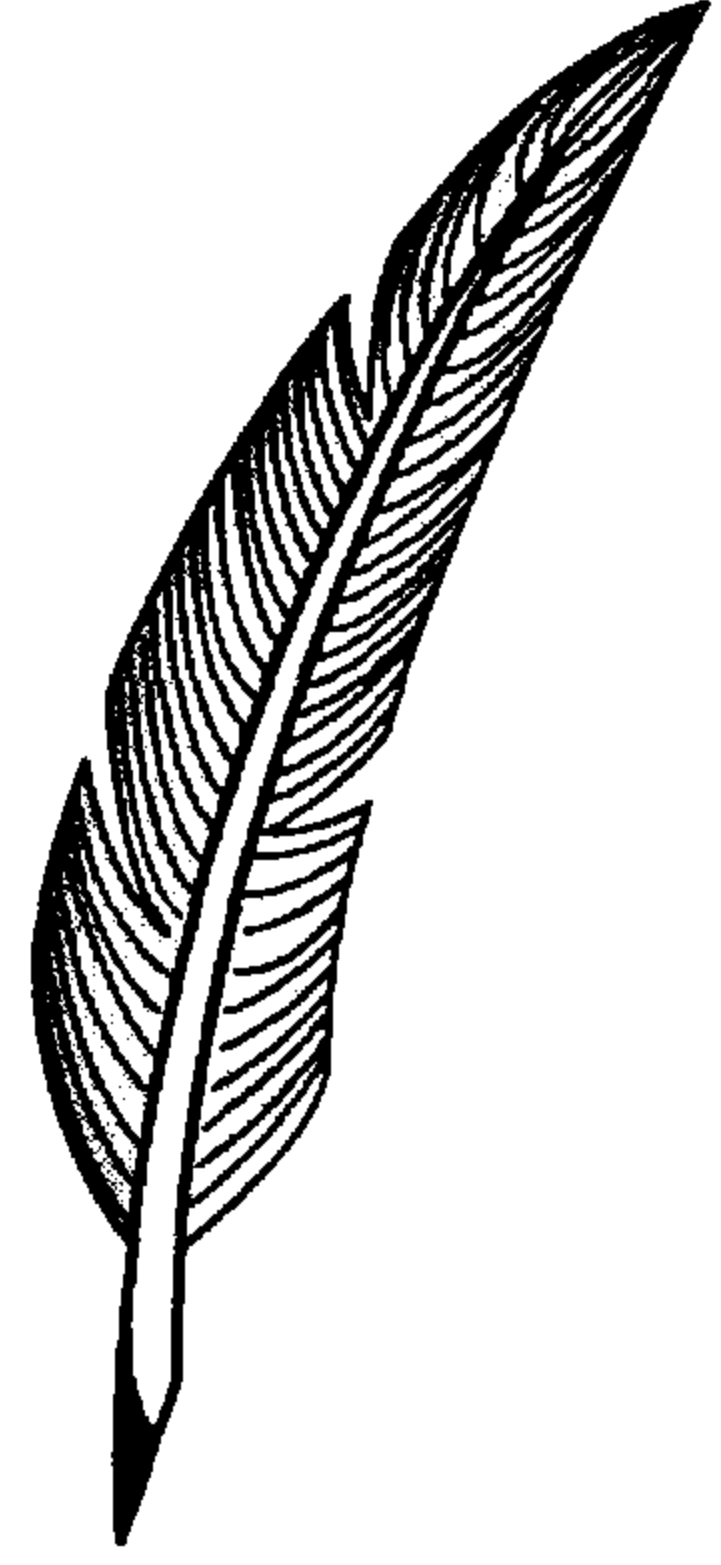


فى هذه الشخصيات وتقويم أعمالهم اختلافاً بعيداً، وخاصة الوليد بن يزيد،  
ويزيد بن الوليد، فبينما يدافع عنها طائفة من المؤرخين، ويرون أن ثمة مبالغة  
عولج بها تاريخهما، وأنهما كان أميل إلى الصلاح.. نجد فى الوقت نفسه من  
يذهب إلى رميها - ولاسيما الوليد - بأقبح الصفات.

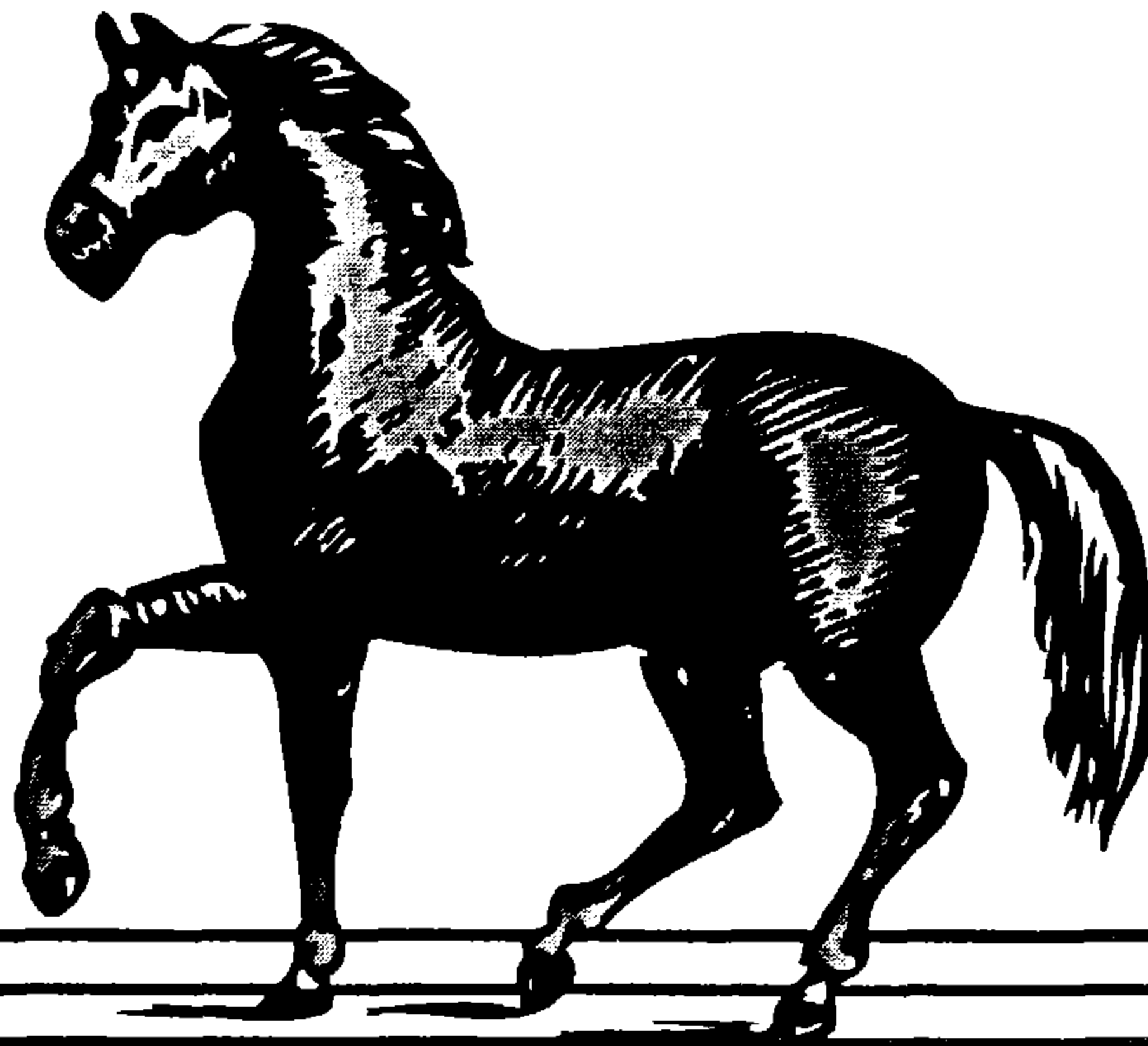
ولذلك حديث مفصل فيما يلى.

\*\*\*





**الوليد بن يزيد  
الخليفة المفترس عليه**





نبدأ فى تجلية الصورة الحقيقية للخليفة المفترى عليه (من وجهة نظرنا) مشيرين إلى القضية - من أولها - تلك التى انتهت بتقديم صورة غير موضوعية عن هذا الخليفة الأموى (المقتول) ظلمًا . . . . .

كان الوليد بن يزيد فى الحادية عشرة من عمره حين جعل أبوه يزيد بن عبد الملك ولاية العهد لعمه هشام بن عبد الملك (105 - 125هـ) . . . وجعله بعده، ولم يمت يزيد إلا وابنه الوليد فى الخامسة عشرة، فكان يندم على أنه استخلف أخاه هشامًا وترك ابنه الوليد . . . وكان يزيد بن عبد الملك يقول إذا نظر إلى ابنه الوليد: الله بينى وبين من جعل هشامًا بينى وبينك . . .

وفى هذا المناخ - ومن خلال الأقوال المتناثرة هنا وهناك - لم تسر العلاقة بين هشام وابن أخيه وولى عهده الوليد، كما ينبغى أن تكون العلاقة بين خليفة وولى عهده، أو بين عم وابن أخيه . . .

وفى مرحلة من المراحل بدأ للخليفة هشام زحزحة ابن أخيه الوليد عن ولاية العهد، لصالح ابنه (مسلمة بن هشام) الذى كان مشهورًا بالعبث شهرة كبيرة، وكان (الوليد بن يزيد) عندما يرميه عمه الخليفة هشام بتهمة الفساد، يردّ عليه بأنه على (دين ابنه مسلمة) (أبى شاکر) . . . وهذا وردّ صريحًا حين عمد هشام للتشكيك فى دين الوليد . . فأرسل إليه ردًا فيه بيت من الشعر:

يا أيها السائل عن ديننا \* \* \* نحن على دين أبى شاکر

فكانه يقول لعمه الخليفة هشام: قبل أن تتهمنى فى دينى انظر إلى ابنك مسلمة (أبى شاکر) الذى تريد وضعه مكانى وليًا للعهد، فهو أسوأ منى!! وهذا يعكس - بطبيعة الحال - الروح العدائية التى سادت بين الخليفة هشام وولى عهده وابن أخيه الوليد بن يزيد!!





ويرى بعض المؤرخين أن هشامًا نفسه - في المراحل الأولى من خلافته - كان يحاول تسهيل العبث للوليد وتقريب المفسدين منه، حتى يجد فرصة للطعن فيه، ومن ثم تنحيته عن ولاية العهد!!

وأياً كان الأمر فخلال العشرين عامًا التي حكم فيها هشام كانت الحرب الباردة قائمة بين جبهتين غير متكافئتين: جبهة الخليفة هشام - بكل سلطانه - وجبهة ولى عهده وابن أخيه (الوليد الثاني) أو الوليد بن يزيد... الذى لا حول له ولا قوة... اللهم إلا قوة شخصيته، ومقاومته لكل تشويهات عمه وإغراءاته من أجل قبوله التنحي عن (ولاية العهد).

وفى إحدى المرات كتب الوليد إلى عمه أبياتًا من الشعر يتألم فيها من الحرب المعلنة عليه ويقول له فى بعضها:

رأيتك تبنى جاهداً فى قطيعتى \*\*\* فلو كنت ذا إربٍ لهدمت ما تبى  
تُشير على الباقيين مجنئى ضغينة \*\*\* فويلٌ لهم إن متُّ من شرٍّ ما تجنئى!! (1)

أما القلة التى كانت تقف مع (الوليد) وترى أنه صاحب حق، وأنه أجدر بالخلافة من مسلمة (أبى شاعر) وأن هذا الخلل من شأنه أن ينشئ صراعاً دامياً داخل البيت الأموى فى ظروف بالغة الخطورة، فرائحة الانقلاب العباسى بدأت تزكم الأنوف... وأوضاع البيت الأموى شبه متردية... والشمال الإفريقى ناثراً على الأمويين بتأثير استهتار (هشام) بهم... والخارجية أنشأوا ممالك مستقلة فيه، وخراسان كذلك بدأت تعرب عن سخطها... ومع ذلك كله فهشام يشغل نفسه بحرب ابن أخيه وولى عهده لنقل الولاية لابنه العايب مسلمة...

### شهود عدول وأدلة قوية:

ونحن هنا لن نستطرد فى ذكر تاريخ الوليد... فهذا ليس موضوعنا، وإنما هدفنا تقديم أدلة براءته... على الأقل من دعوى (الإجماع) على سفهه...

(1) الطبرى: التاريخ أحداث سنة 125هـ.



و(الإجماع) على أنه يستحق الثورة عليه والقتل، و(الإجماع) على أن يزيد بن الوليد (الناقص) "أعدل بنى مروان"، فضلاً عن مقارنته بعمر بن عبد العزيز!!

ومن هنا سندخل - مباشرة - في الحديث عن (الوليد) (المظلوم المقتول) وعن يزيد (الظالم القاتل)، من وجهة نظرنا.

## أولاً:

من الطريف أن (مسلمة بن هشام) نفسه، وهو الذي يسعى والده هشام لجعله ولياً للعهد كان ضدّ أبيه، وكان يكثر من مخاطبة أبيه في الرفق بالوليد والكف عنه، وإيقاف حرب التشهير عليه... ولهذا فإن (الوليد) عندما جاءته الخلافة، وراح ينتقم من رجال هشام وأبنائه الذين كانوا يحاربونه معه استثنى (مسلمة بن هشام - أبا شاكر) وأمر ألا يعرض له أحد، ولا يدخل أحد من الجنود منزله؛ تقديراً لما يعلمه من مواقفه مع أمام والده، وأنه - كما يقول الطبرى - "يكثر أن يكلم أباه في الرفق به ويكفّه عنه"، مع أن مسلمة كان - كما هو معروف - صاحب المصلحة الأولى في حرب والده هشام على الوليد..!!

ولعل هذه شهادة عدل من أقرب الأطراف مصلحة في ظلم الوليد وتنحيته بعد التشهير به وتجريده من الصلاحية للخلافة.

## ثانياً:

أما الشاهد الثاني (العدل) - أيضاً - فهو مسلمة بن عبد الملك شقيق الخليفة الذي حاول جاهداً أن يردع أخاه الخليفة هشاماً عن المضيّ في مسيرة ذم الوليد بن يزيد وترويح الشائعات عنه، وقد ذكرت بعض المصادر أن هشاماً كان يعمد إلى تشويه الوليد بطريقة فجّة مقزّرة، ومن ذلك ما يذكره بعضهم عن (مداومته على ذكر تهتك الوليد وإدمانه على الشراب، ويذكر ذلك في مجلسه ويقوم ويقعد به!!) بطريقة لا تليق بخليفة!!



وقد كان شقيق الخليفة مسلمة بن عبد الملك يجدُّ في صرف هشام عن هذا التشهير بالوليد، ويجتهد في الحدِّ من هذه الحروب الباردة القائمة بين الخليفة ووليِّ عهده... لكنه لم ينجح في ذلك... وإن كانت وقفاته ضد أخيه الخليفة قامت سدًّا يحول دون انفجار الأوضاع بينهما... ولهذا فعندما مات مسلمة (عم الوليد وشقيق الخليفة) وجد الوليد نفسه وحيداً أمام عمه هشام... وأصابه غمٌ كبير، فلم يجد أمامه إلا أن يترك قصر الخلافة والعاصمة دمشق، وأن ينزل البادية في ضاحية تسمى الأزرق بالأردن هو وبعض خاصته... فانتهزها هشام فرصة، وحرمه عطاءه هو وسائر مواليه وخاصته... واستدار ينكل بكل المقربين من الوليد، محتجاً بأن الوليد سحب معه مؤدبه عبد الصمد بن عبد الأعلى (وهو يشك في دينه) وكتب إلى الوليد بذلك، فأبعد الوليد (عبد الصمد) لكن هشاماً لم يُعد إليه عطاءه وبقي على حربه للوليد.

### ثالثاً:

أما الدليل الثالث أو (الشاهد الثالث) فهو رجل ثقة عند المؤرخين، ومن أكثر بنى مروان عقلاً وشجاعة وصراحة، وهو (مروان بن محمد) الذي كان عاملاً لهشام على أرمينية وما يليها، ومع ذلك فلم يكن راضياً عن أسلوب هشام في معاملة الوليد... ولهذا أرسل إلى الوليد - فور علمه بتوليهِ الخلافة - رسالة تؤكد إدراكه للظلم والافتراء الذي وقع عليه من هشام... ويقول له فيها: "باركُ الله لأمير المؤمنين فيما أصاره إليه من ولاية عبادته، ووراثته بلاده، وكان من تفضي غمرة سكرة الولاية ما حمل هشاماً على ما حاول من تصغير ما عظم الله من حق أمير المؤمنين، ورام من الأمر المستصعب عليه، الذي أجابه إليه المدخولون في آرائهم وأديانهم، فوجدوا ما طمع فيه مستصعباً، وراحته الأقدار بأشدَّ مناكبها، وكان أمير المؤمنين بمكان من الله حياطه فيه حتى أزره بأكرم مناطق الخلافة، فقام بما أراه الله له أهلاً<sup>(1)</sup>."

(1) الطبرى 216/7.



فالحمد لله الذى اختار أمير المؤمنين لخلافته، ووثائق عُرِي دينه، وذبح له عما كاده فيه الظالمون، فرفعه ووضعهم، فمن أقام على تلك الخسيصة من الأمور أوبق نفسه، وأسخط ربه، ومن عدلتُ به التوبة نازعاً عن الباطل إلى حق وجد الله تواباً رحيمًا<sup>(1)</sup>.

وقد يقال: إن هذا محض نفاق، لكن شخصية مروان بن محمد أكبر من ذلك، ويؤكد هذا أنه وقف وقفة صدق مع (الوليد) عندما تأمر عليه يزيد بن الوليد، وبعد مقتله أعلن الثورة انتقاماً له وأخذاً بالثأر من قاتليه، فرجلٌ هذا سلوكه رجل صدق وولاء للبيت الأموى كله - أولاً - وللوليد ثانياً - كما أنه ثالثاً - هو الذى نصح الوليد بزيادة الأعطيات للناس بعد أن شحَّ عليهم هشام، فلما جاء يزيد أنقص الأعطيات فسماه مروان (بالناقص)!!

#### رابعاً:

ومع التجنى الذى احتشد به ابن كثير فى (البداية والنهاية) وهو من المتأخرين، وقد اعتمد على مراجع ثانوية، فإنه يعترف بحقيقة وردت عند (الطبرى وغيره) وهى من الحقائق المعروفة... فبعد أن يورد رسالة مروان بالبيعة للوليد ونصيحته له بزيادة الأعطيات إنقاذاً للناس مما أصابهم من بخل هشام...

واستجابة الوليد له... يقول ابن كثير: "لقد سار الوليد فى الناس سيرة حسنة بادئ الرأى وأمر بإعطاء الزمنى والمجدومين والعميان لكل إنسان خادم، وأخرج من بيت المال الطيب والتحف (التي كان يختزنها هشام) لعيالات المسلمين وزاد فى أعطيات الناس، ولا سيما أهل الشام والوفود، وكان كريماً ممدحاً شاعراً مجيداً، لا يسأل شيئاً قط فيقول لا"<sup>(2)</sup>.

(1) السابق 217/7.

(2) البداية والنهاية لابن كثير 9/4.



ويزيد ابن جرير الطبرى وهو يتحدث فى سيرة الوليد فيقول: وكان وهو  
ولى عهد - مع ظروفه المعروفة - يُطعم مَنْ وفد إليه من أهل الصائفة قافلاً، ويُطعم  
من صدر عن الحج بمنزل يقال له ريزاء ثلاثة أيام، ويعلف دوابهم، ولم يقل فى  
شئ يُسأله: لا، فقيل له فى ذلك فقال: [لا أعود لسانى شيئاً لم أعتده]!! فهل  
هذا أسلوب عابث ماجن؟!!

### خامساً:

من المساجلات المتبادلة بين هشام والوليد نستطيع أن نقول مطمئنين:

إن رسائل الوليد - فى هذا الوقت الذى كان يتهم فيه بأشع التهم - دالة  
على إيمان وخلق يصعب معهما تصديق ما روج عنه... فعندما قطع هشام عطاء  
الوليد كتب إليه الوليد يقول: "لقد بلغنى الذى أحدث أمير المؤمنين من قطع ما  
قطع عني، ومحو ما محو من أصحابى وحرمى وأهلى، ولم أكن أخاف أن يتلى  
الله أمير المؤمنين بذلك ولا أبالى به منه (...). فإن يكن ذلك لشئ فى نفس أمير  
المؤمنين (على)، فقد سبب الله لى من العهد، وكتب لى من العمر، وقسم لى من  
الرزق ما لا يقدر أحد دون الله على قطع شئ منه دون مدته، ولو صرف شئ  
عن مواقعه، فقدرُ الله يجرى بمقاديره فيما أحب الناس أو كرهوا، ولا تأخير  
لعاجله ولا تعجيل لأجله، فالناس بين ذلك يقترفون الآثام على نفوسهم من الله،  
ولا يستوجبون العقوبة عليه، وأمير المؤمنين أحق أمته بالبصر بذلك والحفظ له،  
والله الموفق لأمير المؤمنين بحسن القضاء له فى الأمور"<sup>(1)</sup>، (فهل هذا أسلوب  
عابث ماجن?!).

### سادساً:

ولم يكن أمر زيادة الأعطيات أو رعاية الزمنى والعميان مجرد استجابة  
لرسالة مروان ابن محمد (القائد المحنك المجرب) - بل كان هذا الأمر جزءاً من

(1) الطبرى 7 / 212، 213، ط4 دار المعارف بمصر.





سياسة عامة تدل على حنكة الوليد وفهمه للأوضاع العامة التي ورثها عن هشام والتي أوجبت أمرين - كما يقول رياض عيسى - (1):

**أولهما:** أن الوليد أراد أن يتألف الناس جميعاً وأهل الشام بخاصة فزاد في إعطياتهم في محاولة واضحة منه لاستمالة أهل الشام بخاصة لأنهم عضد الدولة وعمادها، كما أنه قد يكون هناك تدمر بين أهل الشام أراد الوليد أن يحول دون استفحاله، وأن يؤكد للشوام أنهم ما يزالون السند الأمامي للبيت الأموي.

**وثانيهما:** أنه أراد أن يتألف أفراد البيت الأموي، وأن يحاول محو الصورة البشعة التي رسمها له عمه هشام في أذهان الناس عموماً، وفي أذهان أهل بيته خاصة، وهذه المحافظة على تألف أهل بيته هي الأولى من نوعها، إذ لم نسمع من قبل عن أى خليفة أموي فعل ما فعله الوليد بالنسبة لأهل بيته، شعوراً منه بأن المرحلة التي تمرّ بها الدولة الأموية عموماً تقتضى تكاتف أفراد هذا البيت في فترة كانت فيها أخبار الدعوة الناشطة التي يقوم بها آل البيت (والعباسيون) تملأ الأسماع بينما البيت الأموي في صراعات تهدد وجوده!!

ويتساءل رياض عيسى - ونحن معه -:

- في ضوء هذه السياسة - ودلالاتها - ألا يمكننا أن ننطلق إلى الدعوة على الأقل لإعادة النظر في المكتوب والمتعارف من سيرة الوليد بن يزيد الذي تصوره لنا المصادر بأنه لم يُتقن سوى شرب الخمر واللهو والمجون؛ إذ إننا نرى في أفعاله هذه مؤشرات واضحة على تفهمه لأوضاع الدولة، ومحاولته لتدارك ما يمكن تداركه من انهيار محتمل!!؟

---

(1) النزاع بين أفراد البيت الأموي ودوره في سقوط الخلافة الأموية، ص 138، 139، ط 1

دار حسان للنشر، 1985.



## سابعاً:

يفيدنا ابن الأثير فى الكامل (وهو أوثق من ابن كثير وأقدم منه) ما يؤكد أن كثيرين كانوا يتعاطفون مع الوليد، ويعرفون أنه مظلوم حتى من خصوم الأمويين الألداء (العباسيين)، فقد روى شبيب بن شيبه رأى المهدي ومن معه فى الوليد فقال: كنا جلوساً عند المهدي - الخليفة العباسي - فذكروا الوليد فقال المهدي: كان زنديقاً، فقام أبو علاثة الفقيه: فقال: يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل أعدل من أن يولى خلافة النبوة وأمر الأمة زنديقاً، لقد أخبرنى من كان يشهده... بمروءة فى طهارته وصلاته... فقال المهدي: بارك الله عليك يا أبا علاثة)...

ويروى ابن الأثير: أن الوليد كان ينهى الناس عن الغناء؛ لأنه يزيد فى الشهوة ويهدم المروءة، ويقول بعد ذلك: "وقد نزه قوم الوليد مما قيل فيه وأنكروه ونفوه عنه، وقالوا: إنه قيل عنه وألصق به وليس بصحيح، قال المدائني: دخل ابن الغمير بن يزيد أخى الوليد على الرشيد، فقال له: ممن أنت؟ قال: من قريش، قال: من أيها؟ فأمسك، فقال: قل وأنت آمن ولو أنك مروان، فقال: أنا ابن الغمير بن يزيد (شقيق الوليد) فقال الرشيد: رحم الله عمك الوليد ولعن يزيد الناقص، فإنه قتل خليفة مجمعا عليه! ارفع حوائجك فرفعها فقضاها".

## ثامناً:

يلفت نظرنا عدد من المؤرخين المعاصرين الكبار إلى الطابع الأسطوري (اللاعقلاني) الذى يفضح - فى حد ذاته - التهم الموجهة إلى الوليد... فاستاذنا الدكتور حسين مؤنس يعلق على هذه التهم<sup>(1)</sup> بقوله: (إننا بالنسبة لهذه الأخبار أو التهم الأسطورية، يجب أن نفتح عيوننا عندما نقرأها؛ لأن المسألة هنا ليست مسألة الخطأ أو الكذب فى الخبر؛ بل إن هذه الأخبار تضر بعقولنا؛ لأننا تعودنا

(1) تنقية أصول التاريخ الإسلامى، ص 92، 93.



قراءة الأخبار والحكايات الكاذبة الفارغة وقبولها، مما يؤدي بعقولنا في النهاية إلى الهياقة والهشاشة، ويعطى القارئ فكرة سيئة عن الإسلام والمسلمين.

ومن المستحيل علينا أن نقبل (أمثال هذه الأخبار الجزافية الواردة عن الوليد)؛ لأن الأمر ليس إساءة إلى الوليد بن يزيد فحسب؛ بل إهانة لعقولنا أيضاً، ومهما كانت كراهية الواحد منا لبني أمية، فإن الأمر ينبغي ألا يصل بنا إلى احتقار عقولنا وإهانة أنفسنا).

ويشير الدكتور (نبيه عاقل) إلى أن ما يقال عن الوليد مثال على الظلم الصارخ الذي أوقعه المؤرخون الذين كتبوا في ظل العباسيين بالأسرة الأموية وبرجالاتها، ويجدر بنا أن ننبه إلى أن ما نجده في المصادر عن خلاعة ومجون وفسق الوليد الثانى أمر مبالغ فيه إلى أبعد الحدود.

ونحن نستطيع القول: إن المؤرخين الذين كتبوا في ظل العباسيين وجدوا في شخص الوليد نواحي ضعف، ومواضع للنقد، فما كان منهم إلا أن ضخموها وزادوا فيها تقرباً من الأسرة العباسية الحاكمة، أو بغضاً في الأسرة الأموية قاتلة الحسين وعدوة الشيعة اللدودة<sup>(1)</sup>.

- كما يلفت نظرنا الدكتور (عاقل) إلى أن فى الأخبار والروايات الواردة عن الوليد مبالغات لا يمكن أن تصدق، كما أن فى بعض الإشارات الأخرى فى نفس هذه المصادر ما يدحضها ويجعلنا نشمُّ مقدار المبالغة فيها، وأغلب الظن أن هذه الروايات المبالغ فيها إلى الحد الذى وصفنا ما هى إلا حصيلة حقد عباسى على شخصية أموية وُجد فيها مجال للطعن فضُخِّم وهوَّك واستُغفل إلى حد يتجاوز كل ما هو معقول.

---

(1) الدكتور / نبيه عاقل . . دراسات فى تاريخ العصر الأموى، مطبعة جامعة دمشق،



أما أستاذنا الدكتور (أحمد شلبي) فيردّ على هذه التهم التي يرى المبالغة ظاهرة فيها بدليل ملموس... فيقول: "في اعتقادي أنه لو صحّ عن الوليد ما أشيع عنه من انحراف ومعاصٍ لكانت هذه فرصة تحقق لهشام مآربه؛ ولذلك أرى أن الوليد لم يكن من الفسق بالدرجة التي تروى عنه، ولو كان كذلك لما شهدناه خليفة مع أن هشامًا كان يتربص به.

- واعتقادي أن قتل الوليد كان فرصة لواضعي الروايات من أعداء بني أمية فخلفوا من ذلك الشيء الكثير، وابتدعوا صوراً جديدة تنسب للوليد ألواناً من الفسق، كما وضعوا باسمه الأشعار التي تصوره زنديقاً محتقراً للقرآن الكريم مهاجماً تعاليم الإسلام، والذي يجعلني أرى فيها بعض المبالغات أن مقاومة الوليد كانت كبيرة، وأن أتباعه عند اصطدامه بجيوش يزيد بن الوليد كانوا كثيرين، وأن مروان بن محمد رحف لمساعدته بجند لو أسرع قليلاً لحقق له النصر، وأن الثورات التي طالبت بالثار له لم تهدأ حتى انتصر أتباعه بقيادة مروان بن محمد، وأخرجت جثة قاتله يزيد بن الوليد وصلب، ورجل فيه ذلك الفسق الذي يصورونه لا يُعقل أن ينال كل هذا التأييد<sup>(1)</sup>.

## تاسعاً:

ومن الأدلة أيضاً وقوف عقلاء بني مروان مع الوليد ضد يزيد، وتروى المصادر التاريخية أن اليمانية الذين وقف الوليد ضدّهم هم الذين بدأوا الفتنة، وجاءوا إلى يزيد وأغروه بإعلان نفسه خليفة عوضاً عن الوليد، ووعدوه بالثورة على الوليد معه، ويروى الطبري أن يزيد لما أغرته اليمانية بذلك شاور أخاه الأكبر سيد بني مروان (العباس بن الوليد) في ذلك.. فأتى يزيد إلى أخيه العباس وحدثه في الأمر فزجره أخوه ونصحه بعدم الإقدام على مثل هذا العمل، ولكن يزيد لم يقنع بنصيحة أخيه وأخذ يتصل بالناس سراً، ويأخذ البيعة لنفسه، فلما بلغ الخبر

(1) د/ أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي عصر الدولة الأموية، ص 89.



أخاه العباس زجر أخاه بشدة وقال له: (إن عُدت لمثل هذا لأشدنك وثاقاً ولا حملتك إلى أمير المؤمنين)، وطلب العباس إلى أحد المقرّبين من أخيه يزيد، (وهو مولاه فظن) أن يرده عن فعلته، وأن يبصره بعواقبها، وكذلك اتخذ (مروان ابن محمد) موقفاً مماثلاً لموقف العباس بن الوليد حين بلغه أن يزيد بن الوليد يؤلب الناس على الوليد بن يزيد ويدعو إلى خلعه، وكتب من موقعه في أرمينية إلى سعيد بن عبد الملك بن مروان يأمره أن ينهى الناس عن هذا الأمر ويبصره بالأخطار التي قد تنجم عن استمرار يزيد بن الوليد في الدعوة لنفسه<sup>(1)</sup>.

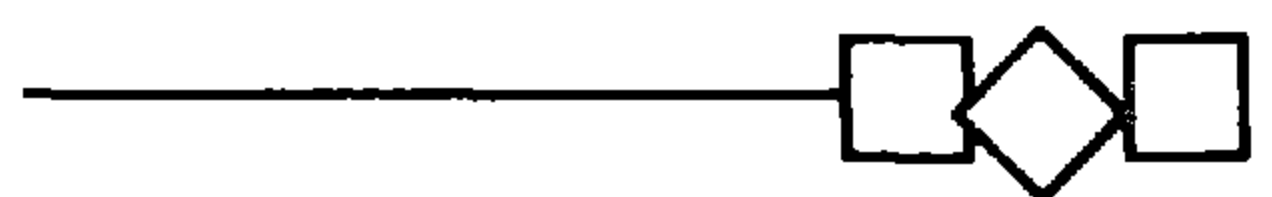
- وقد حمل سعيد بن عبد الملك رسالة مروان بن محمد إلى العباس بن الوليد وأطلعته عليها، فما كان من العباس إلا أن دعا أخاه يزيداً وتوعده وهدده إن هو استمر في فعلته، فأنكر يزيد أنه يقوم بأى مسعى لأن يثول الأمر إليه، وعندما علم (العباس بن الوليد) بغدر أخيه يزيد وبهجومه مع اليمنين والساخطين على الوليد من أبناء هشام والوليد بن عبد الملك - أسرع العباس لنصرة الوليد، ولكن جنود يزيد عندما رأوه خدعوا الناس وقالوا هذه راية العباس بن الوليد، وقد بايع لأمير المؤمنين يزيد بن الوليد، فكان جواب العباس على ذلك قوله المشهورة: (إنا لله... خدعة من خدع الشيطان - هلك بنو مروان).

- وهكذا كذب يزيد على أخيه العباس وعلى سعيد بن عبد الملك، وخدعهما، واستمر في طريقه المشثوم، وكل هذا يدل على أن الوليد لم يكن أهلاً للثورة عليه، وأنه لم يكن عابثاً ماجناً، كما يدل على فساد أخلاق يزيد!!

## عاشراً:

يروى جمهرة المؤرخين وعلى رأسهم الطبرى، وابن الأثير، وابن كثير - أنه لما أحاط أتباع يزيد بن الوليد بالوليد بن يزيد فى قصره وحصلوه قبل أن يقتلوه، قال لهم الوليد: أما فيكم رجل شريف له حسب وحياء فقال له يزيد بن عنبسة

(1) الطبرى 7 / 143 .



السكسكى: كلمنى، قال له: من أنت؟ قال: أنا يزيد بن عنبسة، قال: يا أخا السكاسك، ألم أزد فى أعطياتكم؟ ألم أرفع المؤن عنكم؟ ألم أعط فقراءكم؟ ألم أخدم زمناكم؟ فقال: ما ننقم عليك فى أنفسنا، ولكن ننقم عليك فى انتهاك ما حرم الله وشرب الخمر، ونكاح أمهات أولاد أبيك، واستخفافك بأمر الله، فقال: حسبك يا أخا السكاسك فلعمري... لقد أكثرت وأغرقت، وإن فيما أحل لى لسعة فيما ذكرت.

- ورجع الوليد إلى الدار فجلس وأخذ مصحفًا، وقال: يوم كيوم عثمان، ونشر المصحف يقرأ، ثم قتلوه، وكان آخر كلامه قبل أن يقتل: (أما والله لئن قتلتونى لا يرتق فتقكم، ولا يلم شعثكم، ولا تجتمع كلمتكم).

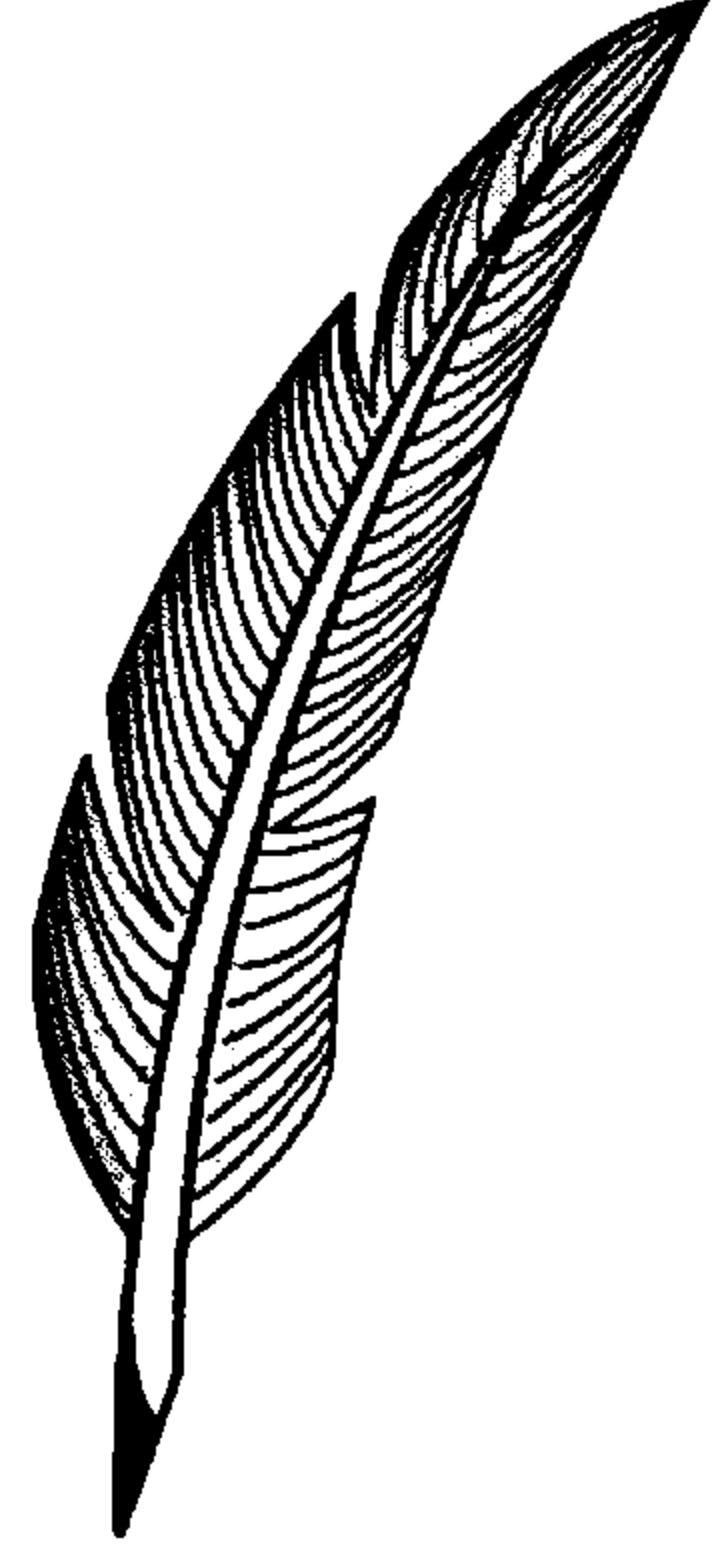
ويعلق صديقنا الدكتور/ عبد الشافى عبد اللطيف<sup>(1)</sup>: على هذا الموقف الإيمانى الرائع الذى ليس من حقنا أن نكذب صاحبه وهو يستقبل الآخرة بقوله: إن الذى يرى فيما أحل الله له سعة عن اقتراف المحرمات، ويتزع إلى المصحف عندما أحيط به، وأيقن أنهم قاتلوه، لا يمكن أن يكون ماجنًا، يقترب ما رموه به، ويهين المصحف ويمزقه، كما تذهب بعض الروايات (الأسطورية التى ذهبت إلى أكثر من ذلك) إن هذا لو حدث من حاكم مسلم فى عصرنا هذا لرماه الناس بالحجارة، فكيف بالوليد وهو خليفة المسلمين فى عصر قريب إلى حد ما من عصر النبوة والخلافة الراشدة، وملئ بالعلماء والصالحين من التابعين!!؟

\*\*\*

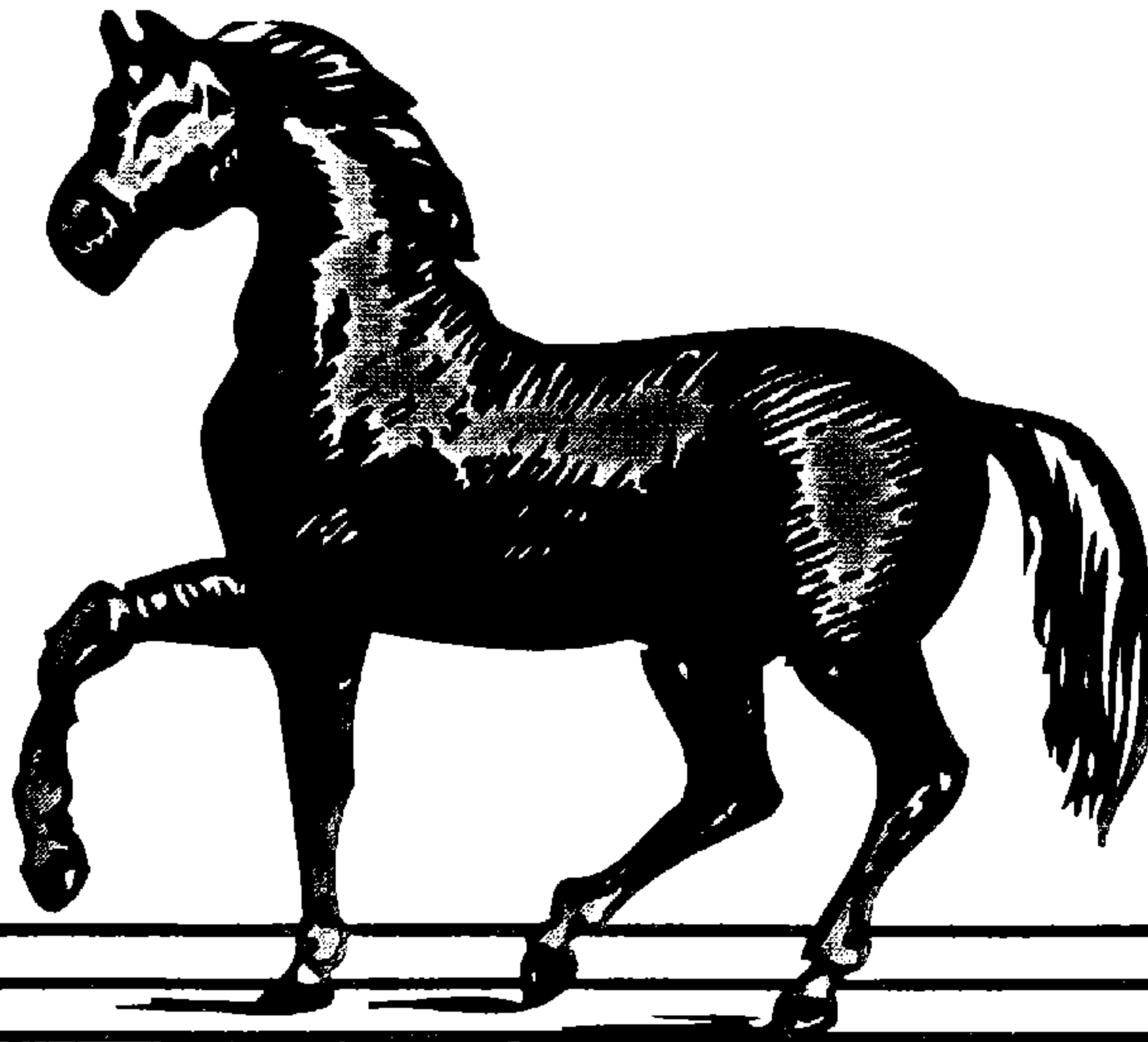
(1) العالم الإسلامى فى العصر الأموى، ص: 199.







يزيد بن الوليد





من الظلم - كل الظلم - أن نضع يزيد بن الوليد فى كفة واحدة مع عمر بن عبد العزيز . . . فالخليفة الراشدى الخامس جاء إلى الحكم على غير هوى منه، وكان أزهد الناس فيه، ويزيد جاء إلى الحكم بمؤامرة كبيرة استثمرت ظروف الوليد النكداء مع عمه هشام . . . ولم يصل يزيد إلى الحكم إلا بعد قتال مرير وقتل للخليفة الأموى القائم . . .

- وسوف نذكر من أساليب (يزيد) (الميكافيلية) القائمة على الكذب والخداع وتصنع النسك والعبادة ما يبين الفرق الشاسع بينه وبين عمر بن عبد العزيز (علماً بأننا لا نقصد المقارنة بينهما فهى لا يسمح بها أصلاً؛ لأن المسافة بينهما شاسعة) وإنما لنبين عدم مصداقيته فى تلك الخطبة العصماء التى أوردها خليفة بن خياط - بعيد قتله الوليد - لندلّ على أنها خطبة (سياسية) لتبرير جريمته، واستحلال دم خليفة بالشبهات والظنون، ومتاجرته - بل اختلاقه - الشبهات، وترويجها لها عن الوليد . . . فهى خطبة عصماء ككل الخطب العصماء التى نسمعها من بعض حكام العرب والمسلمين فى المولد النبوى وفى ليلة القدر، والتى تكاد تقنعنا بأنهم (أمراء فى الإيمان) بينما هم (مندوبو الشيطان) فى الأرض ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة] . . . فليس (بالخطب العصماء) يُقَوْمُ الناس، ولا تدرس مسيرة التاريخ، وإنما بالوقائع العملية والأساليب الإسلامية المعتمدة . . .

\*\*\*

ومع كل هذا . . . نقدم بعض الأدلة والقرائن حول (يزيد) . . . إضافة إلى ما قدمناه - ونحن نتحدث عن (الوليد) - لتكتمل أطراف هذه الصفحة المضطربة من تاريخنا .



## أولاً:

يذكر الطبري - وغيره - أن يزيد بن الوليد كان (قَدْرِيًّا) . . . ويروي ابن كثير أن يزيد الناقص دعا الناس إلى القدر وحملهم عليه وقرب أصحاب غيلان الذي كان هشام قد قتله، وكان أخوه (إبراهيم) قَدْرِيًّا كذلك، وضدّ هؤلاء القدرية وقف الخليفة هشام، ولما جاء الوليد كلمه بعضهم بشأنهم فأبى تركهم، وقال لهم: (إنها من حسنات هشام) وأبى التفاهم مع هؤلاء القدرية الذين منهم (يزيد) . . . . . وبتأثيرهم استخلف يزيد أخاه إبراهيم (القدرى) وكانوا فى ذلك ذوى نفوذ سياسى وفكرى كبير!!<sup>(1)</sup>.

## ثانياً:

وكان يزيد يفتخر بنسبه الفارسيّ من جهة أمه، وهى أم ولد اسمها شاه آفريد بنت فيروز بن يزدجرد بن شهريار بن كسرى، وهو القائل:

أنا ابن كسرى وأبى مروان \*\*\* وقيصر جدّى وجدّى خاقان

فهل يقارن هذا القَدْرِيّ، المتباهى بكسرى وقيصر بعمر بن عبد العزيز؟<sup>(2)</sup>.

## ثالثاً:

لم تظهر عنصرية يزيد فى تباهيه بنسبه من جهة أمه - فحسب - بل زادها وضوحاً حرصه على الوقوف موقف العداء الثابت من القيسية . . . يبرز هذا الموقف ذلك الحوار الذى جرى بينه وبين يزيد بن حجرة الغسانى.

وكان رجل دين وفضل وذا مكانة وقدر عند الشاميين . . . فقد عاتب يزيد ابن حجرة الخليفة يزيد بن الوليد قائلاً: مالى لا أرى أحداً من قيس يغشاك ولا

(1) الطبري 7/ 166 حوادث سنة 126هـ.

(2) الطبري 7/ 298، حوادث سنة 126هـ.



يقف ببابك؟ فأجابه يزيد: لولا أنه ليس من شأنى سفك الدماء لعاجلت قيساً .  
فوالله ما عزت إلا بذل الإسلام<sup>(1)</sup>!!

#### رابعاً:

وعلى العكس من ذلك كان تدليله لليمنيين ومحاباته لهم وإغداقه عليهم لمساعدته فى الوصول إلى الخلافة - سبباً من أسباب نضوب بيت المال، مما اضطره إلى إنقاص إعطيات الجند، كما أن القبائل المضرية نفرت منه، وبدأت تتخذ مواقف ثورية إيجابية ضده نتيجة موالاته الظالمة لليمنيين وتجاهله للمضريين . . . وهكذا ولدت الخطيئة خطيئة، واضطربت عليه منذ ولايته الأمور!!

#### خامساً:

بدأت أساليبه فى التظاهر بالورع والزهد تتكشف - لمجموع الناس - واحدة تلو الأخرى . . . فيها هو يستعمل وسائل انتهازية وتجارية فى جذب الناس إليه، وفى الوصول إلى أهدافه . . . ومن الطريف أنه تنكر ذات ليلة فى البادية وركب حماراً - مستعملاً الأساليب السرية الانقلابية - وهو يسعى فى بيعة الناس له، فبايعه أكثر أهل دمشق سراً (!!) وبايعه أهل المزة غير معاوية بن مصاد الكلبي (وهو سيد أهل المزة) فمضى يزيد من ليلته إلى منزل معاوية بن مصاد ماشياً فى قليل من أصحابه، فأصابهم مطر شديد، فأتوا منزل معاوية بن مصاد، فضربوا بابه، ففتح لهم، فدخلوا . . . فقال ليزيد: الفراش أصلحك الله . . . قال يزيد: إن فى رجلى طيناً وأكره أن أفسد بساطك، فقال: الذى تريدنا عليه أفسد . . . فكلمه يزيد فبايعه، ورجع يزيد إلى دمشق وهو على حمار أسود، فنزل دار ثابت بن سليمان بن سعد الحُشِنِي<sup>(2)</sup>، ثم استمر يزيد فى تأمره مع رجاله بهذه الطريقة ليله ونهاره.

(1) الطبرى 7 / 271، وانظر: رياض عيسى: المرجع السابق، ص 155.

(2) الطبرى 7 / 240.



## سادساً:

كان الناس يخرجون معه لقتال الوليد على جعل يجعله لهم؛ بل كان أحياناً يضطر إلى الزيادة في هذا الجعل عندما لا يستجيب الناس له، فليس في الأمر (ثورة شعبية لم تأخذ حقها)، وإنما هي مؤامرة تركت أسوأ الآثار بكل المقاييس، وقد ذكر رياض عيسى - بأسلوب صريح - اعتماد يزيد على (الرشوة) في جلب الناس، فبعد ما سيطر يزيد على دمشق دعا الناس إلى التطوع فلم يتقدم منهم الكثير فاضطر لأن يرشوهم بالمال، وأعلن أن من سار فله ألفان فاجتمع ألف رجل أعطى كلاً منهم ألفين<sup>(1)</sup>.

وقد حدثت عمر بن مروان الكلبى أن ابن الشماخ الكلبى حدثه أن يزيد بن الوليد كان له مناد يُنادى في الناس بأمره: من يتدب إلى الفاسق (يعنى لقتال الوليد) وله ألف درهم؟ فاجتمع إليه أقلّ من ألف رجل، فأمر رجلاً فنادى: من يتدب إلى الفاسق وله ألف وخمسمائة<sup>(2)</sup>!!

## سابعاً:

وقد أضاف يزيد إلى أسلوبه الانتهازي جريمة أخرى، فقد عمد إلى رصد مكافأة خاصة مقدارها مائة ألف لمن يأتيه برأس الوليد، وهذا - ضمناً - يعنى فتح الباب للتمثيل بالوليد وقطع أعضائه...

وقد تبارى المرتزقة عبيد المال لإثبات أنهم الذين قتلوا الوليد... لقد احتزّ أبو علاقة القضاعي رأس الوليد فأخذ عقباً (وهو العصب الذى تعمل منه الأوتار) وخاط الضربة التى فى وجه الوليد وقدم بالرأس على يزيد<sup>(3)</sup>، ومن جانب آخر

(1) رياض عيسى: السابق، 149.

(2) الطبرى 7/243، حوادث سنة 126هـ.

(3) الطبرى 7/246.





أقبل أحد أبناء خالد بن عبد الله القسرى فسلخ من جلد الوليد قَدْرَ الكف... .  
وقطعت كفّ الوليد اليسرى (!! ) فبعث بها إلى يزيد، فسبقت الرأس ليلة  
الجمعة، ثم أتى بها وحملها إليه عشرة فأعطى كل واحد منهم عشرة آلاف، ثم  
أمر فنصب الرأس للناس بعد صلاة الجمعة... . وأمر يزيد بن الوليد بعد ذلك  
بنصب الرأس (!! ) فقال له يزيد بن فورة مولى بنى مروان: إنما تُنصب رءوس  
الخوارج، وهذا ابن عمك، وخليفة، ولا آمن إن نصبتَه أن ترق له قلوب الناس،  
ويغضب له أهل بيته... . فقال يزيد: والله لأنصبتَه، فنصبه على رمح، ثم قال  
له: انطلق به، فطف به في مدينة دمشق، وأدخله دار أبيه، ففعل، فصاح الناس  
وأهل الدار<sup>(1)</sup>... . فهل هذه هي أخلاق الإسلام... . ومع من؟ مع الرحم... . ومع  
خليفة... . وبهذا الأسلوب من التشفى والتمثيل والحقد... . وأين هذا من عمر بن  
عبد العزيز عليه رضوان الله!!

### ثامناً:

لم تكن الخطبة العصماء التي ألقاها يزيد إلا تهديئةً لخواطر الناس - وكانت  
أقرب ما تكون للشعارات الثورية - لامتناس الغضب وتهديئة النفوس، وخداعهم  
بوعود معسولة... . وقد أحسن صديقنا الدكتور عبد الشافي عبد اللطيف<sup>(2)</sup>،  
عندما علق على هذه الخطبة بقوله: بهذه الخطبة الطويلة التي خصص يزيد جزءاً  
منها للنيل من ابن عمه وتجريحه والظعن عليه واتهامه بالكفر - ليبرر قتله - والباقي  
لشرح سياسته وكأنه أبو بكر الصديق، أو عمر بن الخطاب؛ حيث أراد أن يظهر  
بمظهر الزاهد في الحكم، وأنه ما خرج إلا غضباً لله ولرسوله ولدينه، بهذه الخطبة  
استهل يزيد بن الوليد عهده القصير، ونسى أو غفل أن الناس والوقت والوضع  
العام في الدولة قد تغير عما كان عليه في عهد أبي بكر وعمر، أو حتى في عهد  
جدّه عبد الملك بن مروان.

(1) الطبرى 7 / 250، 251

(2) العالم الإسلامى فى العصر الأموى، ص: 204 وما بعدها.



والحقيقة أنه بفعلته تلك جرّ على دولة بني أمية كوارث كانوا فى غنى عنها، وشغلهم بصراع مرير فيما بينهم أضعف كيانهم وأنهك قواهم، فى وقت نشط فيه الدعاة العباسيون وضاعفوا جهودهم للقضاء على الدولة كلها.

## تاسعاً:

وكما هو المتوقع فى مسيرة كل الانقلابات الهائجة القائمة على القتل والتآمر، لا يلد الدم فيها إلا دمًا، ولا تثمر الفتنة إلا فتنة... فبدأ البيت الأموى - أولاً- ينفجر من داخله شأن كل الانقلابات، فاضطرب حبل بنى مروان وهاجت الفتنة - كما يقول الطبرى - فبعضهم سرّ لمقتل الوليد مثل أولاد هشام، وآخرون ساءهم قتله... وقام أهل حمص بالثورة ثاراً لدم الوليد، وأغلقوا أبواب مدينتهم، وأقاموا النوائح والبواكى على الوليد، ولما علموا أن العباس بن الوليد (شقيق يزيد) لم يكن مخلصاً فى نصرة الوليد الثانى وثبوا على داره فهدموها، وانتهبوا وسلبوا حرمه وأخذوا بنيه فحبسوهم، وطلبوه فما كان من العباس بن الوليد إلا أن هرب والتحق بيزيد الثالث، وقام أهل حمص بمكاتبة غيرهم ودعوهم إلى المطالبة بدم الوليد، كما كتبوا بينهم كتاباً ألا يدخلوا فى طاعة يزيد، وأن يبايعوا لواحد من أبناء الوليد إن كان له ولد حى، وأبلغوا ما اتفقوا عليه إلى واليهم الأموى مروان بن عبد الله بن عبد الملك، فوافقهم على ما اتفقوا عليه.

وطردوا رسول يزيد إليهم شر طردة، وخرجوا يريدون دمشق، فلما حاول واليهم مروان بن عبد الله أن يثنيهم عن عزمهم قتلوه وقتلوا ابنه معه، وولوا عليهم أبا محمد السفينانى، وتابعوا طريقهم باتجاه دمشق، وجرت بين أهل حمص الثائرين المطالبين بدم الوليد الثانى وبين جند يزيد الثالث معارك ضارية<sup>(1)</sup>.

أما فى فلسطين، فقد دعا يزيد بن سليمان بن عبد الملك أهل فلسطين لقتال يزيد الثالث، وانضم إليهم فى ثورتهم على الخليفة الجديد أهل الأردن الذين كان يلى أمرهم محمد بن عبد الملك.

(1) رياض عيسى، السابق، ص 156، 157.



وهكذا فقد زاد مقتل الوليد الثاني فى اشتعال الفتنة بين أفراد البيت الأموى، ولم يكن يزيد الثالث الشخصية الأموية التى ينعقد حولها إجماع أهل البيت<sup>(1)</sup>.

وعندما توفى يزيد بالطاعون بعد ستة شهور من ولايته (جمادى الآخرة - ذو الحجة سنة 126هـ) كانت بلاد الشام - وهى حصن الأمويين - تشتعل ناراً، كما كان أبناء الأسرة الأموية منقسمين على أنفسهم، منشغلين بصراعاتهم عن الأخطار القاتلة المحدقة بهم... فكانت حركة يزيد الانقلابية من أبرز العوامل التى أدت إلى سقوط خلافة بنى أمية!!

\*\*\*

- وليس عجيبياً أن تكون آخر الكلمات التى نطق بها يزيد الناقص وهو على فراش الموت:

واحزنناه... واشقاءاه!!

- لقد نجح يزيد مثل كل الانقلابيين فى هدم كل شيء؛ لكنه لم ينجح فى بناء أى شيء... لأن ما قام على حقد وباطل لا بد أن ينتهى إلى حقد أعمق وباطل أكثر!!

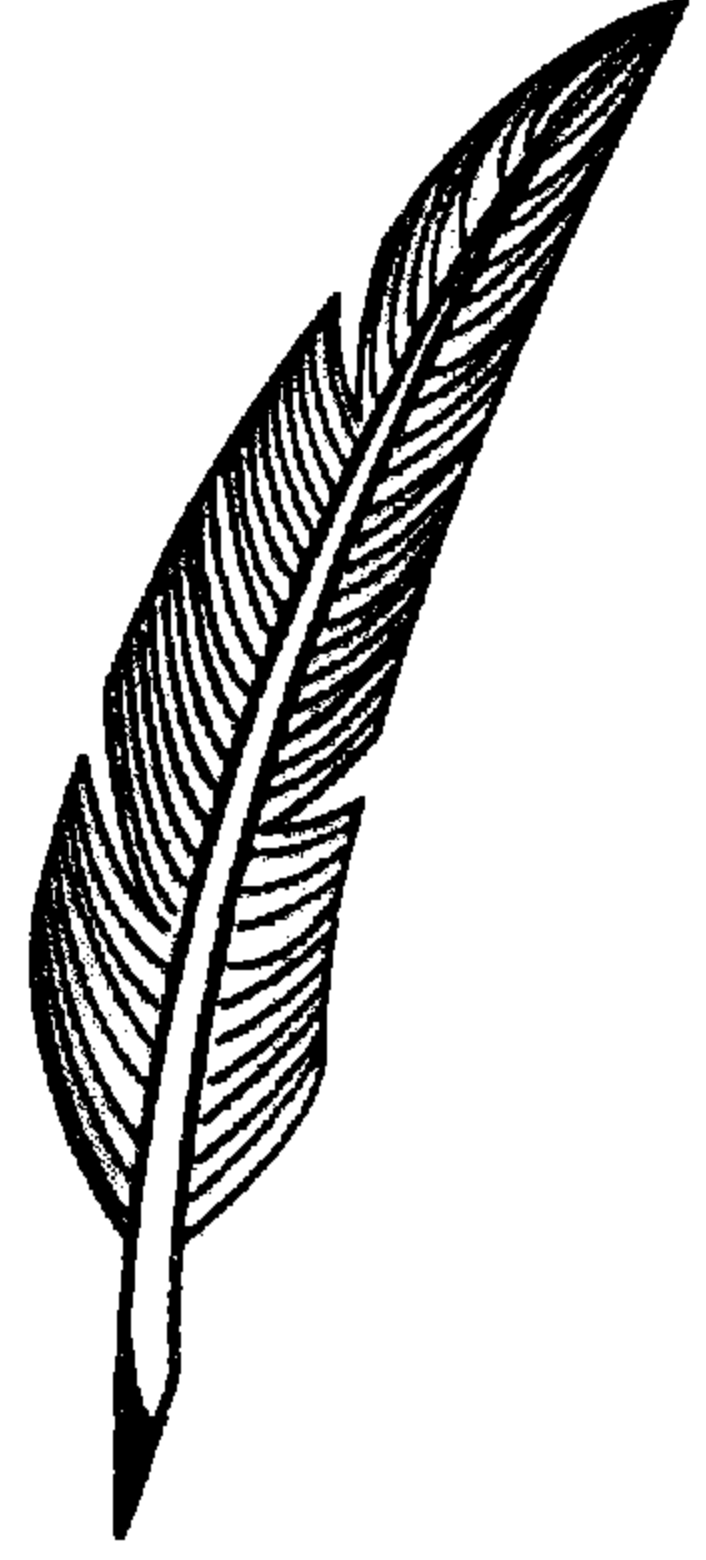
- ويشاء عدل الله أن يحكم مروان بن محمد، وأن يُخرج جثة يزيد من قبره ليفعل بها مثل الذى فعله يزيد بجثة ابن عمه الوليد!!!

\*\*\*

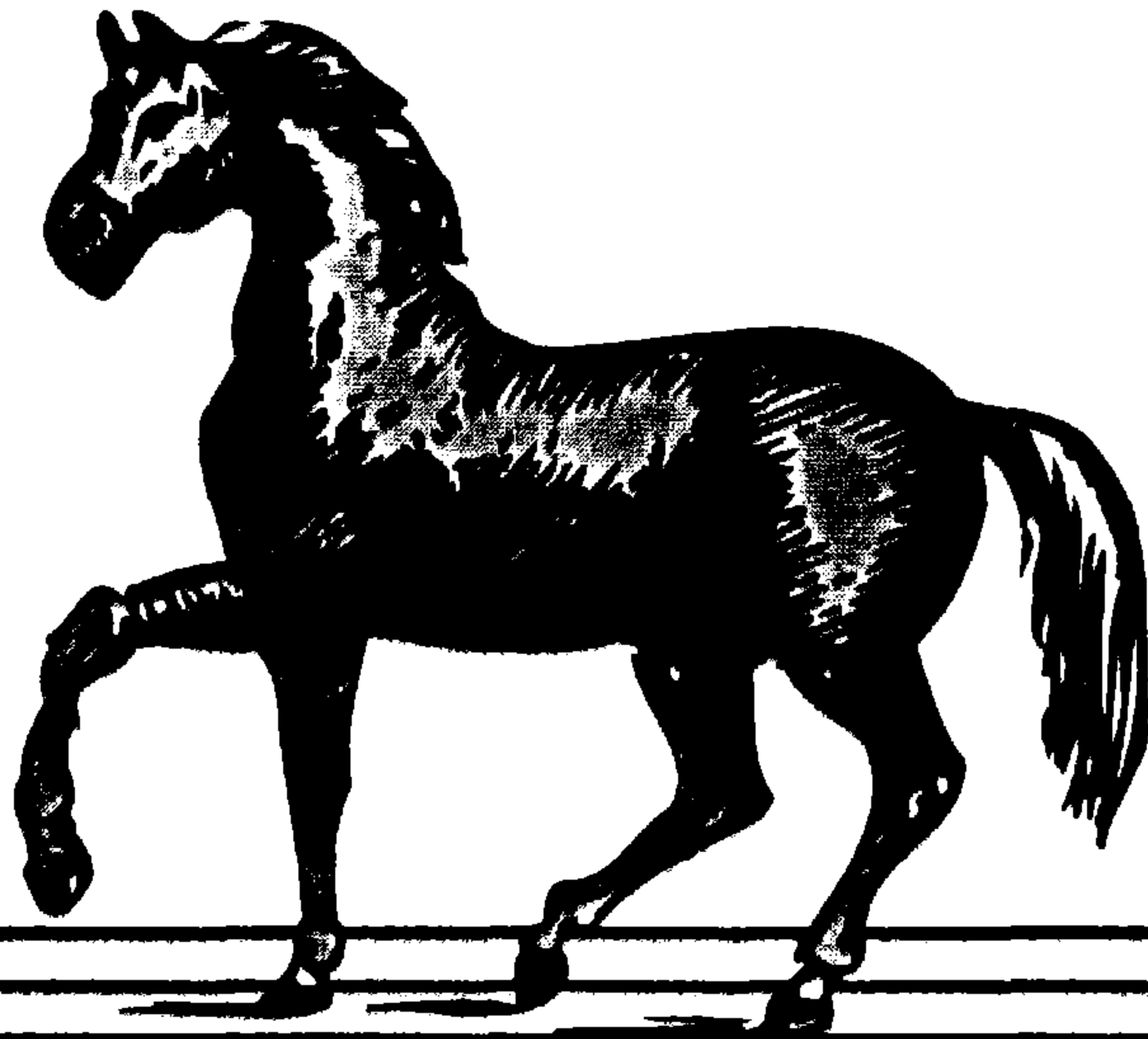
(1) المرجع السابق، ص: 158.







**بنو أمية**  
**تقويم تاريخي**







يقتضى التقويم الصحيح لآية دولة في التاريخ - وصولاً إلى معرفة إيجابياتها وسلبياتها وعوامل تقدمها، وأسباب سقوطها - إلقاء نظرة تركيبية شمولية لدورها التاريخية، كما يقتضى تتبعاً (تحليلاً) دقيقاً للسيرة الشخصية لقاداتها والعناصر الفاعلة فيها؛ وذلك لمعرفة مدى كفايتهم ومؤهلاتهم، وهل كانوا جديرين بالأماكن التي احتلوها، أو كانوا ضعفاء تسببوا بتصدرهم في إفساد الحياة السياسية والحياة العامة لأمتهم، وبالتالي إسقاط دولتهم!!؟

وعند إلقاء نظرة شمولية على الدولة الأموية، نجد أن هذه الدولة قد عاشت إحدى وتسعين عاماً بالتقويم الهجري (41 - 132هـ)، وتسعة وثمانين عاماً تقريباً بالتقويم الميلادي (661 - 750م)، وهي فترة وجيزة بالنسبة لعمر الدول.

وثمة دويلات لا يكاد يُسمع بها في التاريخ الإسلامي نفسه - مشرقه ومغربيه - قد عاشت أكثر من هذه الفترة، ومع ذلك يبدو سقوطها أمراً عادياً لم يلتفت إليه أحد من الباحثين، وذلك على العكس من دولة بني أمية التي اهتم بها وبسقوطها كثير من المؤرخين منصفين وغير منصفين...!!

إن هذه الدولة الأموية قد أخذت مكانتها لدورها في الفتوحات الإسلامية من جانب؛ ولأنها حملت الراية بعد الراشدين من جانب آخر، ولارتباطها بالسلف الصالح وعصر الاحتجاج من جانب ثالث، ولعظمة خلفائها - مهما كانت الآراء التفصيلية حولهم - من جانب رابع.

وهذه الدولة - شأنها شأن الدول التي تقوم في التاريخ - قد مرت بأطوار ثلاثة:

### أ - الميلاد والانطلاق؛

وقد شملت هذه المرحلة في الفرع السفيناني عهد معاوية بن أبي سفيان، وشملت في الفرع المرواني عهدي مروان بن الحكم، وفترة من عهد عبد الملك بن مروان.



## ب - مرحلة الازدهار والفتوحات:

وقد شملت هذه المرحلة فترة من عهد عبد الملك بن مروان، ثم عهود الوليد، وسليمان وعمر بن عبد العزيز، ويزيد بن عبد الملك، وهشام بن عبد الملك سنة (125هـ / 743م).

## ج - مرحلة الانهيار المباشر:

وهي تبدأ بالوليد بن يزيد بن عبد الملك (125 - 126هـ)، وتنظيم عهود يزيد بن الوليد (126 - 126هـ)، وإبراهيم بن الوليد بن عبد الملك (126 - 127هـ).. وأخيراً مروان بن محمد (127 - 132هـ) آخر خلفاء بني أمية!!

بيد أن ثمة نوعاً من التداخل بين هذه المراحل.. فعهد معاوية مثلاً لم يدخل من فتوحات كثيرة.. كما أن الدولة كادت تنهار في فترة معاوية بن يزيد بن معاوية (ربيع الأول - ذو القعدة 64هـ)، كما أن عهد يزيد بن عبد الملك (101 - 105هـ) إنما دخل في فترة الازدهار بتأثير الإشعاعات القوية التي سبقته، وفي قمتها عمر ابن عبد العزيز (99 - 101هـ)، والإشعاعات التي جاءت بعده ممثلة في عهد هشام الذي حاول الحفاظ على مجد الدولة، ونجح في ذلك إلى حد كبير!!

وقد تعرض بنو أمية قبل وصولهم إلى السلطة، وأثناء حكمهم، لثلاث فتن كبرى كان لها تأثيرها القوي على كيانهم التاريخي، ولئن كانت الفتنة الأولى بين علي ومعاوية (35 - 41هـ) قد انبثقت من خلال رمادها، وعلى أشلاء ضحاياها؛ دولتهم، فمما لا شك فيه أن هذه الفتنة كانت سبباً في أن دولتهم قد وُلِدَت ولادة عسيرة، وأنها ترعرعت - على الرغم مما يمكن أن يكون لديها من القوة العصبية والمثانة الشخصية - وسط أعشاب ضارة كثيرة، وفي جو لا يحمل لوجودها وداً، وليس مستعداً لأن يوفر لها من التعاون والإخلاص أسباب البقاء... وكان عليها منذ الميلاد في عام الجماعة، أن تجعل من هذه الجماعة المحيطة بها جماعة محبة لها متعاونة معها... وقد بذل معاوية ويزيد بن معاوية وعبد الملك والوليد وهشام



وغيرهم الكثير من الحلم والكرم؛ في سبيل تأليف القلوب المحيط بهم؛ لكن نجاحهم كان نجاحاً موقوتاً، ولم يستطيعوا استئصال الآثار الناجمة من مرحلة الميلاد العسير الذي تمثل في الفتنة الأولى.

والحقيقة أن بني أمية - عند النظر السليم - لا يتحملون وحدهم وزر الفشل في هذا السبيل؛ بل إن الذين كانوا يصارعونهم، ويعمدون إلى إحداث الفتن كلما خمدت مثل الشيعة والخوارج يتحملون - أكثر من بني أمية - الوزر في هذا الأمر...

لقد تنفس المسلمون الصعداء عندما سلم الحسن بن علي الأمر إلى معاوية في ربيع الأول من عام الجماعة... لكن نفرًا قليلاً من المسلمين ظلوا على ميولهم في الفتن والثورات، ففي العام نفسه خرج عبد الله بن أبي الحوساء<sup>(1)</sup> بالنخيلة من العراق، وخرج حوثة بن ذراع<sup>(2)</sup> بعده، وخرج سهم بن غالب الهجيمي ومعه الخطيم الباهلي<sup>(3)</sup>.

وفي سنة (44هـ) قتل زياد بن أبيه سهم بن غالب بالبصرة<sup>(4)</sup>، وفي سنة (49هـ) قتل زياد بالبصرة الخطيم الباهلي الخارجي<sup>(5)</sup>، كما خرج في ولاية المغيرة بن شعبة في الكوفة شبيب بن بجرة الأشجعي، وقتل<sup>(6)</sup>. وفي سنة خمسين قتل عمر بن الحمق الخزاعي بالموصل<sup>(7)</sup>. وفي سنة إحدى وخمسين قتل معاوية حجر ابن عدى، ومعه محرر بن شهاب وقبيصة بن ضبيعة القيسي، وصيفى بن بسيل بن

(1) خليفة بن خياط: التاريخ.. بتحقيق أكرم ضياء العمري، ص: 203.

(2) خليفة بن خياط: التاريخ، ص: 204.

(3) المرجع السابق.

(4) المصدر السابق، ص: 207.

(5) المصدر السابق، ص: 209.

(6) المرجع السابق.

(7) السابق، ص: 212.



ربيعة<sup>(1)</sup>. إلى غير ذلك من صور الخروج التي فرضت على بني أمية فرضاً، واضطروا لمواجهتها بالقوة، فأصابوا في أحيان وأخطأوا في أحيان أخرى.

وقد كان لاستشهاد بعض الصالحين في العهد الأموي من أمثلة حجر بن عدى، وسعيد بن جبير، فضلاً عن الإمام الحسين رضى الله عنه مهما كانت الأسباب المؤدية إلى ذلك<sup>(2)</sup> أكبر الأثر في إتاحة الفرصة لبعض الشاغبين على الدولة الأموية.

وهكذا كانت آثار الفتنة الأولى (فتنة الميلاد العسير) لمسيرة دولة بني أمية قوية. وقد ظلت دولة بني أمية تدفع ثمنها حتى أودت بالفرع السفينانى... ولولا ظروف قدرية لكان فى إمكان عبد الله بن الزبير أن يقضى على بني أمية... فى الفتنة الثانية (... فتنة مقتل الحسين وثورة ابن الزبير)... فلقد فكر مروان بن الحكم فى الدخول فيما يدخل فيه الناس من طاعة ابن الزبير<sup>(3)</sup>... إلا أن (مؤتمر الجابية)<sup>(4)</sup> الذى نجح فى أن يحول دون أول (انشقاق داخلى) فى البيت الأموى قد مكن البيت الأموى بقيادة مروان بن الحكم<sup>(5)</sup> من لم شمله، وتجميع قواه، واستئناف مسيرته تحت قيادة فرع أموى آخر يمثل دمًا جديدًا، ورثة جديدة وهو الفرع المروانى!!

لقد كان على عبد الملك بن مروان أن يتغلب على آثار الفتنتين: الفتنة الأولى التى قامت على أنقاضها ومن خلل رمادها دولة بني أمية، والفتنة الثانية التى قام من بين أنقاضها الفرع المروانى الأموى؛ لكنها خلفت وراءها حركة تهدد

(1) السابق، ص: 213.

(2) انظر فى أسباب مقتل حجر بن عدى حوادث سنة 51، وابن خلدون: العبر 3/11-15.

(3) المسعودى: مروج الذهب 3/94، وعبد الرارق الأنبارى: مرجع سابق، ص: 192.

(4) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص: 295، وعبد الرارق الأنبارى: مرجع سابق،

ص 194، وعبد الشافى عبد اللطيف: العالم الإسلامى فى العصر الأموى، ص: 143.

(5) انظر فى فضل مروان: ابن العربى: العواصم من القواصم، ص: 89.



وجودها، وهي حركة ابن الزبير التي لا زالت قوية عاتية... كما كان على عبد الملك أن يواجه فتناً كثيرة تلفعت بأردية مختلفة، فهذه فتنة التوابين التي انطلقت بتأثير مقتل الحسين، إذ رأى شيعة الكوفة بعد أن خذلوا الحسين أنه لن يغسل عارهم، ويريح ضمائرهم إلا القيام بثورة يقتلون فيها قتلته، أو يُقتلون... وقد تزعم حركتهم سليمان بن صرد الخزاعي، والتقى بهم جيش عبد الملك بن مروان بقيادة عبد الله بن زياد واليه على العراق، وتمكن من هزيمتهم<sup>(1)</sup>.

ولم يكد عبد الملك بن مروان يستبشر بانتصاره على حركة التوابين حتى كان عليه وعلى قادته في العراق أن يواجهوا - ولمدة تزيد عن عشر سنوات - حركات الشيعة، ومن أبرزها حركة المختار الثقفي، وفرق الخوارج التي كانت تبحث عن الموت أكثر من بحثها عن الحياة، ومن أبرز قادتها في هذه الفترة صالح بن مسرح، وشبيب بن زيد الشيباني؛ الذي توالى انتصاراته، ولم يقض عليه الحجاج إلا سنة (77هـ)<sup>(2)</sup>.

وقد استمرت الحروب سجلاً بين ابن الزبير وعبد الملك، ولم يستطع القضاء عليه إلا عندما وجه الحجاج إليه سنة (73هـ) في مكة، ونصب الحجاج المنجنيق وضرب الكعبة<sup>(3)</sup>.

وهكذا وبعد فترة ليست قصيرة وجهود كبيرة تمكن عبد الملك من عبور مرحلة الميلاد الثاني للدولة الأموية... ولم يعبرها إلا بعد أن استعان بجبابرة على غرار معاوية الذي استعان بزياد بن أبيه (ابن أبي سفيان) في الطور الأول... فكان المهلب بن أبي صفرة، والحجاج بن يوسف الثقفي سيفيه البتارين، اللذين يلاحق بهما الفتن، ويعالج بهما الأدواء. ومعروف أن مثل هذا العلاج يترك آثاره على

(1) خليفة بن خياط، ص: 274 : 276.

(2) المرجع السابق، ص: 270، 274، 276.

(3) المرجع السابق، ص: 269.



المدى البعيد بالنسبة لمسيرة الأمم... وما نظن أن هذا كان هو الطريق الحتمى  
الوحيد أمام عبد الملك... فثمة طرق للعلاج - يعلمنا إياها التاريخ - كثيرة، وهى  
أفضل من طريق السيف!!

لقد لخص عبد الملك منهجه، فكان أميناً... قال:

إنى والله لا أداوى أدواء هذه الأمة إلا بالسيف، أيها الناس: إنا نحتمل لكم  
كل اللغوبة ما لم يكن عقد راية ولا وثوب على منبر، هذا عمرو بن سعيد، وحقه  
حقه، وقرابته قرابته، قال برأسه هكذا، فقلنا بسيفنا هكذا<sup>(1)</sup>.

ولقد فعل الحجاج بسيفه الكثير فى أهل الكوفة والبصرة<sup>(2)</sup>... وكان فعله  
هذا سبباً فى اشتعال عدد كبير من الثورات... ولئن كان عبد الملك قد نجح -  
بالحجاج وأمثاله - فى تهدئة الأحوال، والقضاء على الفتن، فإنه لم ينجح فى فتح  
القلوب للفرع الأموى الجديد، وكان معاوية أكثر حصافة منه بحلمه وسعة  
صدره... ولو لم تتطور الأمور فى عهد يزيد على هذا النحو لربما تغيرت مسيرة  
التاريخ!!

على أننا نعود فنؤكد أن الشيعة والخوارج، ومن ركبوا موجتهما؛ يتحملون  
الوزر الأكبر فى أكثر هذه المذابح التى وقعت فى العصر الأموى بصفة عامة، ولقد  
كانوا سبباً فى لجوء حكام بنى أمية إلى ولاية من أمثال زياد والحجاج... ذلك أن  
الخروج على نظام الدولة كان أمراً مستهاناً به لدى هذه الطوائف، وكان العرب لم  
يكونوا قد استطاعوا أن يتجاوزوا مرحلة القبلية إلى مرحلة الدولة، ولاسيما بعد أن  
حدثت بعد الفتوق فى عروة الإسلام، والتقى المسلمون بسيوفهم، وتحركت فيهم -  
من جديد - العصبية القبلية...

(1) المرجع السابق، ص: 273.

(2) الطبرى: التاريخ 7/ 206، وما بعدها.





وقد كان بإمكان بني أمية - باعتبارهم العصبية الغالبة<sup>(1)</sup> - امتصاص العصبية الأخرى بطرق ملائمة لطبيعة العرب... إلا أنهم - على الرغم من كل ما بذلوه - لم يستطيعوا الوصول إلى نظام الحكم الإسلامى القائم على الشورى والعدل الكاملين، والذي كاد من شأنه أن يفتت على جانبيه هذه العصبية المحيطة بهم!!

ومع ذلك ولخصائص كثيرة يتسم بها عهد عبد الملك وابنيه الوليد وسليمان، ثم عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك... ولوجود ولاية أشداء بالغ بعضهم فى الشدة... ولدخول المسلمين - بقوة وإصرار - باب الفتوحات الإسلامية على جبهات متعددة بقيادة أبطال عظماء من أمثال حسان بن النعمان، وموسى بن نصير على الجبهة المغربية، وقتيبة بن مسلم فى خراسان وما وراء النهر حتى حدود الصين، ومحمد بن القاسم الثقفى فى السند والهند حتى جنوب البنجاب، ومسلمة بن عبد الملك فى آسيا الصغرى...

لهذه العوامل كلها انشغل المسلمون بما هو أهم من الفتن والثورات الداخلية، وأفرغوا طاقاتهم فى هذا الجهاد الخارجى العظيم... وكان خلفاء هذا العهد المروانى حتى وفاة هشام (65 - 125هـ) أهلاً لأن ينقاد لهم العرب والمسلمون.

فلما توفى هشام كان هذا إيذاناً بدخول الدولة الأموية الفتنة الثالثة والأخيرة... إنها الفتنة القاصمة...

لقد وصلت العصبية الأموية إلى قمة مرحلة الدولة، وبدأت تفترس نفسها... وأصبحت أعجز من أن تعقد مؤتمر جابية جديد ترقع بها فتوقها، وتنقل القيادة إلى دم جديد.

---

(1) انظر فى نظرية العصبية الغالبة محمد عابد الجابرى: فكر ابن خلدون: العصبية والدولة، ص: 268، نظر دار الطليعة - بيروت، الطبعة الثانية 1982م.



إن مرحلة التحدي التي مثلها رجل عظيم مثل معاوية السفياني، ورجل عظيم آخر مثل عبد الملك مروان قد انتهت... لقد انتهت الحاجة إلى جابرة عظماء - على الرغم من كل أخطائهم - ولقد اتسعت رقعة الدولة بعد فتوحات قمم الفتح الإسلامي؛ الذين عبروا إلى الأندلس ووصلوا إلى جبال البرانس - غرباً - ووصلوا حدود الصين، وأرغموا ملكها على أن يدفع لهم الجزية - شرقاً - كما خضعت لهم بلاد السند والهند... فماذا بقي في عالم القرن الثالث للهجرة... الثامن للميلاد لم يخضع لنفوذ الأمويين؟!.. وعلى امتداد الأرض الإسلامية أصبح العرب (طبقة حاكمة) منتصرة تعيش على (اقتصاد استهلاكي) يأتيها من الغزوات والخراج دون عناء إنتاجي يُذكر... وليس من سبيل هنا إلا الترف واللهو، أو كما يقول علامة المغرب (عبد الرحمن بن خلدون): "حصول الترف وانغماس القبيل في النعيم"<sup>(1)</sup>... وسبب ذلك: أن القبيلة إذا غلبت بعصبيتها بعض الغلب استولت على النعمة بمقداره، وشاركت أهل النعيم بمقدار غلبها، واستظهار الدولة بها (...). وينشأ بنوهم وأعقابهم في مثل ذلك من الترفع عن خدمة أنفسهم وولاية حاجاتهم، ويستنكفون عن سائر الأمور الضرورية في العصبية حتى يصير ذلك خلقاً لهم وسجية فتتقص عصبيتهم وبسالتهم في الأجيال بعدهم بتعاقبهم إلى أن تنقرض العصبية فيأذنون بالانقراض. وعلى قدر ترفعهم ونعمتهم يكون إشرافهم على الفناء فضلاً عن الملك، فإن عوارض الترف والفرق في النعيم كاسر من سورة العصبية التي بها التغلب<sup>(2)</sup>!!

وهذا العامل الذي قرره العلامة ابن خلدون يحتاج إلى آخرين يساعده على الوصول إلى غايته، وتحقيق السقوط... وقد توافر العاملان:

(1) المقدمة، تحقيق على عبد الواحد وافي 441/2.

(2) المقدمة 441/2.



أما أولهما: فكان الضعف السياسي للصبغة الدينية التي كانت قادرة - كما كانت دوماً - على توحيد العصبية القبلية واستيعابها، كما أن العرب ومن في معناهم لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم<sup>(1)</sup>. ومع توقف الفتوحات الإسلامية - بالإضافة إلى الترف - بدأت الغاية الدينية العليا تزدوى في النفوس.

وأما ثانيهما: فكان بلوغ الدولة طور الهرم بفساد العصبية الحاكمة، وقد لجأت الدولة إلى الاستعانة بالمصطنعين والمرترقة، كما لجأت إلى المصادرات والضرائب<sup>(2)</sup>.

ونحن نجد في مسيرة الدولة الأموية وجود هذه العوامل مجتمعة (وإن كانت عوامل مساعدة وغير أساسية)... فهناك الترف الذي سارت عليه الدولة وحاشيتها، وهناك لجوء الدولة إلى المصطنعين الذين لا يتولون أمر الدولة إلا لدنيا يصيرونها من مال أو منصب... ولقد خرج على الدولة كثير من رجالها؛ لأنهم لم يرتبطوا بها فكرياً ونفسياً... فقد خرج المختار الثقفي، وقد خرج محمد بن الأشعب، وخرج يزيد بن المهلب، ونقم على الدولة عاملها على العراق لخمسة عشر عاماً خالد بن عبد الله القسري؛ الذي عُزل وقبض عليه وسجن في الكوفة<sup>(3)</sup>، وكان مصير موسى بن نصير التغريم والسجن، ومصير ابنه عبد العزيز واليه على الأندلس القتل، وابنه عبد الله واليه على إفريقية الإهانة والعزل، ثم القتل، وكانت نهاية قتيبة بن مسلم ومحمد بن القاسم الثقفي القتل. وقد وصلت هذه العوامل بالدولة إلى مرحلة (الانشقاق الداخلي)، وهو أخطر ما يصيب الدولة، وقد وضح هذا الانشقاق بعد وفاة هشام سنة (125هـ).

(1) المقدمة 2/456.

(2) محمد عابد الجابري: مرجع سابق، ص: 291.

(3) نبيه عاقل: تاريخ خلافة بني أمية، ص: 311.



لقد كانت وصية يزيد بن عبد الملك قد نصت على أن يتولى الأمور بعد أخيه هشام ابنه الوليد بن يزيد بن عبد الملك... الذى يقال له (الوليد الثانى) وقد حاول هشام إزاحة ابن أخيه إلا أنه لم يستطع، فحاول إفساده بدفعه إلى اللهو والمجون<sup>(1)</sup>، ولما عجز عن تقديم بديل له حاول إصلاحه، ولكن بقيت الإشاعات حول الوليد تشوه صورته. وعندما ولى الوليد كان ممتكناً بالحقد على عمه، وأبنائه فبدأ خلافته باضطهاده، فضرب ابن عمه سليمان بن هشام مائة سوط، وحلق لحيته ورأسه، وغربه إلى عمان، كما حبس يزيد بن هشام<sup>(2)</sup>... وهكذا بدأ الانشقاق الداخلى يجتاح بنى أمية من الداخل...

وقد لعب يزيد بن الوليد بن عبد الملك دوراً خطيراً فى تأجيج الفتن حول ابن عمه الوليد، فقد كان أشدهم فيه قولاً<sup>(3)</sup>، وكان الناس على قوله أميل؛ لأنه كان يظهر النسك، ويتواضع ويقول: ما يسعنا الرضا بالوليد (!! حتى حمل الناس على الفتك به<sup>(4)</sup>).

ولم يكن قتل الوليد وتولية يزيد إلا بداية الفتنة... فإن مروان بن محمد بايع يزيد على مضض؛ لأنه لا يحب الفتنة، لكنه سماه الناقص (بدل يزيد) - فى إحدى روايات إطلاق هذا اللقب عليه - وفى السنة نفسها - كما يقول الطبرى -: "اضطرب جبل مروان، وهاجت الفتنة"<sup>(5)</sup>... وتوالت الأحداث... فثار أهل حمص، ورفضوا البيعة ليزيد "وأقاموا النوائح والبواكى على الوليد"<sup>(6)</sup>، وأعلن أهل الأردن وفلسطين خلافهم، وأسرع نصر بن سيار بالتمرد، ودبت الفتنة القبلية

(1) المرجع السابق، ص: 229.

(2) الطبرى، ص: 319 / 8.

(3) المرجع السابق 319 / 8.

(4) المرجع السابق.

(5) تاريخ الأمم والملوك 22 / 9.

(6) السابق 23 / 9.



بين القيسية واليمانية، وانقسم البيت الأموي على نفسه... يتلذذ بعضه بقتل بعضه... وعاجل الموت يزيد فمات في السنة نفسها<sup>(1)</sup> سنة (126هـ)، وتحرك مروان بن محمد رافضاً ما أظهره بعضهم من بيعته أخى يزيد إبراهيم بن الوليد، وتمكن خلال شهرين ونصف - وهي مدة ولاية إبراهيم بن الوليد - من خلعها وتوطيد الأمر لنفسه... وهكذا ولى مروان سنة (127هـ)، ليبدأ معركة ضارية ضد قوى كثيرة متربصة بالدولة... وقد كانت لديه الكفاية ليتنصر لولا أن جبهة بنى أمية التي كان الخلفاء قبله يعتمدون عليها كانت قد تمزقت، وأصبح بأسها بينها شديداً... ولهذا كان لا بد أن يسقط مروان بن محمد... وتسقط دولة بنى أمية؛ لأن الحبال كانت قد تقطعت منذ أقدم أموي هو يزيد، على قتل أموي آخر هو الخليفة الوليد، وانقسم بنو أمية بين زعيمين أمويين... فتجرا الناس على دماء بنى أمية... بقيادة بعض بنى أمية... وكانت النهاية الضرورية - كما يعلمنا التاريخ - استمرار نزيف الدماء!!

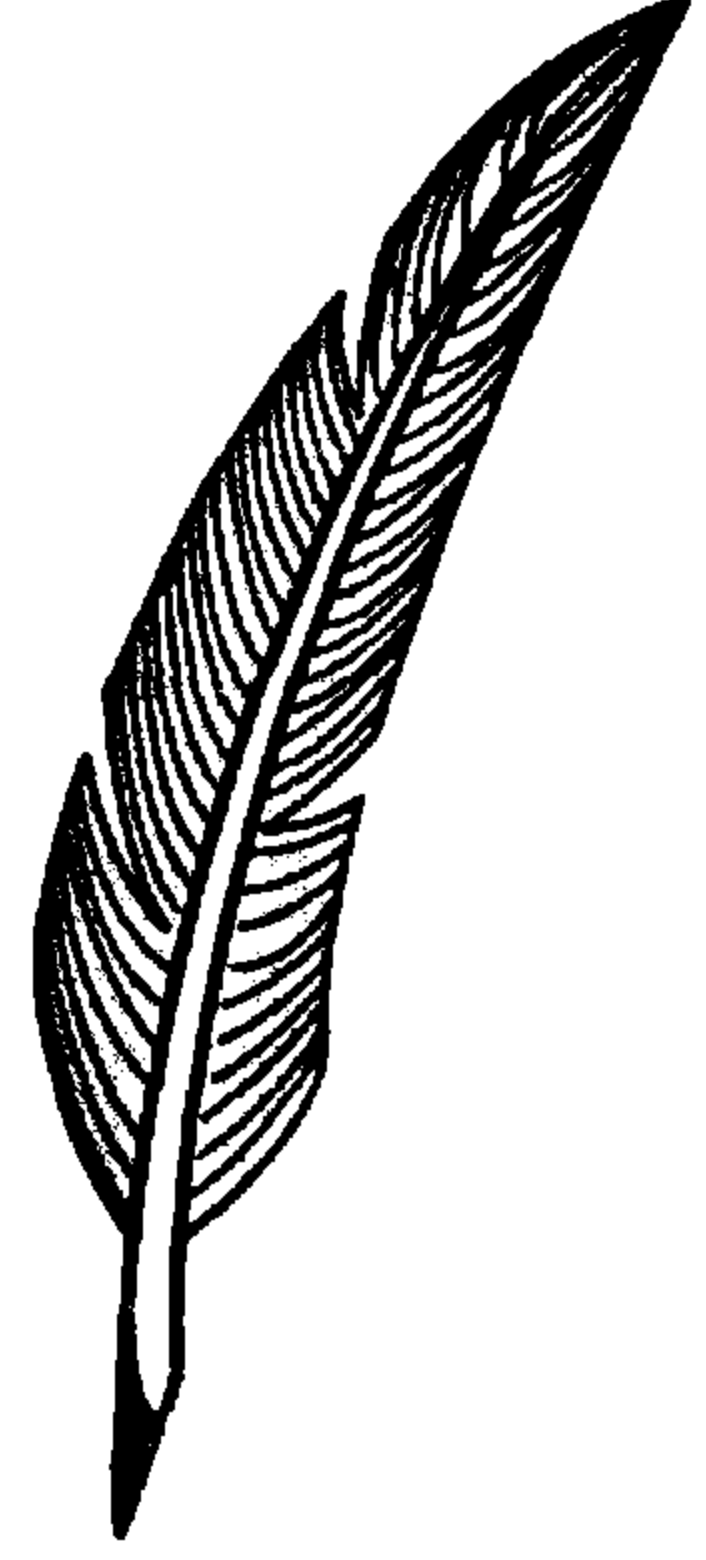
وكانت الفتنة الثالثة... الفتنة القاصمة!!

\*\*\*

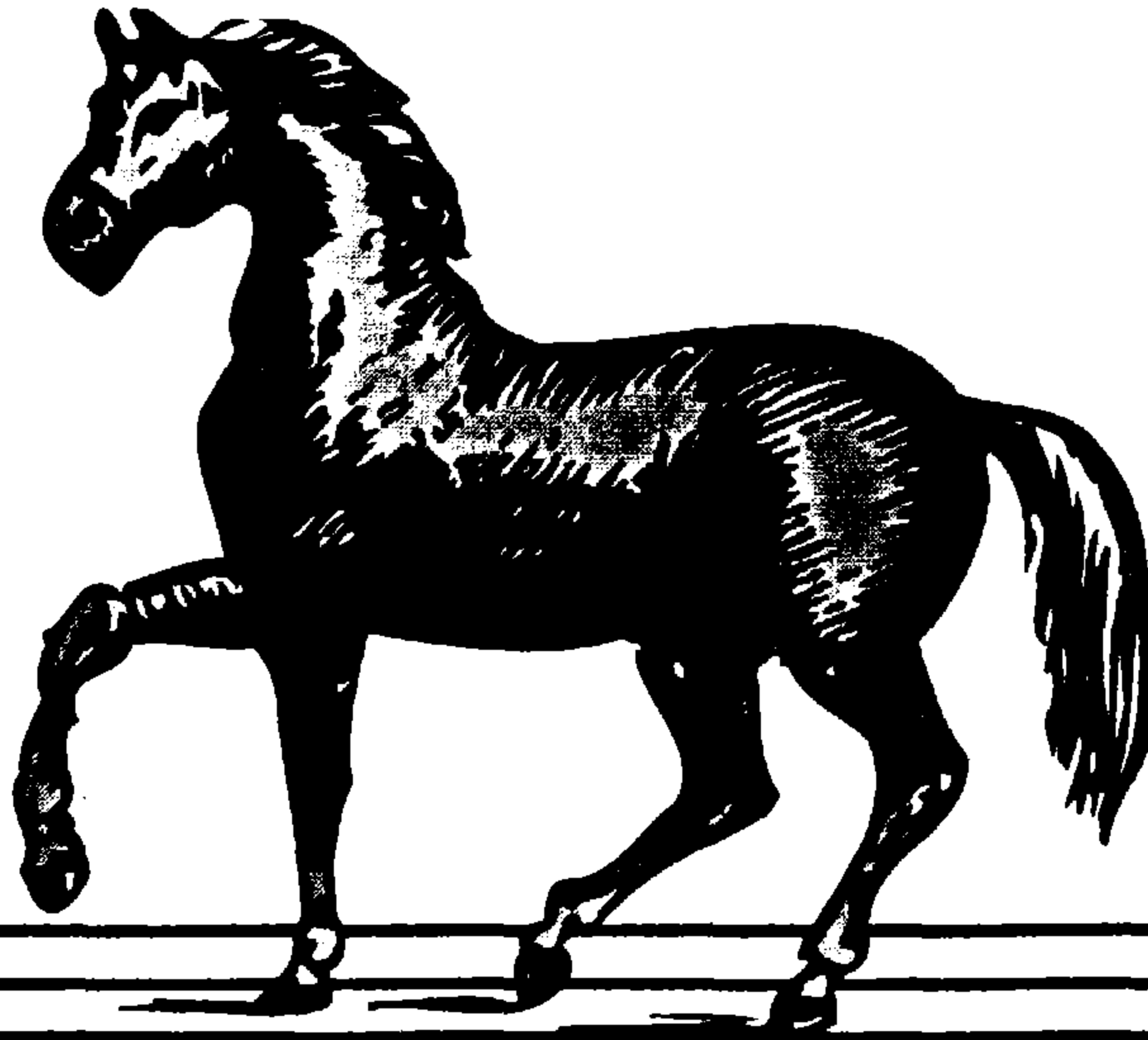
(1) خليفة بن خياط: تاريخه، ص: 369.







**من المنجزات الحضارية  
في عهد بني أمية**







## ( ١ ) معاوية بن أبي سفيان

### أ - تطوير الدواوين؛

كان من الطبيعي أن يتوسع خلفاء بني أمية في إنشاء الدواوين، والعمل على تطويرها؛ لمواكبة تطور الحياة الإسلامية، وتزايد رقعتها بعد حركة الفتوحات.

وقد عُرف الخليفة معاوية بن أبي سفيان بالحرص على حسن إدارة الدولة، ومراعاة مصالح الرعية، فلم يأل جهداً في ابتداع الأساليب الإدارية النافعة، وإنشاء الدواوين والأجهزة بإدارة الدولة.

وقبل قيام الدولة الأموية كان ثمة دواوين ثلاثة، أنشأها الخليفة الراشد (عمر ابن الخطاب رضى الله عنه)؛ وهى: "ديوان القضاء"، و"ديوان الجيش"، و"ديوان الخراج".

ومن الدواوين التى استحدثها معاوية بن أبي سفيان - فضلاً عن تطويره للدواوين القديمة :-

"ديوان البريد": استحدثه معاوية بعد اتساع نطاق الدولة؛ من أجل تسهيل الاتصال بين الخليفة فى دمشق وعمال الأقاليم. وكان هذا الديوان يقوم بمهمتين أساسيتين هما:

أ - نقل الرسائل من مركز الخلافة وإليها، سواء كانت رسائل داخلية متبادلة بين الخليفة وولاية الأقاليم، وكبار الموظفين، أم رسائل خارجية؛ وهى التى يتبادلها الخليفة مع ملوك الدول الأجنبية.

ب - مراقبة أعمال الولاية وكبار الموظفين والوقوف على أساليبهم فى إدارة الدولة؛ لإحاطة الخليفة علماً بما يجرى فى الدولة.



"ديوان الخاتم" : وكان أكبر دواوين الدولة، ويقوم موظفوه بنسخ أوامر الخليفة، وإيداعها في هذا الديوان، بعد أن تحزم بخيط وتختم بالشمع، ثم تختم بخاتم صاحب هذا الديوان، كما هو الحال اليوم في قلم الأرشيف أو السجلات. وكان الهدف من إنشاء هذا الديوان منع التلاعب والتزوير في مراسلات الدولة.

"ديوان الرسائل" : ويقوم متولى هذا الديوان بالإشراف على الرسائل الواردة من الولايات الإسلامية، أو الموجهة من الخليفة إلى عماله، وكان كَتَّاب هذا الديوان يختارون بعناية فائقة، من بين المشهورين بالبلاغة والفصاحة، والعلم بالشريعة وأحكامها، ومن أصحاب المروءة والأخلاق الفاضلة، كما رُوِيَ فيهم أن يكونوا من أرفع الناس نسباً وحسباً.

### ب - تأسيس المدن، وتعمير البلاد:

أسهم خلفاء بني أمية في إنشاء عدد من المدن الإسلامية في المشرق والمغرب، لم يزل معظمها معروفاً وقائماً حتى اليوم، ومن المدن الشهيرة التي أنشئت في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان:

- مدينة القيروان (في الجمهورية التونسية حالياً): أسسها عقبة بن نافع الفهري في إفريقية سنة (50 - 55هـ)، وكانت عاصمة الشمال الإفريقي كله في عهد الأمويين، ومركزاً من أعظم مراكز الحضارة الإسلامية.

وكذلك عُنِيَ معاوية بحركة البناء والتعمير، وأولى اهتماماً كبيراً لتطوير مشاريع الري؛ كحفر الأنهار، وشق القنوات، وتوسيع شبكات الري، وإقامة السدود والقناطر... إلخ. ففي عهده قام زياد بن أبيه (والى البصرة) بحفر عدة أنهار مثل: نهر معقل، ونهر أم حبيب، ونهر مسلم؛ الأمر الذي أسهم في إنعاش الحياة الزراعية بالبصرة، كما قام زياد بإنشاء قنطرة في الكوفة.



## ج - إنشاء الأسطول والحمالات البحرية:

عنى معاوية عقب ولايته الخلافة؛ بإنشاء السفن الحربية، لصد غارات البيزنطيين على البلاد الإسلامية، ورتب لغزوها الشوانى والصوائف، ووضع نظاماً يكفل استمرار الحرب بينه وبينهم شتاءً وصيفاً، وبلغ أسطول الشام (1700) سفينة، وفى عهد معاوية غزا عقبة بن عامر جزيرة رودس. وفى سنة (54هـ) أنشئت بمصر لأول مرة دار لصناعة السفن فى جزيرة الروضة<sup>(1)</sup>.

\*\*\*

---

(1) راجع: أبو الحسن الروحى: بلغة الظرفاء فى تاريخ الخلفاء، ص: 138، 139، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة (1425هـ - 2004م)، السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص: 233، وما بعدها، دار الجيل - بيروت، الطبعة الثالثة (1997م)، د/ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام 1/276، وما بعدها، 1/444 وما بعدها، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة، ط/ السابعة (1994م)، د/ طه عبد المقصود: دراسات فى تاريخ الخلافة الأموية، ص: 345 وما بعدها، دار الهانى - القاهرة (2004م).



## (2) "يزيد بن معاوية" (60 - 64هـ)

من المعلوم أن خلافة يزيد بن معاوية كانت حافلة بالفتن والصراعات الداخلية؛ التي كان أبرزها خروج الحسين بن علي - رضى الله عنهما - ومقتله، وخروج عبد الله بن الزبير، ومحاولته الاستقلال بالحجاز؛ ولذلك كان من الطبيعي أن تخلو الفترة التي ولى فيها يزيد الخلافة من المنجزات المهمة، والأعمال الجليلة سواء على المستوى الداخلى أو الخارجى، باستثناء ما أورده البلاذرى، وأبو الحسن الروحى فى ترجمتهما ليزيد؛ حيث ذكرا أنه "فى أيامه فتح مسلم بن زياد خوارزم وبخارى" فى بلاد ما وراء النهر، وعبر نهر جيحون، وأخضع سكان سمرقند، وظل يشن غزواته من مرو على بلاد الصغد<sup>(1)</sup>، على نحو يشى برغبة يزيد فى مواصلة سياسة الفتوحات فى أقاليم المشرق، وإن حال بينه وبين تحقيق رغبته ظروف الدولة فى عهده.

\*\*\*

(1) أبو الحسن الروحى: بلغة الظرفاء فى تاريخ الخلفاء، ص: 143.



### (3) مروان بن الحكم (64 - 65 هـ)

على الرغم من انشغال مروان بن الحكم بالقضاء على فتنة ابن الزبير، واسترداد مصر والحجاز، وإعادةتهما إلى حوزة الخلافة الأموية؛ فإنه لم يهمل الجبهة الداخلية؛ بل عمل على ضبط أحوالها، وإعادة الاستقرار والهدوء إلى أبناء المجتمع؛ فمن مآثره: أنه ضبط المقاييس والموازين؛ حتى لا يقع الغبن في البيع والشراء<sup>(1)</sup>.

وأوصى ولده عبد الملك حين ولاء مصر بأن يحسن إلى رعيته، ويسوسهم سياسة عادلة، فمما قاله: "يا بني، عمهم بإحسانك يكونوا كلهم بنى أبيك، واجعل وجهك طلقاً تصف لك مودتهم، وأوقع إلى كل رئيس منهم أنه خاصتك دون غيره؛ يكن لك عيناً على غيره، وينقد قومه إليك".

ويروى أيضاً أن عبد العزيز بن مروان قال: "أوصاني مروان عند مخرجه من مصر إلى الشام، فقال: أوصيك بتقوى الله في سرّك وعلانيتك؛ فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وأوصيك ألا تجعل لداعي الله عليك سبيلاً؛ فإن المؤذنين يدعون إلى فريضة افترضها الله عليك، إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً، وأوصيك ألا تعد الناس موعداً إلا أنفذته، وإن حملت على الأسته، وأوصيك ألا تعجل في شيء من الحكم حتى تستشير؛ فإن الله عز وجل لو أغنى أحداً عن ذلك، لأغنى نبيه محمداً ﷺ عن ذلك بالوحي الذي يأتيه، قال الله عز وجل: ﴿... وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ...﴾ (١٥٩) [آل عمران].

إن نصيحة مروان لابنه عبد العزيز؛ تمثل خلاصة تجارب مروان، وخبرته الطويلة في السياسة والحكم، وتفصح عن جانب من أخلاقه؛ فهو لم ينس أن يذكر ابنه بتقوى الله في السر والعلانية، والتزام الصلاة وعدم إهمالها، كما أوصاه بالبر والإحسان إلى الناس، والوفاء بالوعد، واستشارة ذوي الرأي السديد والعقل

(1) د/ حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام 291/1.



الراجع فى أى عمل من أعمال الدولة . وتجدد الإشارة إلى أن مروان بن الحكم كان حين ولى المدينة يتبع أسلوباً شورياً ديمقراطياً إسلامياً .  
وقد اتبع عبد العزيز نصائح أبيه ، فظل والياً ناجحاً على مصر مدة عشرين سنة(1) .

\*\*\*

---

(1) د/ سيدة إسماعيل كاشف: عبد العزيز بن مروان، ص: 36، 37، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين، العدد 239، (2005م).





### أ - تطوير الإدارة وإصلاح النظم الإدارية:

شهدت النظم الإدارية فى عهد عبد الملك بن مروان نهضة كبيرة، وتطويراً ملموساً؛ حمل المؤرخين المحدثين على وصف عبد الملك بن مروان بأنه المؤسس الثانى للدولة الأموية بعد معاوية بن أبى سفيان.

فقد ظلت الدواوين إلى عهد عبد الملك تستخدم لغات أجنبية، ففى العراق وإيران كانت لغة الدواوين هى الفارسية، وفى الشام ومصر كانت اللغة المعتمدة فى الإدارة هى اليونانية والقبطية، وليس يخفى ما تنطوى عليه "عُجْمَة" النظام الإدارى؛ من خطورة بالغة على اللغة العربية - وهى اللغة الرسمية لدولة الإسلام - وتناقض صريح مع شخصية الدولة وطابعها العربى.

وإلى عبد الملك بن مروان يرجع الفضل فى القضاء على هذا الوضع الشاذ؛ حيث أصدر أوامره - وكان حريصاً على متابعة شئون الدولة، وإدارتها بكفاءة ودقة - بتحويل لغة الدواوين إلى العربية؛ فتكون هى اللغة الرسمية الوحيدة فى جميع الدواوين، فيما عُرِف فى مصادر التاريخ بـ "تعريب الدواوين".

وكان تعريب الدواوين أحد السبل التى سلكها عبد الملك؛ بغية تعريب الجاليات والأقاليم، فانتشرت اللغة العربية، واشتد إقبال الموالى على تعلمها، وإتقانها؛ إذ كانت هى السبيل إلى تقلد الوظائف والمناصب الإدارية العالية.

وتجدر الإشارة إلى أن عبد الملك كان فقيهاً أديباً، شديد الاعتزاز بالعربية، عظيم الحرص على إتقانها، ومعرفة دقائقها وأسرارها، حتى روى عن الأصمعى أنه قال: "أربعة لم يلحنوا فى جد ولا هزل: الشعبى، وعبد الملك بن مروان، والحجاج بن يوسف، وابن القرية"<sup>(1)</sup>.

(1) وهذا الحكم على التغليب، فقد ألحن الحجاج بن يوسف، فى آية رقم (24) من سورة التوبة مرة عند قراءتها فقال: (أحبُّ) بدلاً من (أحب)، وقد أبلغه بذلك - بناءً على طلبه - أحد الناس، فنفاه.



ومن أمثلة عناية عبد الملك بتطوير النظم الإدارية؛ ما تناقلته المصادر عن التحسينات التي أدخلها عبد الملك على ديوان البريد، بعد أن أصبح أداة مهمة في إدارة شؤون الدولة، وبلغ من اهتمامه بالبريد أنه أوصى صاحبه ألا يمنع عامل البريد من الدخول عليه ليلاً أو نهاراً؛ لأن عدم دخوله ساعة قد يفسد أعمال الولاية سنة كاملة.

واهتم عبد الملك كذلك بنظام الحجابة؛ حتى إنه أوصى أخاه عبد العزيز، الذي ولى مصر من قبله (65 - 86هـ) قائلاً: "..... وآثر الرفق في الأمور؛ فإنه أبلغ بك، وانظر حاجبك فليكن من خير أهلك؛ فإنه وجهك ولسانك، ولا يقفن أحد ببابك إلا أعلمك مكانه؛ لتكون أنت الذي تآذن له أو ترده".

### ب - إصلاح النظام النقدي وإصدار الدينار العربي الإسلامي؛

كان إصلاح النظام النقدي من أهم الأعمال التي قام بها عبد الملك بن مروان، فحتى ذلك العهد كان العالم الإسلامي يعتمد على العملة الأجنبية، سواء الفارسية "الدرهم" أو "الرومية" الدنانير. ولم يعرف المسلمون عملة إسلامية خالصة إلا في عهد عبد الملك؛ الذي كان يرى أن ضرب العملات العربية الإسلامية ضرورة لازمة؛ لتدعيم البناء الاقتصادي والسياسي للدولة العربية؛ - حيث تناقصت العملات الأجنبية "من دراهم ودنانير" بعد سقوط الإمبراطورية الفارسية، وتردى أوضاع الإمبراطورية البيزنطية تناقصاً هدد النشاط الاقتصادي والتجاري المتزايد في الدولة الإسلامية، وذلك فضلاً عن اضطراب عيار هذه العملات، وانتشار الغش والتزييف في التداول منها.

ويبدو كذلك أن عبد الملك كان يسعى إلى توحيد النظام النقدي الإسلامي في سائر أنحاء الدولة العربية، ولاسيما بعد تعدد العملات التي أصدرها عبد الله بن الزبير في الحجاز، وأخوه مصعب في العراق، وكذلك فإن ضرب عملة عربية إسلامية يعبر عن سيادة الدولة، وينبئ عن تحررها من كل نفوذ أجنبي؛ ذلك أن تداول عملات أجنبية في عصر بلغت فيه الدولة العربية ذروة تألقها السياسي



الحضارى، يتعارض مع السياسة العربية التى تبناها عبد الملك فى كافة مناحى الحياة، اقتصادياً وسياسياً وإدارياً، والتى من كان أبرز تجلياتها حركة تعريب الدواوين.

ولقد مر الإصلاح النقدى الذى قام به عبد الملك بن مروان بمرحلتين قبل أن تأخذ العملات الأموية صورتها الإسلامية الخالصة، ففي المرحلة الأولى: ضربت الدنانير الذهبية على غرار الفلوس البيزنطية، فبتر أعلى الصليب من وجه العملة، وظهر على شكل حرف (T)، وأحيط هذا الصليب بعبارات التوحيد المنقوشة بالخط الكوفى، أما فى الوجه الآخر فقد أبقي على صورة هرقل وولديه قنسطنطين وهرقليوناس.

وفى المرحلة الثانية: استبعد عبد الملك التأثيرات البيزنطية نهائياً؛ بأن نقش صورته هو مكان صورة هرقل وولديه، ثم أبقي العمود القائم على المدرج الذى يحمل الصليب فى العملات القديمة، وأصبح وجه الدينار يحمل صورة عبد الملك، وأصبح ظهره منقوشاً بكتابة تدور على حافة الدينار نصها: "بسم الله ضرب هذا الدينار سنة ست وسبعين"، وأصبح الصليب مجرد عمود قائم على أربع مدرجات. ولقد سبب ظهور صورة عبد الملك على ديناره احتجاج جماعة من الصحابة، الذين أنكروا على عبد الملك تشببهه بالباطرة، كما أنكروا إظهار الصور التى ينهى عنها الشرع، كما أثار صدور هذا الإصلاح النقدى الإسلامى ثورة على نظام النقد البيزنطى العالمى.

ومع ذلك فقد كان دينار المرحلة الثانية تمهيداً لصدور الدينار الإسلامى الخالص فى سنة (77هـ)، وكان يتوسط الوجه العبارة الآتية: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له"، فى حين كان يدور على الحافة عبارة: "محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله"، أما الظهر فقد كان يتوسطه: "الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد"، وكان يدور بالحافة "بسم الله ضرب هذا الدينار عام سبع وسبعين".



ولم يكتف عبد الملك بتعريب العملة؛ بل وحد عيارها، وأمر بجمع النقود الأجنبية الرومية والفارسية - وكان أكثرها مغشوشاً - وأعيد سبكها؛ وفقاً للعيار الجديد. ووقف عبد الملك بالمرصاد لآية محاولة لغش النقود أو تزييفها، ولم يتسامح في إنزال أشد العقوبة بمن يثبت عليه التورط في شيء من ذلك.

### ج - إحصاء السكان وتقدير الضرائب؛

وفي عهد عبد الملك عمل في خراسان إحصاء جديد للسكان عامة، وكلف كل شخص بسداد ما فرض عليه من الضريبة، وزادت جزية كل شخص ثلاثة دنانير على ما كانت عليه من قبل، وعمل مثل ذلك في العراق؛ من أجل إنعاش خزانة الدولة.

### د - إصلاح الجيش؛

حين تمكنت الجيوش الإسلامية من فتح العراق ومصر والشام وغيرها؛ انصرف المسلمون إلى الزراعة، وشغلوا بتكوين الثروة، وامتلاك العقارات، وتركوا الجندية، وانصرفوا عن الجهاد، وفترت الروح العسكرية فيهم، فلا جرم أدخل عبد الملك بن مروان نظام التجنيد الإجباري، فزاد عدد الجيش زيادة كبيرة، وكان يقتصر على العنصر العربي، فتمكن الأمويون من مواصلة فتوحهم، وضموا شمال إفريقيا، وبلاد الأندلس، واستولوا على كثير من مدن المشرق.

### هـ - البناء والتعمير؛

ازدهرت حركة البناء وال عمران في عهد عبد الملك ازدهاراً كبيراً، فمن المدن التي أنشئت في عهده: مدينة واسط، أسسها بالعراق بين الكوفة والبصرة الحجاج ابن يوسف الثقفي، وبنى وسطها قصرًا فخماً بجوار المسجد الجامع، وأحاطها بالأسوار والخنادق، وعمل على تحويلها إلى مركز حضاري متكامل؛ يصلح لأن يكون مركزاً إدارياً، يمكن الحجاج من ضبط أحوال العراق، والهيمنة على شئونها.



ومن المدن التي أنشئت في عهد عبد الملك كذلك: مدينة أربيل، ومدينة برذعة.

وفي عهد عبد الملك بذل واليه الكفاء (الحجاج بن يوسف) جهوداً كبيرة في ميدان البناء والعمران، فأنتم حفر نهر الأنبار، وقام بحفر عدة أنهار في المنطقة الواقعة بين الكوفة وواسط والبصرة.

وفي مصر تولى عبد العزيز بن مروان أمرها نحو عشرين عاماً (64 - 85هـ)، فكانت له فيها إنجازات واضحة، وأدخل ضرورياً من الإصلاح، وبنى مقياساً للنيل؛ وزاد في جامع عمرو بن العاص من ناحية الغرب، وأدخل في شماله رحبة فسيحة، وأقام على خليج أمير المؤمنين قنطرة بطرف الفسطاط سنة (69هـ)، وبنى مدينة حلوان، واتخذها عاصمة لولايته سنة (73هـ) بعد أن تفتى وباء الجذام بالفسطاط، ونقل إليها بيت المال، وأنشأ بها بركة كبيرة ساق إليها الماء من العيون القريبة من جبل المقطم، على قناطر معلقة مشيدة على أعمدة تصل عيون الماء بالبركة، وغرس عبد العزيز في حلوان الأشجار والنخيل، وبنى بها المساجد وغيرها من البنايات الفخمة؛ حتى قيل: إنه بذل في سبيل ذلك مليون دينار.

ومن مآثر عبد الملك بن مروان في ميدان العمارة الدينية إنشاؤه مسجد قبة الصخرة بالقدس سنة (72هـ)، وهي الصخرة التي عرج الرسول ﷺ من فوقها ليلة الإسراء والمعراج.

وليس بصحيح ما يقال من أن عبد الملك بن مروان أنشأ القبة ليجعلها موضعاً لحج المسلمين عوضاً عن الكعبة، فهذا من اختراعات أعداء الإسلام، وهو لا يدخل في عقل إنسان؛ لأن مكة وفيها الكعبة كانت جزءاً من دولة عبد الملك، وبعد أن انتهى أمر ابن الزبير أمر عبد الملك بتجديد الحرم المكي وإعادةه كما كان.

ثم كيف يجوز في العقل أن خليفة مسلماً هو عبد الملك بن مروان - وموضعه من العلم والإسلام معروف - يتصور أن الحج صحيح إلى موضع آخر



غير بيت الله الذي بناه إبراهيم - عليه السلام - وحج إليه محمد ﷺ، ونص عليه في القرآن الكريم.

ونظام قبة الصخرة التخطيطي يشبه نظام كنيسة العذراء التي شيدها (جستيان) في أنطاكية، فقد اتخذت شكل بناء مئذنة، أقيمت فوقه قبة عالية تغطيها الفسيفساء المزينة باللون الأخضر والذهبي، وحملت القبة على دائرة من العقود، نصف الدائرة، تقوم على أعمدة قديمة جلبت من عمائر قديمة، وعلى أكتاف، وارتبطت فيما بينها عند رؤوس التيجان بأوتار خشبية ضخمة، ويفصل بين الصف الدائري للعقود التي تقوم عليها القبة، والمئذنة الخارجى للبناء كله، مئذنة من العقود التي تقوم على الأعمدة والأكتاف، وقد ظل تخطيط قبة الصخرة فريداً في العمارة الإسلامية في عصورها المختلفة؛ لأن تصميمها يطابق الغرض الذي أقيمت من أجله؛ وهو تحويط الصخرة المقدسة بالحرم الشريف.

#### و - استئناف سياسة الفتوحات:

نشطت فتوح بلاد ما وراء النهر منذ أن ولي الحجاج بن يوسف خراسان مع العراقيين في سنة (78هـ)، في خلافة عبد الملك بن مروان؛ ومن مدن المشرق التي تم فتحها في عهد عبد الملك، أو أعلنت خضوعها للدولة الإسلامية بدفع الجزية: خجندة، وبلاد الصغد، وإقليم تركستان، وترمد، ولعلت آنذاك أسماء قواد عظماء مثل: المهلب بن أبي صفرة، وقتيبة بن مسلم، وغيرهما.

وفي المغرب اتسعت رقعة الدولة الإسلامية؛ بفضل جهود عبد الملك، وما حققه عماله وقادته من فتوحات؛ حيث نجح حسان بن النعمان الغساني في القضاء على المقاومة البربرية والبيزنطية، بعد أن سحق جيش الكاهنة سنة (82هـ)، واستعاد قرطاجنة، وأنشأ إلى الشرق منها مدينة تونس، وبنى بها داراً لصناعة الأسطول، وأسس فيها مسجداً جامعاً، وداراً للإمارة، وثكنات للجند؛ حتى أصبحت من أعظم مدن المغرب.



وفى سنة (85هـ) ولى موسى بن نصير إفريقية، فنجح فى فتح المغرب كله، ولم تستعص عليه منها سوى مدينة سبتة؛ لمناعتها، ووصول الإمدادات إليها من إسبانيا القوطية<sup>(1)</sup>.

\*\*\*

---

(1) راجع: السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص: 256، وما بعدها، د/ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص: 351، 405، وما بعدهما، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية - بدون تاريخ، د/ حسين مؤنس: المساجد، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد 37، ص: 155، 1981م، د/ طه عبد المقصود: دراسات فى تاريخ الخلافة الأموية، ص: 345 وما بعدها.





## ( 5 ) الوليد بن عبد الملك ( 86 - 96هـ )

### أ - التطوير الإداري:

حذا الوليد بن عبد الملك حذو أبيه؛ في العناية بإصلاح النظم الإدارية وتطويرها، فحول ديوان الخراج في مصر إلى العربية بعد أن كان باليونانية، يؤيد ذلك أوراق البردى العربية التي يرجع تاريخها إلى عهد الوليد؛ حيث دونت باليونانية والعربية معاً.

ومنذ عهد الوليد ورد في المصادر التاريخية اسم "ديوان المستغلات"، ويبدو أن الغرض منه كان إدارة الأبنية والخوانيت والعمارات.

وكذلك عُنِيَ الوليد بديوان البريد عناية فائقة؛ لأنه سهل مهمة الحكم في دولة اتسعت أطرافها، وكان الوليد يحمل على البريد الفسيفساء المذهب من القسطنطينية إلى دمشق؛ حتى صفح منه حيطان المسجد الجامع بها، ومساجد مكة والمدينة والقدس.

### ب - استمرار التجنيد الإجباري:

إن حال التجنيد من تطوع وإجبار كان يتغير بين حين وآخر بتغير الأمراء، واختلاف ظروف القتال، وقوة الخلافة نفسها، وسياستها في التوسع والفتح.

ولما كان عهد الوليد بن عبد الملك عهد فتح وجهاد، حتى بلغت الدولة الأموية أقصى اتساع لها، فقد استمرت حالة التجنيد الإجباري، لتمكين الجيش من أداء مهمته في الغزو والتوسع.

وكان الحجاج يشتد في تجنيد الناس، فلا يدع قرشياً ولا رجلاً من بيوتات العرب، حتى روى أنه ضرب البعث على المحتملين<sup>(1)</sup>، ومن أنبت من الصبيان، فكانت المرأة تجيء إلى ابنها - وقد جرد - فتضمه إليها، وتقول له: بأبي؛ جزعاً عليه.

(1) الذين لم يبلغوا الحلم (سن البلوغ).



## ج - العناية بالطرق والعمارة والبناء؛

يعد الوليد بن عبد الملك - بحق - أعظم خلفاء بني أمية أثراً في ميدان البناء والعمارة، حتى قيل: إن الناس في دمشق كانوا يتحدثون في عهد الوليد عن البناء والعمائر وجمالها، وفي عهد سليمان بن عبد الملك عن الطعام والشراب، وفي عهد عمر بن عبد العزيز عن الدين والقرآن؛ إشارة إلى أن الناس كانوا يسرون سيرة خليفاتهم، فكانوا في عهد الوليد - تأثراً به - يحرصون على التشييد والتأسيس، ويولعون بالضياح والعمارات؛ لوفرة الثروة في أيديهم.

وقد أنشأ الوليد عدداً من الطرق، ومهدّها، ولاسيما الطرق المؤدية إلى الحجاز، كما حفر الآبار على طول هذه الطرق، ووظف لها من يُعنى بها، ويمد الناس بمائها، وحشد الوليد لأعمال العمران آلاف العمال الذين استقدمهم من مصر، ومن مناطق الشام المختلفة، ومن الهند وبلاد فارس.

وكان الوليد أول من أمر بتشيد المستشفيات لذوى الأمراض المزمنة؛ حيث يذكر اليعقوبي: أنه أول من عمل البيمارستان للمرضى، وأول من أجرى الأرزاق على العميان والمساكين والمجدومين.

وعنى الوليد عناية فائقة ببناء وتجديد المساجد الكبرى، وذلك على النحو التالي:

### 1 - المسجد الحرام:

فقد اشترى الوليد كثيراً من الدور التي كانت تقع حول الكعبة، وهدمها وضمها إلى المسجد، وأرسل إلى خالد بن عبد الله القسري (عامله على مكة) ثلاثين ألف مثقال ذهباً، فصفح باب الكعبة، والميزاب والأساطين؛ وذلك لمزيد من التحسين والتجميل، وبنى سور المسجد على عمُدٍ من الرخام.



## 2 - المسجد النبوي:

فقد أمر الوليد ابن عمه عمر بن عبد العزيز - وكان والياً على المدينة النبوية (87 - 93هـ) - أن يهدم المسجد النبوي، ويعيد بناءه وتوسعته، وأرسل إليه أموالاً كثيرة لهذا الغرض، وثمانين عاملاً من عمال البناء، من الشام وقبط مصر، وكميات كبيرة من الفُسيفساء، وقد عهد عمر بالإشراف على البناء إلى واحد من كبار الفقهاء التابعين، وهو "صالح بن كيسان"، المتوفى في حدود سنة (140هـ)، وكان مؤدباً لعمر بن عبد العزيز ثم لأولاده، وكان ثقة، صالحاً، فقيهاً، مُحدثاً.

وقد استمر العمل في البناء نحو ثلاث سنوات، وفي سنة (91هـ) حج الوليد بن عبد الملك وزار المسجد النبوي.

## 3 - المسجد الأقصى:

بناه الوليد بالقرب من مسجد قبة الصخرة، وقد زينَه الوليد بالفُسيفساء والرخام، واحتفل بينائه كاحتفاله بالمسجد الحرام، والمسجد النبوي.

## 4 - الجامع الأموي بدمشق:

وهو أعظم المساجد التي أنشأها الوليد بن عبد الملك؛ بل لعله أعظم العمائر التي خلفها لنا العصر الأموي، وكان موضع بنائه كنيسة يوحنا المعمدان؛ التي أقامها الإمبراطور (ثيو دوسيوس) داخل معبد الإله جوبيتر الدمشقي، وهو معبد وثني قديم، احتفظت الكنيسة بجدرانها الخارجية، وأبراجه الأربعة القائمة في الأركان. فلما افتتح المسلمون دمشق دخلها خالد بن الوليد من الجهة الشرقية عنوة، وانتهى إلى النصف الشرقي من الكنيسة، فاتخذه المسلمون مسجداً، بينما دخل أبو عبيدة المدينة من الجهة الغربية صلحاً، فترك النصف الثاني من الكنيسة للنصارى، وبذلك شارك المسلمون نصارى دمشق في كنيستهم الكبرى، وأقاموا صلواتهم في النصف الشرقي دون أن يقوموا بإجراء أى تغيير معماري فيه، واكتفوا باتخاذ موضع القبلة في الجدار القبلي.



وقد حاول معاوية بن أبي سفيان أن يقنع نصارى دمشق بالتنازل عن نصيبهم لضمه إلى المسجد، فأبوا إباءً شديداً، فأمسك عن طلبه، وعاود عبد الملك بن مروان مطالبتهم بهذا الشرط؛ لإدخاله في الجامع، وبذل لهم مالاً، فأبوا أن يسلموه إليه، فلما تولى الوليد الخلافة رأى أن يقيم مسجداً جامعاً للمسلمين لا يقل عظمة عن الكنائس البيزنطية العظمى، فقد رأى الشام بلدًا يكثر فيه النصارى، ورأى لهم بيعاً حسنة قد بولغ في زخارفها، وانتشر ذكرها مثل كنيسة القيامة، وبيعتا اللد والرها، فبادر بمفاوضة أصحاب الكنيسة في التخلي عن شطرهم، وعرض عليهم مالاً كثيراً؛ لقاء تنازلهم عن هذا الشطر، فلما أبوا انتزعه منهم قسراً، وأمر بهدم الكنيسة والجامع القديم، وبناء الجامع، وتم بناؤه في عام (87هـ / 706م)، وعلى الرغم من أن هذا الجامع تعرض للحريق عدة مرات، وأضيف إليه، وجُود عدة مرات، فإنه لا يزال يحتفظ حتى اليوم بتخطيطه الإسلامي الأموي، ويشتمل على بيت للصلاة، وصحن (أى فناء) تحيط به أروقة، ويتألف بيت الصلاة من ثلاثة أروقة موازية لجدار القبلة تجملها أعمدة رخامية، ويعترض هذه البلاطات في منتصفها؛ بلاط أوسط عمودى على جدار القبلة، ينتهى بالمحراب، يتجاوز في ارتفاعه البلاطات العرضية الأخرى؛ الممتدة من الشرق إلى الغرب، فبينما يبلغ (15م) فى هذه البلاطات، يصل إلى نحو (23م) فى البلاطة الوسطى. وتعلو هذه البلاطات أسقف منشورية الشكل، فى حين يقوم عليها فى منتصف بلاط القبلة قبة حجرية أضيفت فى عصر متأخر، وكانت جدران المسجد مكسوة بزخارف من الفسيفساء الملونة والمذهبة.

وقيل: إن الوليد أنفق على عمارة هذا المسجد خراج المملكة سبع سنين، وقيل: إن حساب ما أنفق على المسجد حمل ثمانية عشر بعيراً، فأمر الوليد بإحراق الحساب، ولم ينظر فيه، وقال: "هو شيء أخرجناه لله فلم نتبعه".



## 5- الجامع الأموى فى حلب:

ويقال إنه كان معادلاً للجامع الأموى فى دمشق؛ بجماله وفنه، وخاصة أحجاره المرمرية وفسيفسائه<sup>(1)</sup>.

\*\*\*

---

(1) د/ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص: 438 - 440، د/ سيدة إسماعيل كاشف: الوليد بن عبد الملك، ص(173 - 207)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين، العدد (238)، د/ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام 1/ 298، وما بعدها، 1/450.



## (6) سليمان بن عبد الملك (96 - 99هـ)<sup>(1)</sup>

### أ - الإحسان إلى الرعية:

وصف المؤرخون سليمان بن عبد الملك بأنه كان مؤثراً للعدل، راغباً في الخير؛ ولذلك فلم يكذب على الخلافة سنة (99هـ)؛ حتى رد المظالم، وفك الأسرى، وأطلق أهل السجون، وأحسن إلى الفقراء، وخفف عن الناس كثيراً مما أرهقهم به عمال الوليد بن عبد الملك؛ بفضل توجيهات وزيره عمر بن العزيز، ورجاء بن حيوة.

### ب - بناء مدينة الرملة:

وفي سياق اهتمام خلفاء بني أمية بالبناء وال عمران، قام سليمان بن عبد الملك ببناء مدينة الرملة سنة (98هـ)، وهي مدينة عظيمة بفلسطين، كما يذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان.

### ج - محاولة فتح القسطنطينية:

يصف ابن الطقطقي أيام سليمان بن عبد الملك: "بأنها كانت ذات فتوح متوالية"، وربما كانت محاولة فتح القسطنطينية من أهم ما يذكر له في هذه السبيل.

وكان الوليد قد شرع في إرسال حملة للاستيلاء على القسطنطينية، ولكنه توفي قبل مسير هذه الحملة، فلما ولي سليمان الخلافة، أنفذ هذه الحملة، ورابط في مرج دابق على بعد أربعة فراسخ من حلب. وقد دافع أنستسياس الثاني (إمبراطور الروم) عن حاضرة ملكه بكل ما أوتى من قوة، وأرسل إلى الثغور

---

(1) راجع: أبو الحسن الروحي: بلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء، ص: 153، 154، ابن الطقطقي: الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص: 128، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص: 269 - 271، د/ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام 1/323.



حملة؛ لتحول دون وصول الأقوات والمؤن إلى جند المسلمين، ولكنها أخفقت، وانضم إلى جيش المسلمين في آسيا الصغرى ليو الأزوري البيزنطى، وكان يطمع فى الملك، واتحد مع مسلمة بن عبد الملك بن مروان (أمير هذه الحملة)، ومن ثم أخذ المسلمون يستولون على بلاد آسيا الصغرى مدينة تلو مدينة؛ حتى عبروا البحر، ووصلوا إلى أسوار القسطنطينية، وتبعهم أسطول المسلمين من الثغور الشامية والمصرية، واشترك فى حصار حاضرة البيزنطيين.

غير أن (ليو) خرج على صفوف المسلمين، وأعلن نفسه إمبراطوراً بدلاً من (أنستياس) الذى كان مكروهاً من الأهلين، واشتد حصار المسلمين للمدينة من البحر، وهاجمها أسطولهم، فعمل (ليو) على استدراج سفن المسلمين، ففتكت بها النار الإغريقية، ونفدت أقواتهم، فتحملوا آلام الجوع والمرض؛ حتى فنى جلهم بعد أن دمرت أكثر سفنهم.

\*\*\*





أ - إبطاله سب على بن أبي طالب في الخطبة:

كان بنو أمية يسبون على بن أبي طالب على المنابر في الخطبة، فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة، أبطل ذلك، وكتب إلى نوابه بإبطاله، على أن يقرأ مكانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل].

فاستحسن الناس ذلك، ومدحه الشعراء، فممن مدحه كثير عزة بقوله:

وَلَيْتَ فَلَمْ تَشْتُمْ عَلِيًّا وَلَمْ تُخِيفْ بَرِيًّا وَلَمْ تَتَّبِعْ مَقَالَةَ مُجْرِمِ

ورثاه الشريف الرضى بقوله:

يا ابن عبد العزيز لو بكت العيب — من فتى من أمية لبكيتك  
أنت أنقذتنا من السب والشت — ثم فلو أمكن الجزاء جزيتك

ب - تمسكه بالكتاب والسنة منهاجاً للحكم:

فبعد أن ولي الخلافة خطب الناس قائلاً: "أيها الناس؛ إنه لا كتاب بعد القرآن، ولا نبي بعد محمد ﷺ إلا وإني لست بقاضٍ؛ ولكنى منفذ، ولست بمبتدع ولكنى متبع، ولست بخير من أحدكم، ولكنى أثقلكم حملاً، وإن الرجل الهارب من الإمام الظالم ليس بظالم، إلا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق".

(1) راجع: أبو الحسن الروحى: بلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء، ص: 156، ابن الطقطقا: الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص: 129، السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص: 272، وما بعدها، د/ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام 1/327 - 333، د/ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص: 412.



## ج - الإصلاح المالى والتخفيف عن الرعية:

الواقع أن الإصلاح المالى الذى نهض به الخليفة العظيم (عمر بن عبد العزيز) كان يصب فى مصلحة الرعية، ولم يكن الهدف منه زيادة موارد بيت المال، فقد رفع عمر الجزية عن أسلم، وخفف الضرائب عن عامة المسلمين، ولاسيما الموالى من الفرس.

فكانت النتيجة أن نقص إيراد بيت المال نقصاً ملموساً، فأشار بعض الولاة بعدم رفع الجزية عن أسلم، فرفض عمر رفضاً قاطعاً؛ بدافع من شدة إيمانه، وحرصه على إعلاء كلمة الله، وكان مما قاله لأحد ولاته: "إنَّ الله إنما بعث محمداً ﷺ هادياً، ولم يبعثه جابياً، ولعمري لعمر أشقى من أن يدخل الناس كلهم فى الإسلام على يديه".

## د - الدعوة إلى الإسلام والحرص على نشره:

وفى ضوء فقه عمر بن عبد العزيز لغاية البعثة المحمدية، وأنها ليست سوى هدايتهم ودعوتهم إلى الاستقامة على منهاج الإسلام، وليست كما فهمها البعض جزية وجباية، جعل عمر يتخذ التدابير لنشر الدعوة الإسلامية، فتألف أهالى البلاد المفتوحة بحسن المعاملة، والتسامح حيناً، وبالمال أحياناً؛ لتشجيعهم على الدخول فى الإسلام، حتى إنه كان يمنحهم هبات من بيت المال، وقيل: إنه أعطى قائداً نصرانياً ألف دينار يتألفه بها على الإسلام، كما أمر عماله بدعوة أهل الذمة إلى الإسلام، وقد قيل: إن الجراح بن عبد الله عامله على خراسان أدخل فى الإسلام نحواً من أربعة آلاف شخص، كما كتب عمر إلى ليو الثالث (ملك الروم) يدعوه إلى الإسلام.

ودخل كثير من أهالى بلاد ما وراء النهر فى الإسلام؛ استجابة لسياسة التسامح التى انتهجها عمر، وكذلك استجاب لدعوته كثير من أمراء السند.



وحرص عمر كذلك على تفضيه مسلمى البربر بشئون دينهم من خلال ما أرسله إليهم من دعاة وفقهاء؛ حتى لم يبق واحد منهم لم يدخل فى الإسلام.

وبلغ من تأثير سياسة التسامح التى انتهجها عمر أن أحد كتاب النساطرة كان يضيف كلمات التبجيل والتقديس إلى اسم الرسول وإلى أسماء الخلفاء الأول، كلما عرض لذكرهم، ويستنزل الرحمة على عمر بن عبد العزيز.

#### هـ - ضرب المثل للحكام فى الزهد والتقشف والتعفف عن أموال الرعية؛

كان عمر بن عبد العزيز فى غاية النسك والصلاح والتواضع، مع الزهد والتقشف، رغم ما كان عليه قبل الخلافة من ثراء وميل إلى التمتع، والتمتع بمتع الحياة ولذائذها. والحكايات المروية عنه فى هذا الجانب أكثر من أن تحصى، ولا بأس من الإشارة إلى بعضها.

قال مالك بن دينار: الناس يقولون: مالك زاهد، وإنما الزاهد عمر بن عبد العزيز؛ الذى أتته الدنيا فتركها.

وقال يونس بن أبى شبيب: شهدت عمر بن عبد العزيز وإن حُجزة إزاره لغائبة فى عكته، ثم رأيت بعد ما استخلف، ولو شئت أن أعد أضلاعه من غير أن أمسها لفعلت.

وقال ولده عبد العزيز: سألتى أبو جعفر المنصور: كم كانت غلة أهلك حين أفضت الخلافة إليه؟ قلت: أربعين ألف دينار، قال: فكم كانت حين توفى؟ قلت: أربعمائة دينار، ولو بقى لنقصت.

وقال مسلمة بن عبد الملك: دخلت على عمر بن عبد العزيز أعوده فى مرضه، فإذا عليه قميص وسخ، فقلت لفاطمة بنت عبد الملك: ألا تغسلون قميصه؟ قالت: والله ما له قميص غيره.

قال أبو أمية الخصى غلام عمر: دخلت يوماً على مولاتى فغدتنى عدسًا، فقلت: كل يوم عدس؟ قالت: يا بنى هذا طعام مولاك أمير المؤمنين.



وقال عَوْنُ بنِ المعمر: دخل عمر على امرأته فقال: يا فاطمة عندك درهم  
أشترى به عنبًا؟ فقالت: لا، وقالت: وأنت أمير المؤمنين لا تقدر على درهم  
تشتري به عنبًا؟! قال: هذا أهون علينا من معالجة الأغلال غدًا في جهنم.

وقال الوليد بن أبي السائب: ما رأيت أحدًا قط أخوفَ لله من عمر.

وقال سعيد بن سويد، صلى عمر بالناس الجمعة - وعليه قميص مرقوع  
الجيب من بين يديه ومن خلفه - فقال له رجل: يا أمير المؤمنين: إن الله قد  
أعطاك، فلو لبست، فنكس مَلِيًّا، ثم رفع رأسه فقال: إن أفضل القصد عند  
الجِدَّةِ، وأفضل العفو عند القدرة.

وقال عمرو بن مهاجر: كانت نفقة عمر بن عبد العزيز كل يوم درهمين.

وقال عطاء الخراساني: أمر عمر غلامه أن يسخن له ماء، فانطلق فسخن  
قمقمًا في مطبخ العامة، فأمر عمر أن يأخذ بدرهم حطبًا يضعه في المطبخ.

وقال عمرو بن مهاجر: كان عمر يسرج عليه الشمعة ما كان في حوائج  
المسلمين، فإذا فرغ من حوائجهم أطفأها، ثم أسرج عليه سراجَه.

### و - الرفق في معاملة خصوم الدولة:

كان من سياسة عمر بن عبد العزيز أن يجنح إلى الرفق والمسالمة؛ لجمع  
الشمْل، وتوحيد الكلمة، ومن أمثلة ذلك: أن الخوارج لما خرجوا في عهده لم يشأ  
أن يسلك معهم سبيل العنف والشدة، كما كان يفعل من سبقه من خلفاء بني  
أمية؛ ولكنه ناظرهم، وقارعهم بالحجة، ونجح في إقناع الرسل الذين أرسلهم إليه  
زعيم الخوارج.

حيث يروى أن الخوارج لما خرجوا في عهد عمر أرسل إلى زعيمهم شوذب  
كتابًا يقول فيه:



"بلغنى أنك خرجت غضبًا لله ولنبييه، ولست أولى بذلك منى، فهلم أناظرك، فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس، وإن كان فى يدك نظرنا فى أمرنا"، فكتب شوذب إلى عمر: "لقد أنصفت، وقد أرسلت إليك رجلين يدارسانك ويناظرانك".

وكان عمر بن عبد العزيز يرمى بهذا العمل إلى إزالة الخلف بين الفريقين، عن طريق الإقناع بالحجة والبرهان... ولم يرد بما عرف عنه من كراهة لإراقة دماء المسلمين إلا أن يسلك معهم سبل اللين، وقد أثمرت سياسة عمر، فشهد أحد هذين الخارجين المتناظرين بأن عمر على صواب، وذكر المسعودى: أن أحد هذين الرسولين قال لعمر: "ما سمعت كاليوم قط حجة أبين وأقرب مأخذًا من حجتك، أما أنا فأشهد أنك على الحق، وأنا برىء منك"، فقال عمر للرسول الآخر: "فأنت ما تقول؟" قال: ما أحسن ما قلت وأبين ما وصفت! ولكنى لا أفتات على المسلمين بأمر؛ حتى تعرض عليهم قولك، فأنظر ما حجتهم، ثم مضى أحد الرسولين إلى شوذب وأتباعه؛ ليطلعهم على ما دار فى هذه المناظرة، ولكن المنية لم تلبث أن عاجلت عمر (25 رجب سنة 101هـ).

### ز - البناء والتعمير:

واصل عمر بن عبد العزيز سياسة أسلافه فى تعمير البلاد؛ فبنى الجحفة، وهى قرية كبيرة على طريق المدينة، وسميت الجحفة؛ لأن السيل اجتاحها، وحمل أهلها فى بعض الأعوام.

واشترى ملطية من ملك الروم بمائة ألف أسير وأعاد بناءها سنة (99هـ).

### ح - النظر فى المظالم:

فى سياق المشروع الإصلاحى الذى قام به عمر بن عبد العزيز، تجدر الإشارة إلى أنه كان أول من ندب نفسه للنظر فى المظالم فردها، وراعى السنن العادلة



وأعادها، ورد مظالم بنى أمية على أهلها حتى قيل له، وقد شدد عليهم فيها  
وأغلظ: "إنا نخاف عليك من ردها العواقب"، فقال: "كل يوم أتقيه وأخافه دون  
يوم القيامة لا وقيته"<sup>(1)</sup>.

\*\*\*

---

(1) راجع: أبو الحسن الروحى: بلغة الظرفاء فى تاريخ الخلفاء، ص: 156، ابن الطقطقا:  
الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص: 129، السيوطى: تاريخ الخلفاء،  
ص: 273، وما بعدها، د/ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام 1/ 327 - 333، د/  
السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص: 412.



## (8) هشام بن عبد الملك (105 - 125هـ) (1)

أ - أدخل هشام بن عبد الملك نظام الأحداث، وكان صاحبه يضطلع بالأعمال العسكرية التي تعد وسطاً بين أعمال صاحب الشرطة والقائد.

ب - اهتم هشام بالقضاء اهتماماً كبيراً، وتحرى فيمن يعهد إليه بهذا المنصب الجليل الكفاية والعدالة، فكان لا يتردد في عزل من يشذ منهم عن الطريق السوي، وقد حكى الكندي أن هشاماً بلغه أن يحيى بن ميمون الحضرمي لم ينصف يتيماً احتكم إليه بعد بلوغه، فكتب إلى عامله على مصر يقول: "اصرف يحيى عما يتولاه من القضاء مذموماً مدحوراً، وتخير لقضاء جنك رجلاً عفيفاً، ورعاً تقياً، سليماً من العيوب، لا تأخذه في الله لومة لائم".

ج - واصل هشام سياسته أسلافه في البناء والتعمير، فأنشأ مدينة الرصافة بالقرب من الرقة في العراق، وأنشأ الحكم بن عوانة الكلبي مدينة المحفوظة في السند، وأنشأ عمر بن محمد بن القاسم الثقفي مدينة المنصورة في السند أيضاً، وبني سعيد أخوه قبة بيت المقدس.

ومن إصلاحات هشام: تقوية الثغور، وحفر القنوات والبرك في طريق مكة، ولما تولى خالد بن عبد الله القسري العراق في سنة (105 - 120هـ)؛ استصلح الأراضي، وشق الأنهار، فحفر بالعراق أنهاراً عديدة من أشهرها: نهر المبارك، ونهر خالد، ونهر الجامع، وغيرها، كما قام ببناء أسواق جديدة، وجعل لأهل كل حرفة مكاناً خاصاً بهم. وقد بلغت نفقات حفر نهر المبارك (12) مليون درهم، وكان هذا النهر يسقى مساحات واسعة من أراضي السواد، وهي المناطق الواقعة بين واسط والبصرة.

(1) راجع: أبو الحسن الرواحي: بلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء، ص: 159، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص: 296، 297، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام 1/ 333، طه عبد المقصود: دراسات في تاريخ الخلافة الأموية، ص: 357، 358.



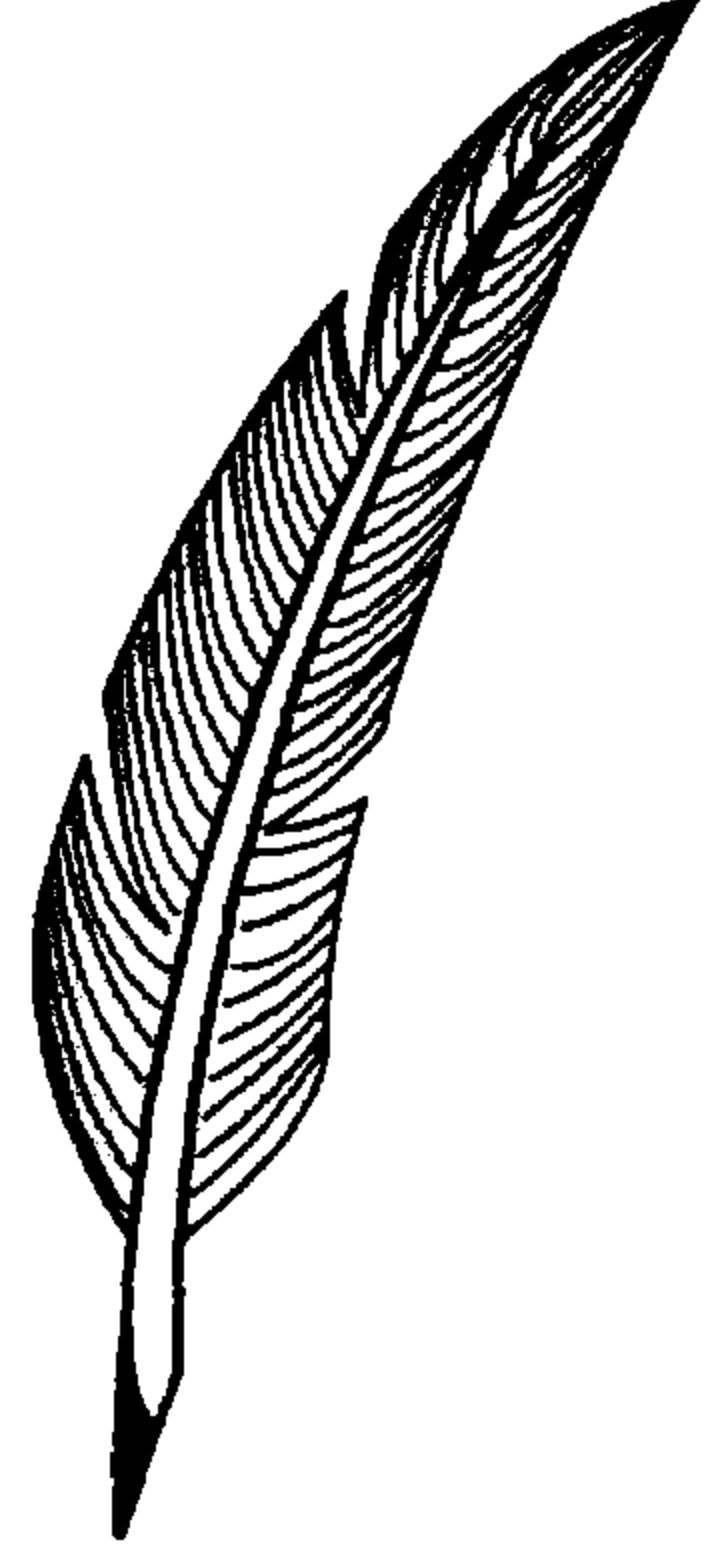


د - وفي عهده فتحت قيصرية الروم سنة (107هـ)، وفي سنة ثمان فتحت  
خنجرة، وفي سنة اثني عشرة فتحت خرشنة في ناحية ملطية.

هـ - واستمرت في عهده كذلك سياسة الإصلاح النقدي، فإبان ولاية خالد  
القسري للعراق جود الدراهم، واشتد في العيار؛ حتى أحكم أمر النقود أبلغ  
إحكام.

\*\*\*

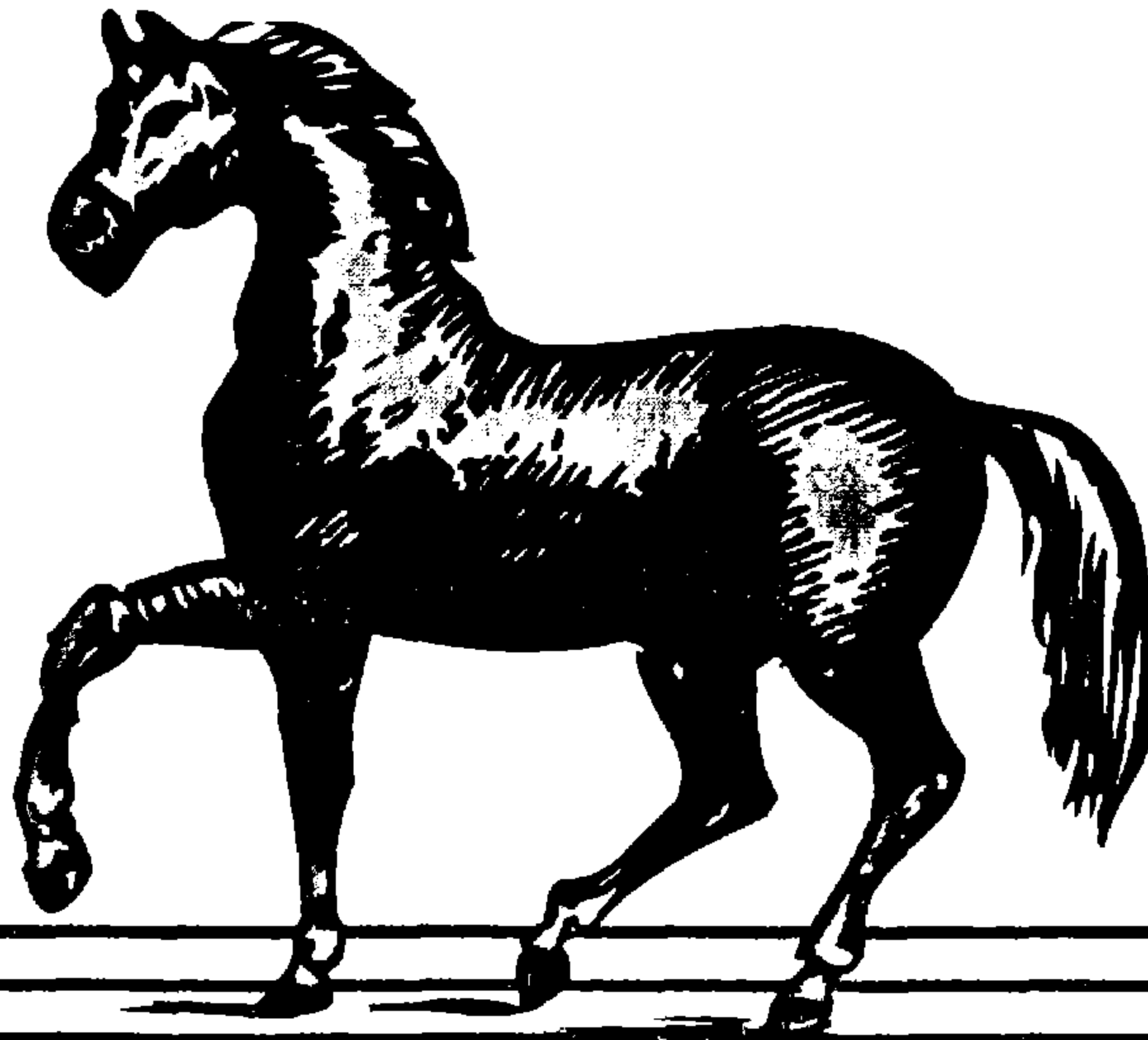




الرُّقْسُ الفُنْسِيُّ وَالتَّنْظِيمِيُّ

فِي العَصْرِ الأَمَوِيِّ

«نظام النقابات» (نموذجا)





على الرغم من أن (برنارد لويس) فى كتابته (عن النقابات الإسلامية) يتسم بكثير من غموض الرؤية والموقف<sup>(1)</sup>؛ فإنه - مع ذلك - لم يملك إلا أن يعترف بأن طوائف أهل الصناعات والحرف تعد من أهم ظواهر الحضارة الإسلامية فى القرون الوسطى<sup>(2)</sup>، وبأننا: (نجد فى أصناف الحرف فى الإسلام ما يساوى تلك الحياة القومية التى هى من أبرز مظاهر تاريخ أوروبا فى القرون الوسطى... فالنقابة كانت مهمة فى الحياة الإسلامية؛ لدرجة أن تخطيط المدينة (الإسلامية) - التى كانت تبنى على أسس تجارية - كان يقرر فى كثير من الأحيان حسب حاجات أصحاب الحرف<sup>(3)</sup>).

ويتابع (برنارد لويس) تحليله معترفاً بأن هناك رأياً يقول: "بأن هذه النقابات هى متممة للنقابات البيزنطية التى سبقتها إذ كانت توجد نقابات متعددة فى المقاطعات البيزنطية، كسوريا ومصر حتى القرن السابع الميلادى (الأول الهجرى)، وليس من المحتمل أنه قضى عليها من قبل الفاتحين العرب الذين كانت سياستهم - كما نعلم - ترك الهيئات الإدارية والاقتصادية التى خلفها البيزنطيون كما كانت عليه تقريباً. ومع ذلك لا نرى أية إشارة إلى وجود نقابات إسلامية قبل القرن العاشر الميلادى، أى بعد ثلاثة قرون (من بدء الفتح)، كما أن هذه النقابات كانت من نوع يختلف تماماً عن النقابات الموجودة قبل الفتح الإسلامى<sup>(4)</sup>.

وهذا التحليل فى رأينا هو الفقه السديد المنسجم مع أسلوب المسلمين الإدارى بعامة، ويؤكد هذا ما ذكرته الدكتورة/ صفى على محمد عبد الله: من أن

---

(1) انظر مقال: النقابات الإسلامية، ترجمة/ عبد العزيز الدورى فى مجلة الرسالة، أعداد 355، 362، 456، لسنة (1940م) القاهرة.

(2) الرسالة: المرجع السابق، ص: 696.

(3) المرجع السابق.

(4) المرجع السابق.



الأوضاع الاقتصادية السائدة فى تلك الفترة ساعدت على وجود هذا التنظيم الاجتماعى المتمثل فى الطوائف الحرفية، وأن العرب - لظروف توسعهم وفتوحاتهم - أبقوا على النظم والتقاليد السائدة فى البلاد المفتوحة التى كانت حصاد تطور استمر قرونًا، فقد ظلت المدن الحرة، والصناعات المختلفة تحتفظ بأنظمتها الإدارية وقوانينها وعاداتها<sup>(1)</sup>.

وأما عدم وجود إشارة إلى نقابات إسلامية فى العصر الراشد والأقوى - كما يقول برنارد لويس - فمرد ذلك فى رأى - لأميرين:

أولهما: غياب مصطلح النقابة نفسه وبقاء المضمون، مع إحلال مصطلحات أخرى مثل (أرباب الحرف)، أو (شيوخ الطوائف)، أو (العرفاء)، أو (المقدمين)...

وثانيهما: غياب المفهوم النقابى بالمعنى البيزنطى أو الأوروبى، واندماجه فى إطار الوظائف الإسلامية، مع احتفاظه بشعبيته بدرجة كبيرة أحيانًا، قليلة أحيانًا أخرى، إلا أنه كان على طول التاريخ الإسلامى متعاونًا مع المحتسب ومع القاضى، ومع أجهزة الدولة، فضلاً عن تأثر هذا المصطلح، وأصحابه بالمفاهيم الإسلامية العامة التى هذبت كثيرًا من حدة الصدام بين أرباب المهن والدولة، وأصحاب المهن العاملين فيها... وكان القاضى - أولاً - والمحتسب - ثانيًا - صمامى أمان لحركة النشاط الصناعى والتجارى وأصحابها.

فليس غريبًا - إذن - ألا يوجد مصطلح (النقابة) فى مجال الحرف والصناعات ما دام هناك مصطلح يقوم مقامه، ويحقق مضمونه.

ويتقدم بنا المؤرخ ابن عبد الحكم خطوة أخرى فى مجال إثبات وجود أشكال من التنظيم الحرفى؛ حين يتحدث عن تخطيط المسلمين للفسطاط بمصر، وعن

---

(1) مدن مصر الصناعية فى العصر الإسلامى، ص: 405، طبع الهيئة المصرية للكتاب،



جباية الخراج عند المسلمين، فيذكر أن جماعات الصناع، وأصحاب الحرف كانت كل طائفة منها تعين في نطاق واحد، كما أن أسواقها كانت مقسمة تقسيمًا تخصصيًا بين أصحاب الحرف والتجارات المختلفة مثل أسواق البزازين، والوراقين، وكذلك سميت أسواق مدينة القطائع بمصر بعد أن بنيت، فقيل: سوق البزازين، والحلوانيين والسراجيين، وكان لكل صنف من جميع الصنائع سوق<sup>(1)</sup>.

ويقول عن تخطيط المسلمين للفسطاط: "إن العرب كانوا يختطون حول أصحاب القراطيس الدور"<sup>(2)</sup>.

ويقول في حديثه عن جباية الخراج عند المسلمين على الأسلوب البيزنطى: "فإذا فرغوا نظروا إلى ما فى كل قرية من الصناع والأجراء، فقسّموا عليهم بقدر احتمالهم"<sup>(3)</sup>.

هذا بالإضافة إلى ظاهرة التخصص فى الأسواق التى تؤكد بدورها وجود نوع ضيق من التكتل المهنى، يشير إلى أن "المضمون النقابى" كان موجوداً من خلال عدد من أشكال التكافل والتعاون، فقد كانت كل طائفة من أصحاب المهن أو الحرف تتجمع فى مكان واحد تسمى به وتعرف به صناعتهم، وكان لها حارتها، وسوقها الخاص؛ الذى كان فى الغالب حول المسجد<sup>(4)</sup>.

كما كان فى مصر - أيضاً - نوع آخر من التخصص فى صناعة المنسوجات حيث ذاعت شهرة بعض المدن المصرية فى تلك الصناعة، فنسبت بعض أصناف المنسوجات إلى أماكن إنتاجها فى المدن (كما فى سائر الصناعات فى العالم الإسلامى)، ومن المنسوجات التى اشتهرت فى الأسواق الخارجية، والتى نسبت

---

(1) صفى على محمد عبد الله: مدن مصر الصناعية فى العصر الإسلامى، ص: 406، 407.

(2) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص: 115، والعرب كانت تسمى ما يكتب فيه بالقرطاس، انظر: أدب الكتاب، ص: 15.

(3) ابن عبد الحكم: مرجع سابق، ص: 153.

(4) صفى على: مرجع سابق، ص: 407.



إلى بعض المدن المصرية الديقى، نسبة إلى مدينة دبيق، والتيسى الذى ينسب إلى مدينة تيس، والشطوى الذى ينسب إلى مدينة شطا، وكانت كلها مدن حول بحيرة تيس.

ولا شك أن نظام التخصص هذا - عبر إطارات مختلفة من الالتحام - يعمل على وجود طوائف خاصة لصناعة النسيج فى تلك المدن، كما فى بعض المهن الأخرى، وهكذا كانت تجمع صناعات المهنة الواحدة، وتظهرهم بما يميزهم عن بقية أفراد المجتمع<sup>(1)</sup>.

ويبدو أنه كانت هناك صور من التسابق أو التنافس غير المنظور بين الخلافة الأموية والإمبراطورية البيزنطية فى مجال الحرف وتنظيماتها، وهذا يدلنا على أن الدولة الإسلامية لم تكتف بالإبقاء على التنظيمات الموروثة من الدول التى هيمنت عليها؛ بل إنها سعت إلى مزيد من التطور والإفادة من الدول ذات الخبرة الطويلة فى مجال التنظيمات، فقد وقعت تشابهات متعددة بين الأمويين والبيزنطيين فى عدد من مجالات التنظيمات الحرفية مثل الجلود والخشب، والصابون والخزف، وفى صناعة المنسوجات بخاصة، وفى هذا الإطار يُذكر أن نقابة المنسوجات كانت تنقسم إلى قسمين بارزين عند الأمويين والبيزنطيين معاً:

أولهما: قسم النقابات الحكومية.

وثانيهما: النقابات الخاصة.

### أما القسم الأول:

وهو النقابات الحكومية، فيختص بالنقابات التى تعمل تحت إدارة الحكومة فى صناعة أو صباغة الأقمشة الثمينة الخاصة بملابس الإمبراطور البيزنطى أو الخليفة الأموى، ورجال القصور هنا وهناك، إلى جانب المنسوجات الحريرية التى كان

(1) المرجع السابق.



الخليفة - أو الإمبراطور - يبعث بها إلى حكام الدول الأخرى، على شكل هدايا أو إتاوة أو جزية، ويكسو بها الخليفة الكعبة المشرفة، ويوجهها الإمبراطور لعمل ستائر الكنائس<sup>(1)</sup>.

وفي القرن السابع الميلادي (الأول الهجري) صدر قرار من الإمبراطور هرقل - نعتقد أنه كانت له أصداؤه في الدولة الأموية - وهو القرار الذي يمد فترة السماح بالانخراط في عضوية النقابات بالنسبة لأبناء أعضاء النقابة وأقربائهم، حيث أصبح التحاق أى عامل جديد بالنقابة لا يتم إلا في حالة وجود مكان شاغر، وعلى المتقدمين للعمل أن يجتازوا امتحاناً يعقده لهم رؤساء الصناعة وموظفو الحكومة، واستمر هذا القرار سارى المفعول حتى القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري)<sup>(2)</sup>.

وفي الفترة ما بين القرنين الرابع والعاشر الميلادي (الرابع الهجري) لم يحدث أى تغيير بالنسبة للتنظيمات الداخلية للنقابات، وكذلك للمراقبة الإدارية على المصانع الحكومية، ومن الراجح أن يكون والى المدينة هو صاحب السلطة العليا على الصناعة والتجارة في المدينة، ويمكن أن يكون من مهامه مراقبة المصانع<sup>(3)</sup>، وهو ما يحدث بالضبط في المراقبة الإدارية للحكومة الإسلامية على المصانع.

---

(1) ليو السادس الحكيم: كتاب والى المدينة، ترجمة د/ السيد البار العرينى، مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة، مجلد 19، ج1، ص: 153 - 187، القاهرة (1957م)، وزكى محمد حسن: فنون الإسلامى، ص: 347.

(2) عبد الوهاب القرش: العلاقات الحضارية بين البيزنطيين والمسلمين في الشام ومصر في العصر الأموى، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية دار العلوم القاهرة.

(3) زكى محمد حسن: فنون الإسلام، ص: 347، نقلاً عن عبد الوهاب القرش: مرجع سابق.





## أما القسم الثاني:

وهو قسم النقابات الخاصة، وهى التى يطلق عليها اسم (SAMDTD)؛ تمييزاً لها عن النقابات العامة، فقد كانت تعمل فى صناعة المنسوجات التى تاتى فى الدرجة الثانية من حيث الجودة، وتبيعتها إلى العامة من الناس، وتسهم بجانب أساسى فى التجارة الخارجية، وكانت هذه النقابات تقوم بتزويد الحكومة بجانب من الأقمشة كنوع من الضريبة أو الجزية العينية<sup>(1)</sup>.

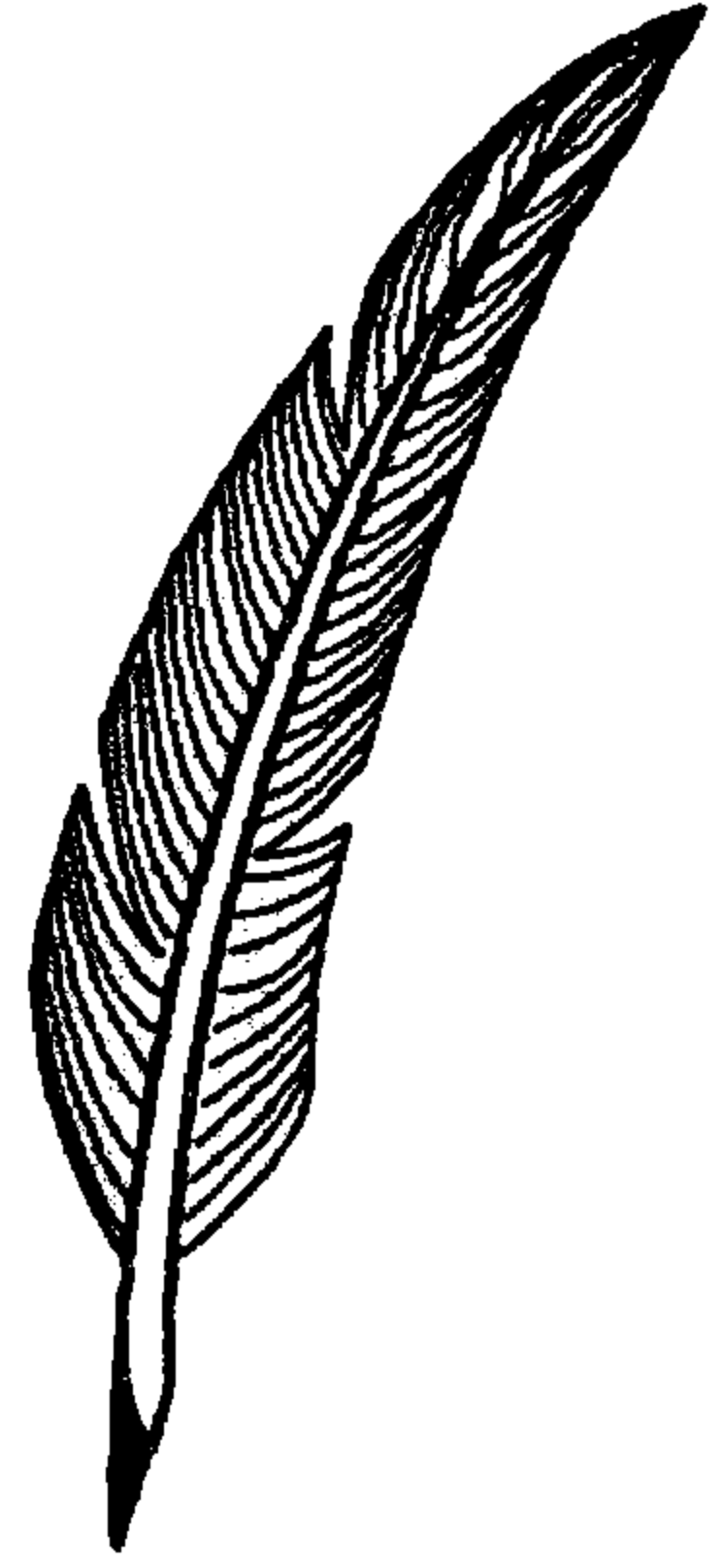
وهذا النموذج الذى ذكرناه (المنسوجات) يصلح قياساً لغيره من النماذج التى تؤكد رقى التنظيمات الحرفية فى العصر الأموى وما قبله، وقدرة العرب على استيعاب التطورات الحضارية المحيطة بهم، والتعامل معها تعاملًا نديًا؛ لهذا ولنا نستغرب أن تكثر التخصصات الدقيقة عندهم، وأن تكثر الأصناف عددًا وكيفًا، وأن يخرج العرب ببضائعهم إلى العالم بعد أن ركبوا البحار، وصنعوا الأساطيل، وهزموا الروم فى موقعة ذات الصواري البحرية سنة (34هـ)، وعبروا بأسطول طارق بن زياد إلى الأندلس سنة (92هـ)...

\*\*\*

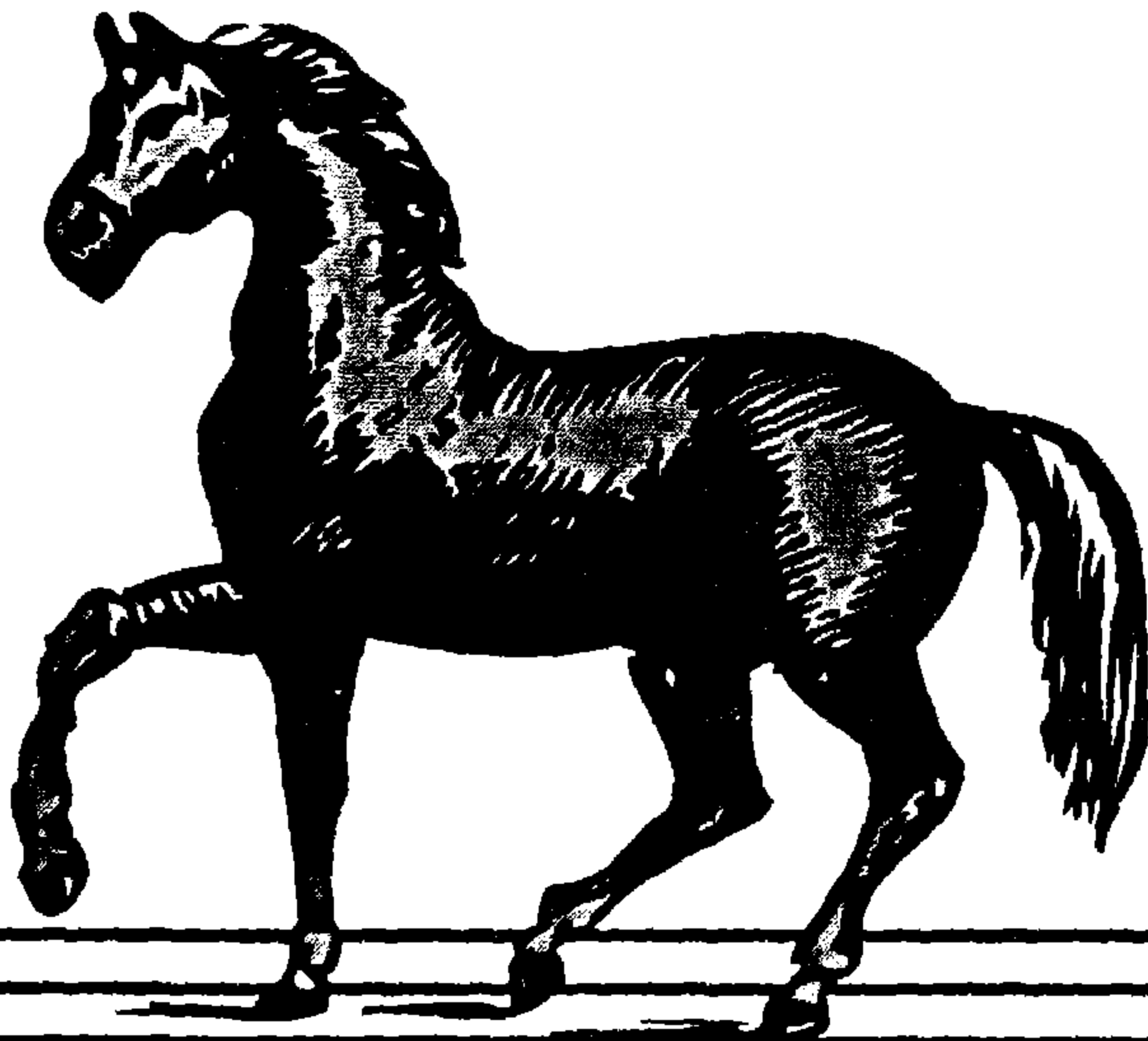
---

(1) المرجع السابق.





**الفنون الصناعية  
والقيم الجمالية الإسلامية  
في العصر الأموي**





تميزت الفنون فى ظل الإسلام بمجموعة من القيم التى تبلورت فى المبادئ التالية:

### مبدأ التكرار:

وهو تكرار العناصر الموجودة فى الطبيعة تأثيراً بها ومحاكاة لها، وهو تكرار بلا ملل، لما فيه من تعمق فى الكون الفسيح اللامحدود.

### مبدأ الإيقاع:

وهو تكرار العنصر على مسافات زمنية أو طولية، متساوية أو منتظمة التدرج تصاعدياً أو تنازلياً، وذلك أمر مناسب لأسلوب حياة الفنان المسلم الذى يعتمد على التردد المستمر لنظام معين.

### مبدأ التجريد:

وهو تجنب نقل الطبيعة نقلاً حرفياً؛ بل الاعتماد على تطويع الشكل الطبيعى، وإخضاعه لأشكال هندسية معبرة عن روح الشكل وجوهره.

### مبدأ الوحدة والتنوع:

وهو توحيد الأسلوب المستخدم فى الإبداع، مع التنوع فى وسائل تنفيذه وإخراجه للقضاء على الملل الذى يحدث نتيجة الاتحاد والتشابه.

### مبدأ استخدام اللون:

للون قيمة واضحة عند الفنان المسلم؛ حيث يشيع استعماله فى الأعمال الفنية بمعان ودلالات معينة، فالألوان السوداء تعمى القلوب، وتكدر الأزواج، واللون الأصفر يمثل لون الشمس المشرقة، ولون رمال الصحراء الممتدة، واللون الأزرق هو لون قبة السماء والبحار ومن دلالاته العمق... وهكذا<sup>(1)</sup>.

(1) عبد الفتاح مصطفى غنيمية: مبادئ الحضارة العربية الإسلامية وأثرها على الحضارة

الإنسانية 3/ 166 - 169، بتصرف، ط/ دار الفنون العربية بالإسكندرية.



## مبدأ استخدام النسبة والتناسب:

وهو تكييف الأعمال الفنية مع حكمة الخالق في خلقه، إذ إن أحكام المصنوعات وأتقن المركبات وأحسن المؤلفات ما كان تركيب بنيتها، وتأليف أجزائه معتمداً على النسبة الأفضل المناسبة مع ما حولها<sup>(1)</sup>.

وإلى جانب هذه القيم والخصائص العامة التي أبدعها المسلمون بفضل الخبرات الفنية والصناعية المتنوعة الموروثة من الحضارات التي ورثوها، مع مزجها بالروح الإسلامية المنبثقة من عقيدة التوحيد، ومن النظرة الدينية والإنسانية للكون والحياة والإنسان... إلى جانب هذه القيم اتسم الفن الإسلامي بالجمع بين الإتيان والإحسان، فكان عملياً وجمالياً زخرفياً، فلم تكن الناحية الصناعية العملية أو التقنية - هي الهدف وحدها؛ بل حرص الفنانون الحرفيون والصناع المسلمون على تزويق منتجاتهم الفنية بشتى أنواع الزخارف من رسوم كائنات حية بطريقة زخرفية، ومن زخارف هندسية ونباتية بالإضافة إلى الزخارف الكتابية<sup>(2)</sup>.

ومن حيث استخدام الزخارف النباتية يلاحظ أن الفنانين المسلمين استخدموا عناصر زخرفية كثيرة مستمدة من عالم النبات من أشجار وأوراق وغصون وأزهار وثمار وغير ذلك. كما طوروا نوعين من هذه الزخارف النباتية، أطلق عليه الأوروبيون اسم "أرابسك" (Arabesque) نسبة إلى العرب ويسمون لها أحياناً نصف مروحة نخيلية<sup>(3)</sup>.

وبلغ الفن الإسلامي في الزخارف الهندسية مرتبة لا يدانيه فيها أى فن آخر؛ فقد طور المسلمون الزخارف الإسلامية على أسس مدروسة، ومن أمثلة تلك

(1) المرجع السابق بتصرف.

(2) حسن الباشا: دراسات فى الحضارة الإسلامية، ص: 149، ط/ دار النهضة بالقاهرة، سنة 1975م.

(3) السابق، ص: 149 - 150.



الزخارف ما اصطلاح على تسميته بالأطباق النجمية، وهي تتألف من عناصر هي الترس واللوزة والكندة<sup>(1)</sup>.

وتدلنا المنتجات الفنية التي وصلتنا من عهد الأمويين من سنة (132-41هـ / 661 - 750م) على أن الفن الإسلامي اتخذ في ذلك العصر طابعاً خاصاً متميزاً، وأن الإسلام أنتج فناً يضاف في قيمته وعظمته انتصاراته السياسية والحربية والإدارية، ويسمى (الطرز الأموي)، حاملاً معه في كل إقليم من أقاليم الدولة الإسلامية قسماً الفنون السابقة بها<sup>(2)</sup>.

كما أنه يستمد في الوقت نفسه التقاليد الفنية في الأقاليم الأخرى الخاضعة للإسلام، والتي أتاح لها الحكم الواحد فرصة الامتزاج، وفي الوقت نفسه كان متمشياً - أيضاً - مع تعاليم الدين الجديد، وروحه وشعائره، والطابع العربي<sup>(3)</sup>.

وكان من الأسباب الرئيسية في انتشار الكتابة العربية تعريب الدواوين في عهد الخليفة الأموي 'عبد الملك بن مروان'، كما كان الخط العربي الوسيلة الأساسية التي حفظ بها القرآن؛ إذ اتخذ النبي ﷺ كتاباً يدونون الآيات الكريمة عند نزولها بخط عربي<sup>(4)</sup>.

وكان لكتابة القرآن ولقراءته في المصاحف أثر كبير في إعلاء شأن الخط العربي، وفي تحسينه وتزيينه وفي النظر إليه بإكبار<sup>(5)</sup>.

وربما كان من أهم مظاهر العناية بالخط العربي تفريعه إلى عدد من الخطوط، يتميز كل منها بخصائص معينة، وأهم هذه الخطوط نوعان رئيسيان هما الخط الكوفي المزوى الجاف، وخط النسخ المقور.

(1) حسن الباشا: دراسات في الحضارة الإسلامية، ص: 150.

(2) السابق، ص: 151.

(3) السابق، ص: 151.

(4) السابق، ص: 161.

(5) السابق، ص: 168.



غير أنه فى القرون الخمسة الأولى غلب استعمال الخط المبسوط فى المصاحف، وفى الكتابات التذكارية الأثرية، وفى زخرفة الفنون التطبيقية، فى حين غلب استعمال الخط المقور فى المكاتبات اليومية، وفى نسخ الكتب، وأقدم ما وصلنا من أمثلة لاستخدامه فى النقوش سد العيار بالطائف؛ الذى يرجع إلى عهد معاوية بن أبى سفيان، وكتابات قبة الصخرة، وكتابات الأميال من عهد عبد الملك ابن مروان<sup>(1)</sup>.

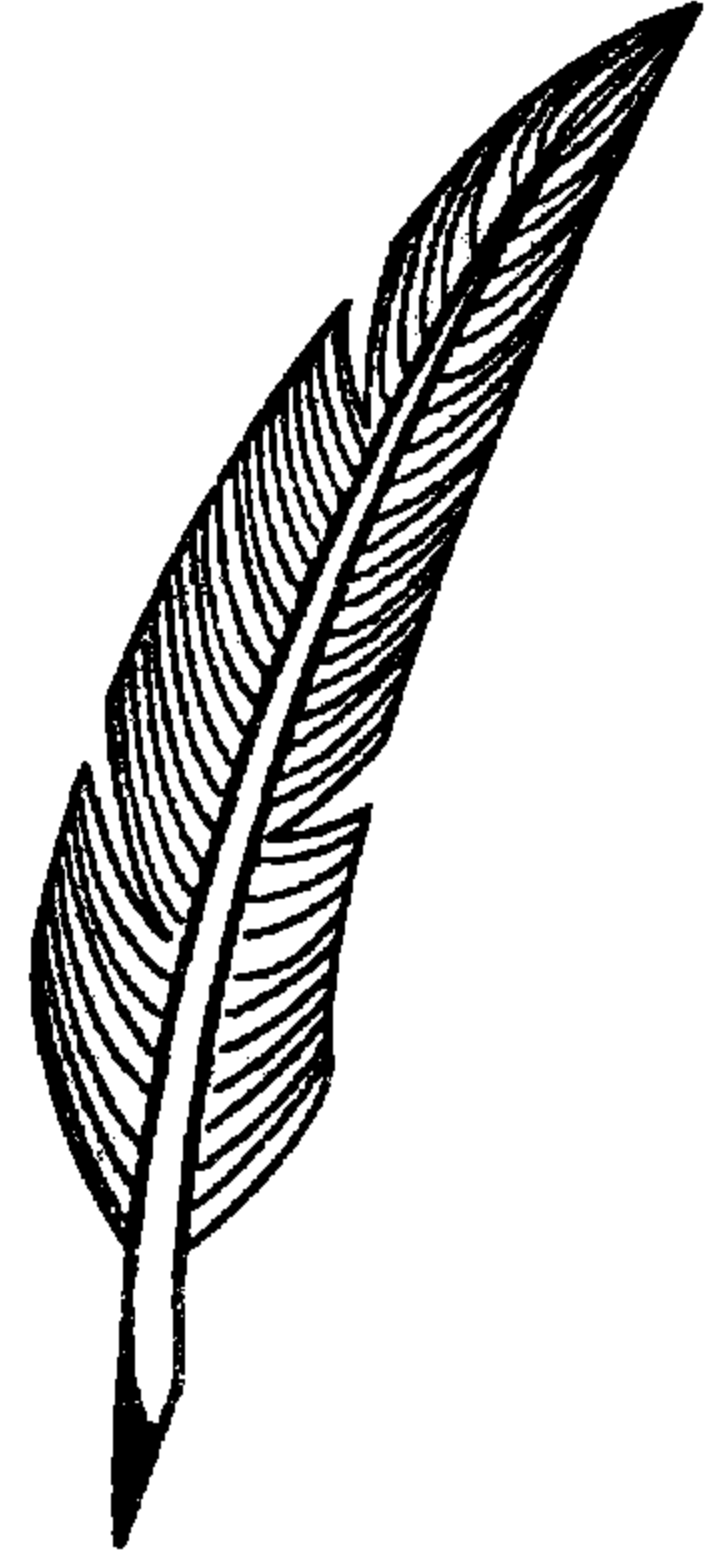
وكل هذا يدل على نضج فنى إسلامى كبير ظهر مع ظهور دولة الإسلام العالمية، كما يدل - كذلك - على طبيعة الموقف الإسلامى من الفنون، ومن القيم الجمالية، سواء فى الحرف والصناعات، أم فى الجمالات الفنية المستقلة، كالخط والكتابة والتصوير الزخرفى، وكل ذلك ما كان يمكن أن يتم دون تنظيمات جماعية حرفية، فالظواهر الحضارية تحتاج إلى عمل جماعى منظم قادر على تطويرها.

\*\*\*

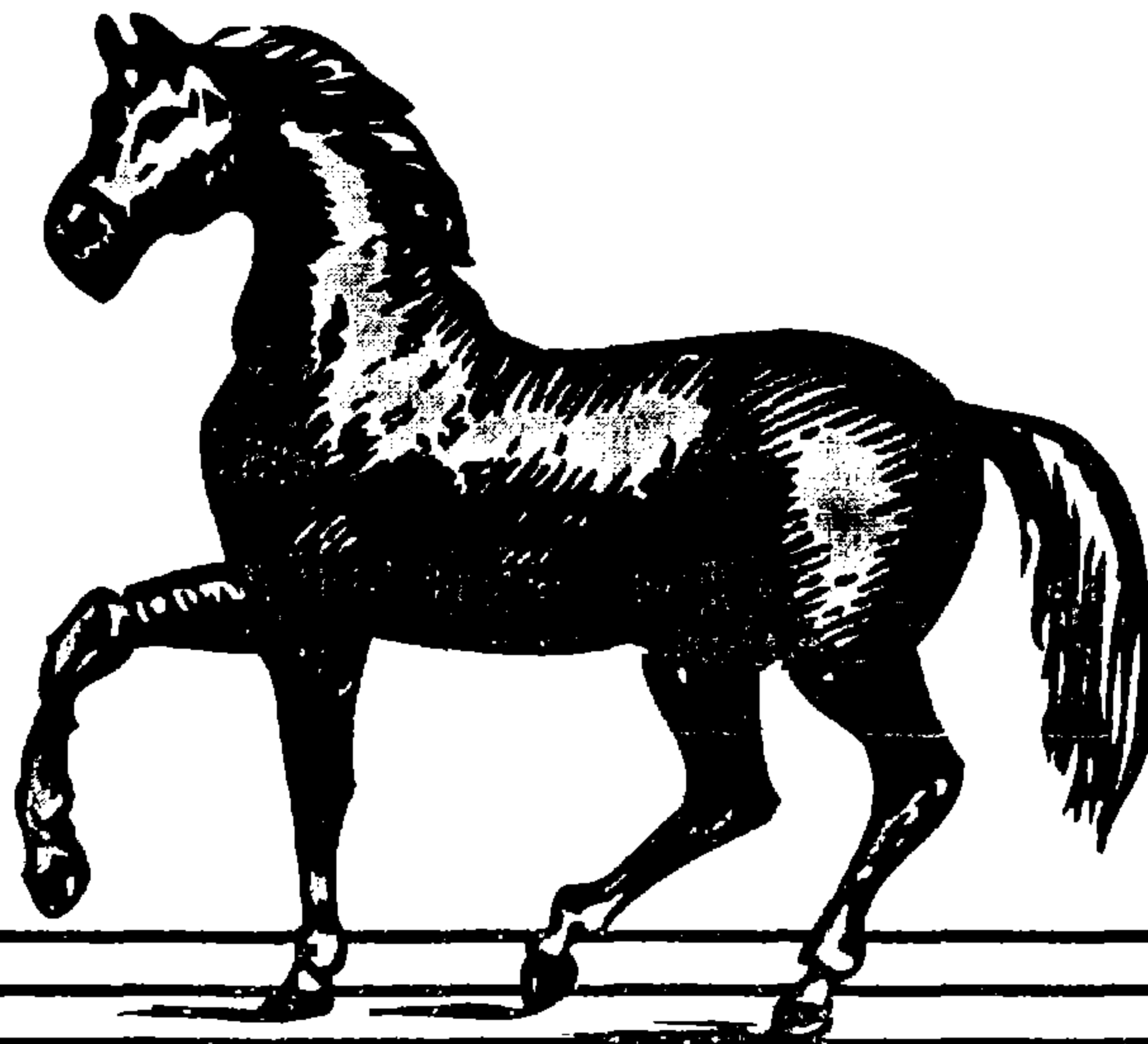
---

(1) حسن الباشا: دراسات فى الحضارة الإسلامية، ص: 168.





**الأمويون**  
**دولة الفتوحات**







لعل أبرز ما امتار به عصر بني أمية كثرة الفتوحات شرقًا وغربًا، وبلوغ الدولة الإسلامية أقصى اتساع لها، فامتدت رقعتها قريبًا من سور الصين شرقًا إلى حدود فرنسا غربًا؛ بحيث إن الخلفاء العباسيين الذين ورثوا هذه الخلافة الكبيرة المترامية الأطراف؛ عجزوا عن الاحتفاظ بكل ما فتح من أقاليم في عهد أسلافهم الأمويين.

ويشير ابن كثير إلى خصيصة الفتوحات التي اشتهر بها العصر الأموي ويقول: «وكانت سوق الجهاد قائمة في بني أمية ليس لهم شغل إلا ذلك، قد علت كلمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها وبرها وبحرها، وقد أذلوا الكفر وأهله؛ وكان في جيوشهم الصالحون والعلماء وكبار التابعين، في كل جيش منهم شذمة عظيمة ينصر الله بهم دينه... فكان سوق الجهاد قائمًا في القرن الأول من بعد الهجرة إلى انقضاء دولة بني أمية... في بلاد الروم والترك والهند»<sup>(1)</sup>.

وقد اقترن بفتوحات بني أمية انتشار الإسلام واللغة العربية، فعصر بني أمية هو العصر الذي اتخذت فيه الدولة طابعها العربي الإسلامي بشكل نهائي، حتى إن العروبة والإسلام هما الملمحان البارزان اللذان اتسمت بهما البلاد المفتوحة في العصر الأموي.

وفيما يلي نبذة مختصرة عن الفتوحات الإسلامية في العصر الأموي، والجهود الكبيرة التي بذلها خلفاء بني أمية لامتداد حدود الدولة، وتوسيع رقعتها.

(1) ابن كثير: البداية والنهاية 94/9، طبع دار الحديث، الطبعة/ الخامسة، 1998م.



## أولاً: الفتوحات الأموية شرق العالم الإسلامي:

نشطت حركة الفتوحات عندما تولى معاوية بن أبي سفيان قيادة الأمة الإسلامية سنة (41هـ)، وذلك أن الفتوحات كانت قد توقفت عدة سنوات بسبب الفتنة الكبرى (35 - 41هـ) فاستولى المسلمون في عهد معاوية على هراة وكابل، كما غزا عبد الله بن سوار العبدي بلاد السند مما يلي خراسان سنة (43هـ)<sup>(1)</sup>، وواصل المهلب بن أبي صفرة من بعده غزو السند سنة (44هـ)، وهاجم الإقليم الممتد ما بين الملتان وكابل<sup>(2)</sup>.

وفي سنة (54هـ) غزا عبيد الله بن زياد والي خراسان إقليم تركستان، كما تمكن المسلمون من غزو بخارى وسمرقند<sup>(3)</sup>.

وفي عهد يزيد بن معاوية قام مسلم بن زياد والي خراسان بفتح خوارزم وعبر نهر جيحون، واستولى على سمرقند، ووجه إلى خجندة فانهزم، كما جعل يشن غزواته من مرو على بلاد الصغد<sup>(4)</sup>.

وقد نشطت الفتوحات الإسلامية في بلاد ما وراء النهر نشاطاً كبيراً حين ولى الحجاج بن يوسف الثقفي إقليم خراسان سنة (78هـ) في عهد عبد الملك بن مروان. فولى الحجاج خراسان للمهلب بن أبي صفرة الذي افتتح خجندة، وأدت إليه بلاد الصغد الجزية<sup>(5)</sup>.

وفي سنة (86هـ) ولى الحجاج على خراسان القائد العربي الكبير قتيبة بن مسلم الباهلي، في أول خلافة الوليد بن عبد الملك، فكان ذلك إيذاناً بانتقال

---

(1) انظر: ابن الأثير: الكامل 3 / 437.

(2) انظر: السابق 3 / 446.

(3) انظر: تاريخ الطبري 5 / 297، 298، ابن الأثير: الكامل 3 / 458.

(4) انظر: ابن الأثير: الكامل 4 / 94 - 97.

(5) انظر: ابن الأثير: الكامل 4 / 453، وما بعدها.



الفتوحات الإسلامية في المشرق إلى طور جديد من الازدهار؛ حيث أبدى قتيبة نشاطاً وافرًا وهمة عالية، فغزا فرغانة وافتتح كاسان وأورشنت وخشكت<sup>(1)</sup>.

وفي سنة (87هـ) غزا قتيبة بيكند إحدى مدن بخارى وافتتحها عنوة، ثم عاد إلى مرو<sup>(2)</sup>.

وفي سنة (88هـ) غزا نومشكت ورامثنة<sup>(3)</sup>. وفي سنة (89هـ) غزا بخارى ونجح في الاستيلاء عليها سنة (90هـ)، فأسس بها جامعاً بعد أن دمر بيت النار، فصالحه أهل الصغد على جزية يؤدونها إليه<sup>(4)</sup>.

وفي سنة (93هـ) افتتح قتيبة سمرقند، وغزا فرغانة والشاش "طشقند" سنة (95هـ)، ففتح كاشان وقصبة وفرغانة وخجندة<sup>(5)</sup>.

وفي سنة (96هـ) غزا قتيبة كاشغر أدنى مدائن الصين فطرقت جيوشه بذلك أبواب الصين من الجهة الغربية<sup>(6)</sup>. وهكذا - كما يقول د/ السيد عبد العزيز سالم -: كانت فتوحات قتيبة في بلاد ما وراء النهر فاتحة لاتصال العرب بالجنس التركي، كما كان لجهود قتيبة الموفقة أعظم الأثر في إنشاء مراكز جديدة للثقافة العربية والإسلامية في وسط آسيا، كما قويت وسكنت العلاقات بين الدولة العربية والصين<sup>(7)</sup>.

---

(1) انظر: ابن الأثير: الكامل 4/ 523.

(2) انظر: السابق 4/ 528 - 530، تاريخ الطبري 6/ 439 - 433.

(3) انظر: السابق 4/ 533.

(4) انظر: السابق 4/ 535، 542.

(5) انظر: تاريخ الطبري 6/ 472، وما بعدها، 6/ 492، 493.

(6) انظر: تاريخ الطبري 6/ 500 - 504.

(7) انظر د/ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص: 354.



وبعد مقتل قتيبة بن مسلم سنة (96هـ) وكفى سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلب على خراسان والعراق سنة (97هـ) فاتجه يزيد إلى فتح جرجان وطبرستان. ولم يكن المسلمون قد دخلوا هذين الإقليمين قبل ذلك.

وقد استولى يزيد أولاً على قهستان صلحاً، ثم زحف منها إلى جرجان فدعاه أهلها إلا الصلح فأجابهم إليه. فأطمعه ذلك في الاستيلاء على مدينة طبرستان الواقعة إلى الجنوب من بحر قزوين، فصالح صاحبها - بعد عدة معارك - على سبعمائة ألف<sup>(1)</sup>.

### فتوح الأمويين في الهند:

كان من الطبيعي بعد أن أتم الأمويون فتح بلاد ما وراء النهر أن يفكروا في فتح إقليم السند باب الهند، الذي أصبح يجاور آخر الحدود الشرقية للدولة العربية الإسلامية. وكانت أنظار المسلمين تتطلع إلى بلاد الهند منذ الفتوحات الإسلامية الأولى.

وفي سنة (44هـ) غزا إقليم السند المهلب بن أبي صفرة واشتبك مع قوات نبة ولاهور، وهما بين الملتان وكابل. وظل المسلمون يغيرون على إقليم السند من ناحية سجستان؛ ففتحوا مكران وقندهار، وغزوا البوقان والسقيقان، وغنموا غنائم كثيرة<sup>(2)</sup>.

وفي سنة (89هـ) وجه الحجاج بن يوسف الثقفي جيشاً لغزو السند بقيادة ابن أخيه محمد بن القاسم الثقفي، فتمكن من فتح الديبل عنوة، واستولى على البيرون صلحاً، وجعل محمد بن القاسم الثقفي لا يمر بمدينة إلا فتحها حتى اقترب من مهران، وهناك ألحق هزيمة كبيرة بجيوش داهر ملك السند، وبمقتل داهر تغلب محمد بن القاسم على بلاد السند، فافتتح مدينة روار عنوة، ثم زحف

(1) انظر: تاريخ الطبري 6/506، وما بعدها، 6/524، 6/532 - 545.

(2) انظر: ابن الأثير: الكامل 3/446.



بجيوشه نحو الشمال الشرقى، فافتتح مدينة برهمنا باد التي كان قد تحصن بها ابن داهر. ثم تمكن من الاستيلاء على مدينة الرور عاصمة داهر.

ثم عبر محمد القاسم نهر بياس أحد رواقد السند، وتوجه صوب مدينة الملتان أكبر مدن السند الأعلى، فتمكن من الاستيلاء عليها بعد مقاومة شديدة ومعارك طاحنة<sup>(1)</sup>.

وحين ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة سيرَّ عمرًا بن مسلم الباهلى عاملاً إلى السند، وأوصاه بالرفق بأهلها وتشجيعهم على اعتناق الإسلام، فأقبل إبان ولايته عدد كبير من أبناء السند على الإسلام<sup>(2)</sup>.

### ثانياً: الفتوحات الأموية في غرب العالم الإسلامى:

لم يكد الأمر يستقر لمعاوية بن أبى سفيان سنة (41هـ) حتى وجه اهتمامه إلى استئناف سياسة الفتوحات فى المغرب، فتمكن قائده عقبة بن نافع من فتح غدامس وودان سنة (42هـ). وبعد وفاة عمرو بن العاص سنة (43هـ) فصل معاوية ولاية إفريقية عن مصر، وجعلها ولاية مستقلة تتبع دمشق مباشرة، وجعل قيادة الجيوش لمعاوية بن حديج التجيبى، فى وقت كانت تموج فيه إفريقية بالفوضى والاضطرابات. فخرج معاوية بن حديج من مصر سنة (45هـ) على رأس جيش ضخم لغزو إفريقية، فاشتبك فى موضع يعرف بقمونية قرب قرطاجنة بجيوش البيزنطيين، وتمكن من إلحاق الهزيمة بها، ثم استولى على سوسة وجلولاء، ثم اتجه شمالاً وافتتح بنزرت<sup>(3)</sup>.

(1) انظر: ابن الأثير: الكامل 4/537، تاريخ اليعقوبى 2/288، وما بعدها.

(2) انظر: تاريخ الطبرى 6/553، 554.

(3) انظر: ابن عذارى: البيان المغرب فى أخبار المغرب (1/15).



ويذكر البلاذري أن معاوية بن حديج غزا صقلية لأول مرة سنة (46هـ)<sup>(1)</sup>، ثم اختتم غزواته في إفريقية بفتح جزيرة جربة سنة (47هـ)<sup>(2)</sup>.

وفي سنة (48هـ) ولي الخليفة معاوية عقبة بن نافع بدلاً من معاوية بن حديج الذي قفل راجعاً إلى مصر. فخرج عقبة على رأس جيوشه سنة (49هـ)، فأخضع - في غضون ستة أشهر - الواحات الداخلية في برقة. ثم توجه إلى إفريقية متجنباً الطريق الساحلية، وافتتح غدامس وقفصة وقصطيلية وغيرها<sup>(3)</sup>.

وفي سنة (50هـ) قرر عقبة بن نافع إنشاء قاعدة عربية إسلامية في إفريقية تكون معسكراً ثابتاً للمسلمين، فاخترت مدينة القيروان التي اكتملت عمارتها سنة (55هـ)، وقدر لها أن تكون حاضرة المغرب الإسلامي كله في عصر الخلافة الأموية إلى أن انفصل المغرب عن الدولة العباسية في أواخر القرن الثاني للهجرة، وتكونت فيه إمارات مستقلة. وبتأسيس القيروان غدت إفريقية ولاية مهمة من ولايات الدولة العربية الإسلامية<sup>(4)</sup>.

وفي سنة (55هـ) ولي إفريقية أبو المهاجر دينار، فزحف بجيوشه إلى المغرب الأوسط وغزا قبائل أوروبة البربرية، وهم من البرانس، واستطاع بحسن سياسته أن يستميل كسيلة زعيم تلك القبائل، فكان نصرانياً فأسلم، واستعان به أبو المهاجر في الاستيلاء على تلمسان، ثم شن هجوماً عنيفاً على قرطاجنة سنة (59هـ)، ولم يتركها إلا بعد أن تخلى البيزنطيون عن الأجزاء الواقعة جنوب قرطاجنة<sup>(5)</sup>.

وفي سنة (60هـ) عاد عقبة بن نافع مرة أخرى إلى ولاية إفريقية، وواصل غزوه حتى وصل إلى المحيط الأطلسي ومعه بربر أوروبة وزعيمهم كسيلة، وهزم

(1) انظر: السابق 1 / 17.

(2) انظر: السابق 1 / 18.

(3) انظر: السابق، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة 1 / 132.

(4) انظر: السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص: 366.

(5) انظر: د/ حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص: 170 - 176.



فى طريقه كل من اعترضه من البيزنطيين أو البربر، ووطنت الجيوش الإسلامية لأول مرة أرض المغرب الأقصى. بيد أن تلك الغزوة الكبرى انتهت باستشهاد عقبة فى طريق عودته إلى القيروان سنة (63هـ). حيث طوق البربر عند منطقة أوراس بزعامة كسيلة، الذى كان قد خرج على طاعة عقبة، وغادر مع حشد كبير من البربر المعسكر الإسلامى. وقد اضطرب زهير بن قيس البلوى نائب عقبة على القيروان أن ينسحب بالحامية العربية إلى برقة قبل أن يفاجئهم كسيلة بالهجوم، وأقبل كسيلة بعسكره فاستولى على القيروان سنة (64هـ)<sup>(1)</sup>.

ولما ولى عبد الملك بن مروان خلافة بنى أمية بعث زهير بن قيس سنة (69هـ) على رأس جيش كثيف لاسترداد القيروان، فنجح زهير فى إلحاق هزيمة كبيرة بالبربر وقتل زعيمهم كسيلة، ودخل زهير القيروان، ونظم أمورها، ثم عاد إلى مصر، وفى طريق عودته دارت بينه وبين البيزنطيين معركة استشهد فيها زهير<sup>(2)</sup>، فاضطربت بلاد المغرب، واضطربت بها نار الفتن، وتمرد البربر. وظهرت من بينهم امرأة بربرية تزعمتهم يقال لها: الكاهنة.

ولم يكد عبد الملك يفرغ من القضاء على فتنة عبد الله بن الزبير حتى وجد جيشاً ضخماً لاستعادة المغرب بقيادة حسان بن النعمان الغسانى، وذلك سنة (74هـ)، وإذا كان حسان قد نجح فى اقتحام قرطاجنة والاستيلاء عليها، فإنه قد هزم هزيمة منكرة من قوات الكاهنة، فاضطر للتراجع بجيشه إلى برقة، وخرجت إفريقية بذلك من أيدي العرب<sup>(3)</sup>.

وفى سنة (80هـ) أرسل عبد الملك إلى إفريقية جيشاً ضخماً بلغ عدته أربعين ألف مقاتل تحت قيادة حسان بن النعمان الذى نجح هذه المرة فى هزيمة

---

(1) انظر: ابن الأثير: الكامل 4/ 105، وما بعدها.

(2) انظر: ابن الأثير: الكامل 4/ 108.

(3) انظر: ابن عذارى: البيان المغرب 1/ 33، وما بعدها.





قوات الكاهنة، ثم أمعن في مطاردتها والتضييق عليها بعد أن سحق جيشها وأباده، وقتلت الكاهنة نفسها في إحدى المعارك.

ثم نجح حسان في استرداد قرطاجنة من البيزنطيين وبني تجمها مدينة إسلامية تقع على البحر هي مدينة تونس، وأنشأ فيها داراً لصناعة الأسطول، كما أسس فيها مسجداً وداراً للإمارة، وما لبثت تونس أن غدت من أعظم مدن المغرب<sup>(1)</sup>.

وقد بذل حسان جهوداً كبيرة في تنظيم أمور البلاد إدارياً، وفي نشر الإسلام وتعريب البلاد، وبعث الفقهاء في أنحاء المغرب لتعليم البربر قواعد الدين واللغة، فأقبل البربر على الإسلام في حماسة شديدة؛ حتى أصبح معظم جيش حسان منهم.

وهكذا فتح حسان إفريقية حربيًا ومعنويًا في آن واحد، واستطاع أن يحولها إلى ولاية إسلامية قلبًا وقالبًا<sup>(2)</sup>.

وفي سنة (85هـ) ولي إفريقية موسى بن نصير، فتابع الفتوحات الإسلامية في الشمال الإفريقي بنشاط وافر وهمة عالية، ونجح في استكمال فتح المغرب كله، وإن كان قد اصطنع في سبيل خطته كل وسائل العنف والإرهاب مع الشائرين والناكثين بالعهد من البربر.

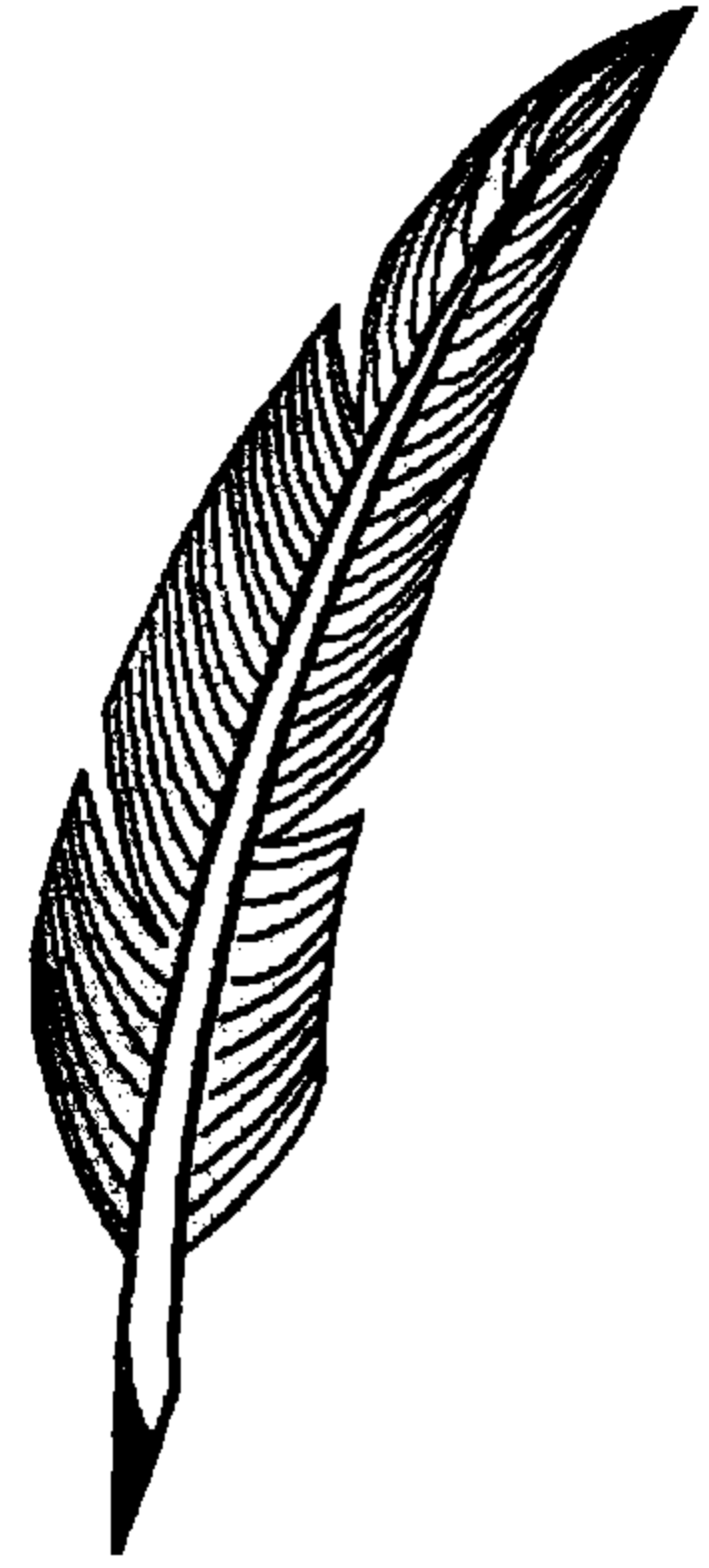
\*\*\*

---

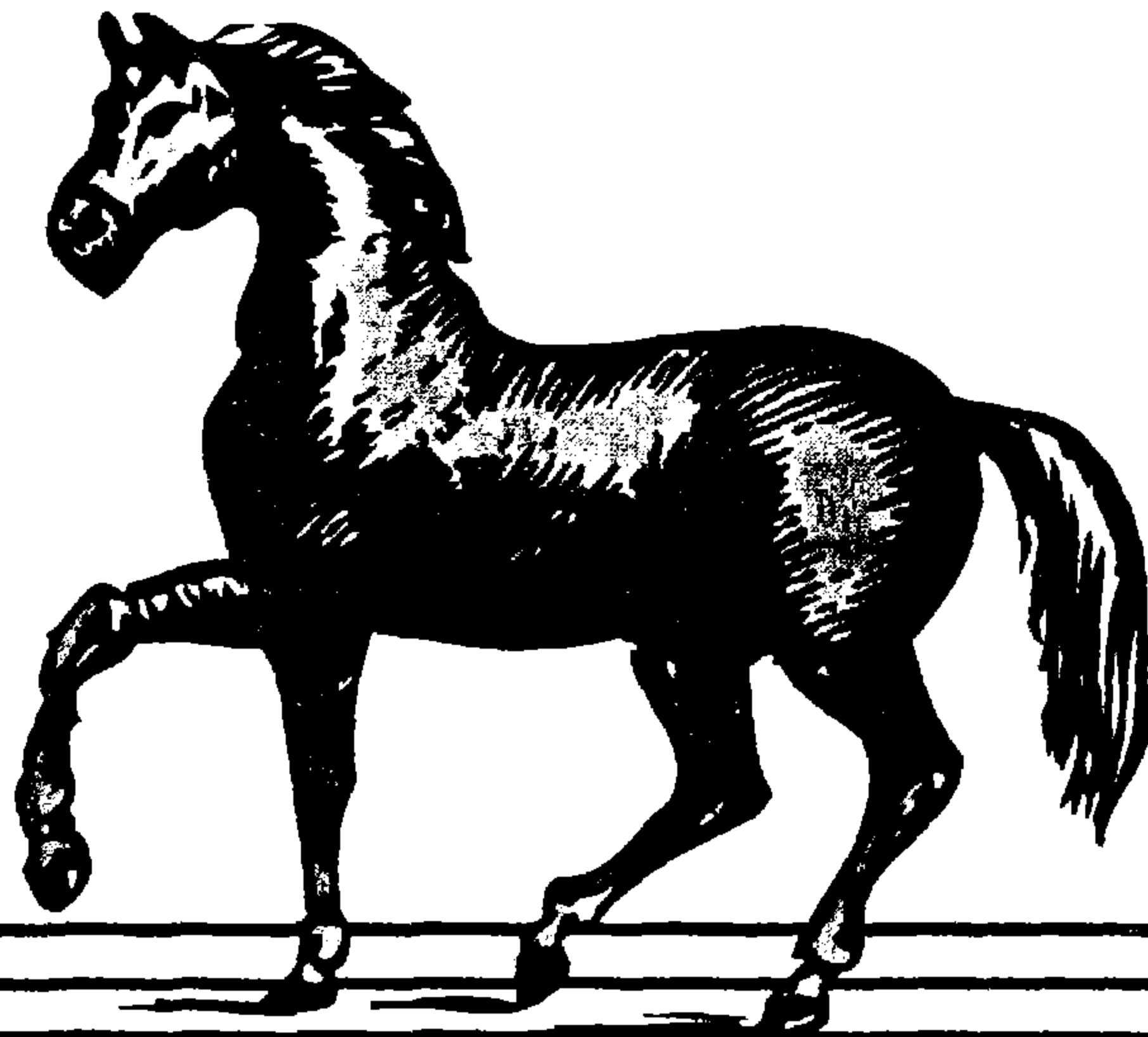
(1) انظر: د/ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص: 370، 371.

(2) د/ السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص: 371، 372.





**المجتمع الإسلامي  
في خلافة الأمويين**





من صور الخطأ التي وقع فيها كثير من المؤرخين والمفكرين أنهم خلطوا بين مسيرة الحضارة، ومسيرة التاريخ، مطبقين الخطوط السياسية الفاصلة نفسها على التيار الحضاري، مع أن مسيرة الحضارة لا تخضع لتقلب الدول، فضلاً عن سقوط دولة وقيام أخرى تنتمي إلى المدرسة العقديّة والإشعاع الثقافي نفسه...

وأنا أعجب حقيقة من هؤلاء المؤرخين؛ الذين نظروا إلى سنة (41هـ) التي قامت فيها الدولة الأموية، وكأنها منعطف جديد في الحضارة الإسلامية؟

ترى هل انتهى في هذه السنة جيل الصحابة الذين رباهم الرسول - عليه الصلاة والسلام - أو انقرض التابعون الذين تتلمذوا على يد التلامذة الأول للنبي محمد ﷺ؟!

إن بعض الصحابة قد عاشوا إلى ما بعد سقوط الدولة الأموية سنة (132هـ).

إن ما حدث بالضبط هو أن أسلوب انتقال الحكم قد تغير من شوري مطلقاً إلى شوري مقيدة؛ نتيجة لظروف معينة لا نتعرض لها في هذا المقام... أما نهر الحضارة الإسلامية فقد ظل يشق مجراه... وظلت الأمة هي الأمة والمبادئ هي المبادئ...

ونتيجة تطورات معينة، وابتعاد عن عصر النموذج والقُدوة، وانفتاح على حضارات متعددة، والحصول على ثروات طائلة؛ ظهرت تجاوزات هنا وهناك، كما تظهر في كل المنعطفات والدول العظمى... وهي تجاوزات قامت الأمة بنقدها والتنديد بأصحابها...

إن (هاملتون جب) - وهو مستشرق، لا يمكن وصفه بالدفاع عن تاريخ الإسلام - يرمي إلى طبيعة التغير في نظام الحكم عند الأمويين، فيذكر أنه: "من



قبيل التناقض أن يلصق الناس بالأمويين تلك التهمة الشائعة؛ وهى أنهم حولوا الخلافة إلى ملك (...).

" وهذا التناقض ذاته يوحى لنا بأنه ينبغي علينا إذا شئنا أن نفهم الطبيعة الحقيقية للأزمة، أن ننفذ إلى ما وراء سطح الواقع بكثير، وأن نجتهد بصورة خاصة فى تحرير أنفسنا من عادة مؤرخى العرب الذين ينظرون إلى العملية التاريخية على ضوء الأعمال الشخصية دون اعتبار منهم للظروف التى اكتنفت أعمال الأفراد، ورسمت حدودها، والقضية التى أحب أن أطرحها فى هذا المقام تتلخص فى أن الأمويين كانوا - إذا جاز لنا التعبير على هذا النحو - ضحية عملية دياكتيكية داخل المجتمع الإسلامى" (1).

وإذا نظرنا إلى الخلافة الأموية<sup>(2)</sup> هذه النظرة - غير السياسية - التى ترصد التطور الحضارى، وليس التعبير الفوقى؛ فإننا سنجد هذه الخلافة، التى قدر لها أن

- 
- (1) جب: دراسات فى حضارة الإسلام، ص: 48، دار العلم للملايين، ط/3، 1979م.
- (2) كنموذج للتحليل الموضوعى المنصف - غير الإسقاطى - نقدم هذا النص من كلام المفكر الإسلامى، والمصلح (الإمام/ سعدى النورسى) فى معالجة الصراع بين الإمام على ومعاوية - رضى الله عنهما - فى صفين، يقول الإمام النورسى: أما ما وقع من حرب بين الإمام على وسيدنا معاوية وأنصاره فى واقعة "صفين"؛ فهى حرب بين الخلافة والسلطنة (الملك الدنيوى)؛ أى أن الإمام علياً قد اتخذ أحكام الدين وحقائق الإسلام والآخرة؛ أساساً، فكان يضحى بقسم من قوانين الحكم والسلطنة وما تقتضيه السياسة من أمور فيها إجحاف فى سبيل الحقائق والأحكام، أما سيدنا معاوية ومن معه، فقد التزموا (الرخصة الشرعية)، وتركوا الأخذ بالعزيمة؛ لأجل إسناد الحياة الاجتماعية الإسلامية بسياسات الحكم والدولة، فعدوا أنفسهم مضطرين فى الأخذ بهذا المسلك فى عالم السياسة، لذا رجحوا الرخصة على العزيمة فوقعوا فى الخطأ (أى أننا نفهم من كلام النورسى؛ أن الخلاف يمثل وجهتى نظر، وأن للمصيب أجرين وهو الإمام على وأتباعه، وللمخطئ أجر وهو معاوية وأتباعه (رضى الله عن الجميع)، (انظر النورسى: المكتوبات، ص: 68، نشر سوزلر - القاهرة).



تعيش فى التاريخ نحو قرن من الزمان تواجه بقايا الإمبراطوريات المندثرة رومية وفارسية، وتؤصل لمؤسسات اجتماعية واقتصادية وثقافية فى العالم الإسلامى الحديد والحديث، عهدا بالبداوة والكفر الوثنى والرومانى السابق، وذلك مع وجود بعض التجاوزات، خضوعاً لظروف التطور التى ألمحنا إلى بعض جوانبها سابقاً، مما يؤكد وجهة نظرنا فى أن التغير السياسى لا يرتبط بالتغير الحضارى.

إننا هنا نتساءل: هذه الجيوش الفاتحة التى ساحت فى معظم أقطار المعمورة من حدود الصين والهند، حتى سبتة فى المغرب الأقصى، وكافادونجا فى جبال البرانس بأسبانيا... ألم تقم على أكتاف الجندى المسلم المجاهد الذى كان يمضى مخلصاً شبه متطوع أو نظامياً وراء القادة الذين اختارهم بنو أمية؟... لقد أثبت هؤلاء أنهم مخلصون حقاً بصرف النظر عن النظام السياسى الذى انتقلوا إليه... ولقد نشروا الإسلام فى المغرب الأقصى والأوسط والأدنى وطرابلس وبرقة وأسبانيا والصين والهند وبلاد آسيا الوسطى وأفغانستان وغيرها...

وفى هذا العصر وقعت عملية التعريب، وتم تنظيم الدواوين، وسك العملة، وبدأت العلوم العربية والإسلامية تكتمل صورها!!

وإذا كنا قد استشهدنا برأى (جب) فى طبيعة الانتقال من دولة الراشدين إلى الدولة الأموية؛ فإننا - ونحن نلقى بعض الضوء على أبرز خلفاء هذه الدولة الذين قاموا بالفتوحات، وساعدوا التطور - نتابع استشهدنا بمؤرخ أوروبى آخر من كبار الدارسين للتاريخ الإنسانى كله؛ إيماناً منا بأن شهادة هؤلاء قد تكون أكثر قبولاً لدى المدرسة العلمانية، التى تصدر أحكاماً تعسفية غير متأنية على تاريخنا.

إن (ول ديورانت) يقول: «يجب علينا ألا نظلم معاوية، لقد استحوذ على السلطة فى بادئ الأمر؛ حيث عينه عمر - الخليفة الفاضل النزيه - والياً على الشام، ثم بتزعمه الثورة التى أوقد نارها مقتل عثمان، ثم بما دبره من "الأساليب السياسية" البارعة التى أغنته عن الالتجاء إلى القوة إلا فى ظروف جد نادرة...»



ولقد كان طريقه إلى السلطة أقل تخضيباً بالدماء من طرق معظم من أسسوا أسراً حاكمة جديدة<sup>(1)</sup>.

وكان يجلس للناس خمس مرات في اليوم، وقد استؤنفت الفتوحات الإسلامية في عهده بعد توقف، وكان يسمع المدح في منافسه في مجلسه؛ بل ويسمع بفضله عليه ولا يعاقب على ذلك...

أما عبد الملك بن مروان؛ فقد سار على خطى معاوية، وحاول أن يطبق سياسته الداخلية في الجلوس للناس، وكان من فقهاء المدينة المعروفين، وقد احتج مالك في الموطأ بعمل عبد الملك، وكان من فاتحى إفريقية قبل الخلافة، وقد استقرت قواعد الدولة في عهده، وظهر طابعها العربي واستقلالها الحضاري.

أما ابنه الوليد الأول ففي عهده - كما يقول ديورانت - (واصل العرب فتوحاتهم فاستولوا على بلخ في عام (86هـ / 705م)، أما الوليد نفسه فكان مثلاً طيباً للحكام، يعنى بشئون الإدارة أكثر من عنايته بالحرب، ويشجع الصناعة والتجارة، بفتح الأسواق الجديدة، وإصلاح الطرق، وينشئ المدارس والمستشفيات - ومنها أول مستشفى معروف للأمراض المعدية - وملاجئ للشيخ والعجزة، والمكفوفين، ويوسع مساجد مكة والمدينة وبيت المقدس، ويجملها، وينشئ في دمشق مسجداً أعظم من هذه المساجد وأفخم، ولا يزال باقياً فيها حتى اليوم<sup>(2)</sup>.

ولما جاء عمر بن عبد العزيز (99-101هـ / 717 - 719م) أعاد سيرة الراشدين، واعتبر بإجماع الأمة خامس الراشدين، وأحدث عودة حميدة شعبية ورسمية للإسلام.

وقد حكم هشام الدولة حكماً عادلاً ساد فيه السلم، وأصلح خلاله الشئون الإدارية، وخفض الضرائب، وترك - بعد وفاته - بيت المال مليئاً بالأموال<sup>(3)</sup>.

(1) ول ديورانت: قصة الحضارة 81/13، طبع مصر، الطبعة الأولى.

(2) المرجع السابق 83/13.

(3) المرجع السابق 83/13.



فهؤلاء - كما نرى - (معاوية، وعبد الملك، والوليد، وعمر، وهشام) خمسة من خلفاء بني أمية، حكموا نحو ثلاثة أرباع عمر الدولة، وقدموا خدمات كثيرة للحضارة الإسلامية، باعتراف مؤرخ أوروبي كبير يحاول أن يقترب من الإنصاف، وقد كتب ديورانت ما كتبه ضمن رصد شامل للحضارة الإنسانية، وليس فى دراسة مستقلة متخصصة، ومع ذلك جاء فى كلام (ول ديورانت) - كما رأينا - قدر كبير من الإنصاف ضمن منظومة (قصة الحضارة)، وذلك على العكس من كتابات العلمانيين الذين لم يحسنوا قراءة تاريخ الإسلام، بل أغلب الظن عندى أنهم - أو بعضهم - لم يقرأوه أصلاً!!

وقد اهتم الأمويون بتجديد المساجد الأولى التى أنشئت فى عصر الراشدين؛ مثل جامع البصرة، والكوفة والفسطاط، وجامع المدينة، وجامع صنعاء الكبير، كما اهتموا بتأسيس عدد كبير من المساجد الجامعة؛ مثل جامع دمشق، والجامع الأقصى، وقبة الصخرة، وجامع الزيتونة بتونس، وجامع عقبة بن نافع فى القيروان، كما جددوا المسجد النبوى فى عهد الوليد بن عبد الملك وزادوا فى جامع عمرو بن العاص عدة مرات<sup>(1)</sup>، وقد ازدهرت الحياة الفكرية فى العصر الأموى، وشملت مجالات العلوم الدينية واللفغوية والاجتماعية والرياضيات والفلك والطبيعات<sup>(2)</sup>، وكان من أهم العلوم الدينية: (القراءات والحديث؛ الذى دون فى عصرهم، وعلم الكلام، وعلوم القرآن)<sup>(3)</sup>.

ولما كان العهد الأموى عهد فتوحات وتفاعل مع الحضارة المعاصرة؛ فقد وقف الحكام وعلماء الأمة وقفة حضارية أصيلة فى وجه الأفكار والعلوم والنظم

---

(1) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص: 436، وما بعدها، بتصرف - طبع الإسكندرية (1982م).

(2) ول ديورانت: قصة الحضارة، ص: 421.

(3) المرجع السابق، ص: 423.





واللغات الوافدة، وقد نجحوا فى وضع الضوابط والمناهج، وأسس هذه العلوم التى تكفل التأصيل الصحيح، والمواجهة الإيجابية والاستجابة المثلى للتحدى الفكرى.

وكما نشأت علوم اللغة لمواجهة اللحن، فقد نشأت المذاهب الفقهية للاجتهاد فى الوقائع الجزئية التى تكاثرت، فظهر الإمام أبو حنيفة (80 - 150هـ)، والإمام مالك ولد سنة (93هـ)، وقيل: سنة (95هـ)، وتوفى سنة (179هـ) - رضى الله عنهما - وكذلك نشأ علم الحديث بفروعه الكثيرة والرائعة؛ لمواجهة الوضع والوضاعين.

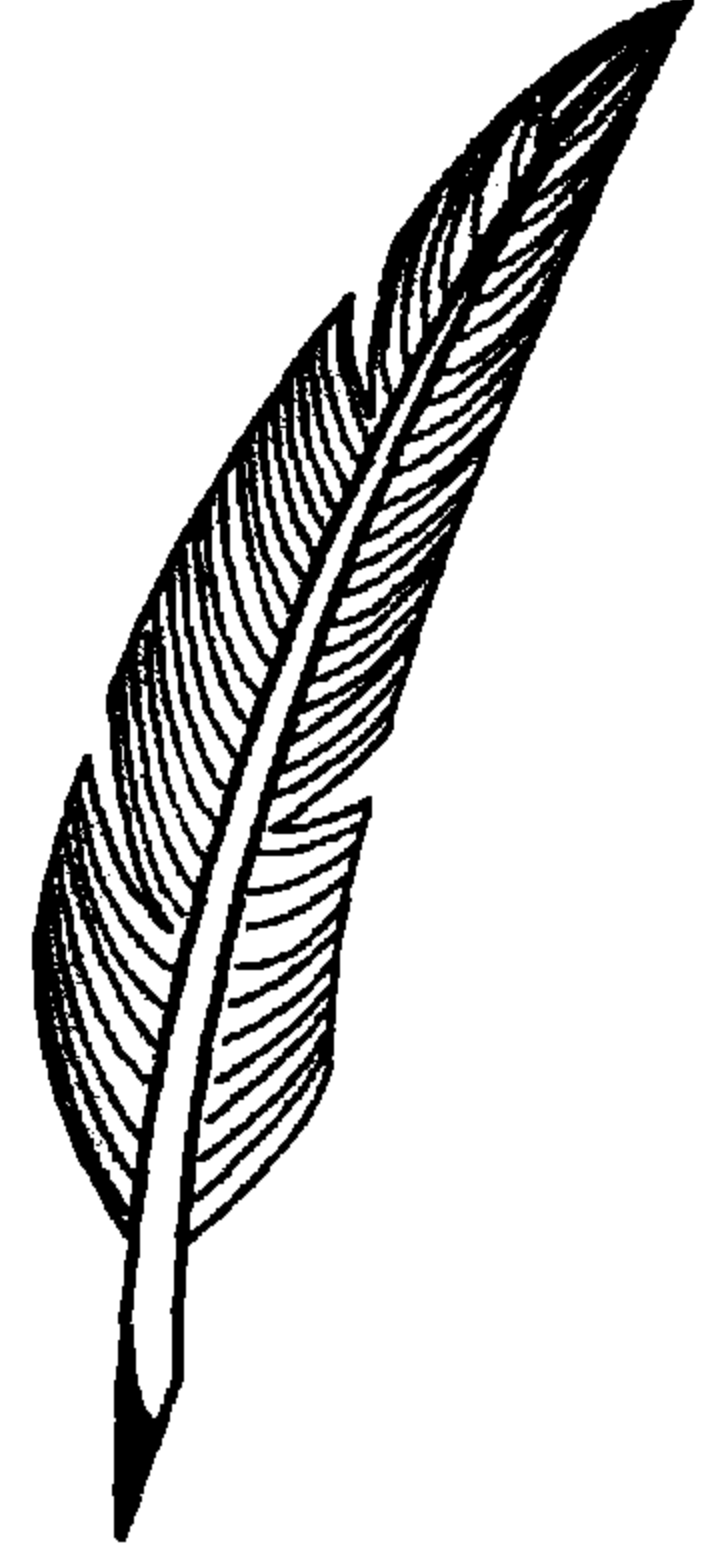
وكان القضاء قائماً على خير الوجوه الشرعية وأحكامها، فقد جرى معاوية بجهده هو ومن حكموا بعده فى ذلك على سنن من تقدمه<sup>(1)</sup>؛ أى على سنن الراشدين.

\*\*\*

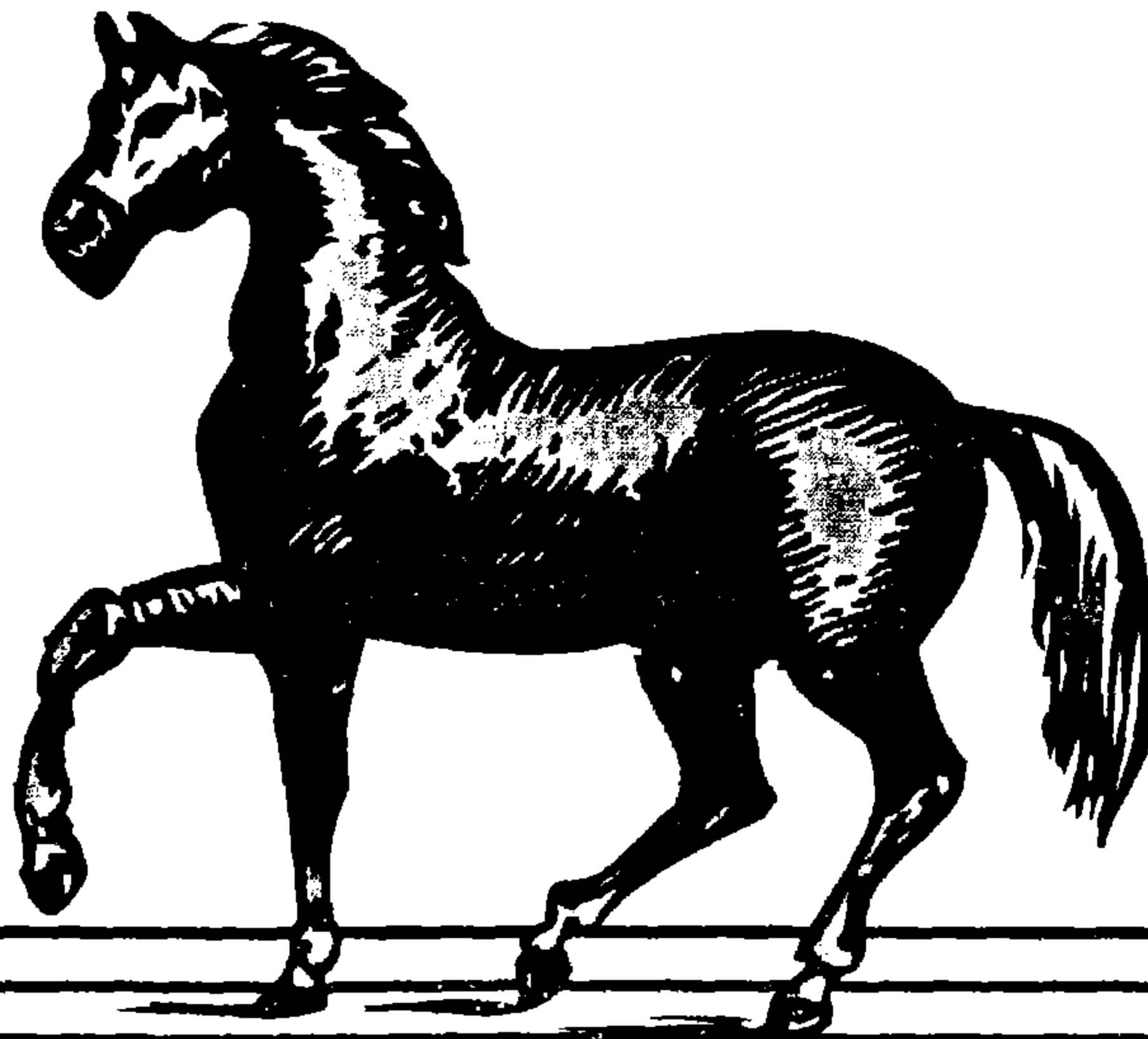
---

(1) أبو الحسن بن عبد الله النباهى الأندلسى: تاريخ قضاة الأندلس، ص: 24، طبع دار الآفاق، بيروت، الطبعة الخامسة (1403هـ).





أسباب سقوط  
بنى أمية





ثمة ومضة اختبار فى حياة كل أمة تمثل منعطفًا خطيرًا... وعلى أساس ما يتخذ فيها من (قرار) يتحدد مصير الدولة...

إن هذا القرار سوف يحدد بالضبط هل بقيت لدى هذه القوة مؤهلات القيادة، وأنها قادرة على الاستئناف والانقلاب على نفسها والقفز من فوق سلبياتها ومشكلاتها لتقوم بدور ملائم للتحديات... أو أنها قد انهزمت من داخلها ولم تعد قادرة على المبادرات الحضارية...!!

وبالنسبة للأمويين فى التاريخ فقد حدث لهم (ومضة الاختبار) هذه مرتين: مرة فى المشرق وقد أخفقوا فيها... وكان ذلك سنة 100هـ!!

فى سنة 100هـ - أى فى الاختبار الأول - حاول عمر بن عبد العزيز إحداث هذا الانقلاب... وكان سليمان قد نجح حين ولى عمر على خلاف السنة المعهودة فى الولاية، فقدم الفرصة أمام الدولة لمواصلة فى ظل دم جديد... لكن بنى أمية رفضوا هذا الإقلاع، وخافوا أن يخرج عمر ما فى أيديهم من الأموال، وأن يخلع يزيد من ولاية العهد بعده<sup>(1)</sup>.

وبموت عمر بن عبد العزيز الغامض والذى ثور حوله الشبهات<sup>(2)</sup> عاد بنو أمية سيرتهم الأولى وأجهز الخليفة بعده على إصلاحاته... وجاهد هشام طيلة عشرين سنة دون أن يكون فى مستوى الإقلاع الحضارى المنشود، ودون مستوى عمر بن عبد العزيز ورؤيته الحضارية الشاملة.

ومرة فى الأندلس، بعد أن نزحوا ببقية قوتهم إلى هناك بعيداً عن العباسيين وأنشأوا ملكاً لهم سنة 138هـ، وقد حدثت ومضة الاختبار لهم هناك بعد أن كانت

---

(1) عماد الدين خليل: ملامح الانقلاب الإسلامى فى خلافة عمر بن عبد العزيز ط2 الدار العلمية بيروت ص97.

(2) المرجع السابق.



دولتهم تعيش فوضى عاتية... وقد نجحوا وولوا عبد الرحمن الناصر دون أن تكون الولاية له... فنجح في قيادة السفينة المترنحة... فكان بنى أمية استفادوا من درس المشرق!!

كانت الأرض المفتوحة قد اتسعت أكثر مما يقدرعون..

وكان عمر بن عبد العزيز قد حاول - بذكاء غريب سبقه إليه جده عمر بن الخطاب - أن يوقف هذا الامتداد في الأرض، حتى يواكبه امتداد في الدعوة، بحيث لا تطفئ الأرض على الحضارة، ولا الدولة على الدعوة، ولا تصبح اعتبارات السياسة أهم من مبادئ الدين!!

وكان الأمويون لا يعالجون ثورة إلا ويدخلون في علاج ثورة أخرى... فحتى العباسيون الأشداء الذين ورثوهم لم يستطيعوا الحفاظ على المغرب والأندلس وأجزاء من المشرق كان حكمهم فيها شكلياً...

وقد ظن الأمويون أن الرجال الأشداء من أمثال المغيرة بن شعبة وزياد بن أبيه والحجاج وآل الملهم قادرون على إحكام قبضتهم... وهو تصور ساذج، إذ إن الفراغ العقدي والنفسي والحضاري لا تكفي فيه هذه العوامل الخارجية الضاغطة... بل لابد من تيار حضاري عقدي يملأ أركان الحياة!!

- إنها معادلة حضارية لم يستطع بنو أمية أن يصلوا إلى الفقه الصحيح بها... فإن كل فكرة خلاقة تولد - كما يقول هاملتون جب - طاقة توسعية هائلة بما تغرسه في نفوس أتباعها من حماسة للدعوة (...). وهذه القوة لابد من أن تكون من الناحية المثالية، أداة للفكرة (الأيديولوجية) التي أوجدتها<sup>(1)</sup>...!!

وفي الفترة الإسلامية الأولى كانت الفكرة الجديدة ذات طاقات توسعية هائلة، وكانت طاقاتها هذه تنساق في مجارى التوسع (...). ولم يبق في الوقت

(1) هاملتون جب: دراسات في حضارة الإسلام ص. 51



نفسه نظام داخلي يعادل أداة ذلك التوسع من حيث القوة!!... وهذا هو العامل ذو الأثر في تاريخ الخلافة الأموية، وهو عامل كثيرا ما أساء فهمه الدارسون من بعد، إما ذهاباً مع الهوى وإما افتقاراً إلى المعرفة التاريخية، وإما افتقاراً إلى الإحساس بالنظرة التاريخية.

وأنا أقول: إن الفكرة (الأيديولوجية) لم يتح لها خلال القرن الأول أو نحوه أن تتجسد في أية نظم اجتماعية سوى نظام الحكومة. فإذا احتكرت الحكومة وحدها السلطة التي تمارسها لم يكن إلى جانبها نظام آخر ينازعها سلطانها، فلم يكن ثمة اختيار بين احتكار الحكومة للسلطة أو تنازلها عن بعضها لنظام آخر... لأن هذا النظام الآخر لم يكن له وجود، والسلطة على أية حال شيء لا يمكن نقله، إنما كان الاختيار الوحيد بين احتكار السلطة - سواء أكان يمارسها الأمويون أو غيرهم - وبين الفوضى<sup>(1)</sup>.

إننا نجد أن تحول الطاقة لا يضعف الحكم مطلقاً في أول أمره؛ وذلك لأن مجموعة الطاقة المتوافرة هائلة، ولأن تحولها يجرى على نحو متدرج بطيء. ثم إننا قد رأينا فيما يتصل بالأمويين أن القوة التوسعية التي بعثتها الفكرة الإسلامية أصلاً إلى الوجود تمثلت في واقع الأمر، في صورة قوة توسعية قبلية عربية، ولما تلاشى حافز الفكرة الذي كان يحدو للتوسع الخارجي في مرحلة تالية، كانت الحكومة لا تزال تستطيع الاعتماد على الطابع العدواني، الذي وسمت به روح القبائل وأشربته نظرتها، وأن تستغله في التوسع<sup>(2)</sup>.

ومع هذا فلا بد من أن يأتي عاجلاً أو آجلاً وقت يحصل فيه توازن تقريبي بين قوى التوسع والقوى الخارجية، وعند هذا الحد إما أن يكون حافز التوسع قد استنزف طاقاته وإما أن يكون قد أصبح أضعف من أن يتغلب على القوى المعارضة وعندئذ يصبح نظام الحكم مضطراً إلى أن يقف موقفاً دفاعياً<sup>(3)</sup>.

(1) هاملتون جب: المرجع السابق ص 51، 52.

(2) المرجع السابق.

(3) المرجع السابق ص 55.



وهكذا... أو شك (جب) أن يصل إلى المآزق الحضارى الذى وقعت فيه الدولة الأموية، إلا أن رؤيته المقيدة بالسوابق الثقافية قد حالت دون ذلك... مع أنه اقترب كثيراً من الحقيقة!!

ومهما يكن من أمر فإن الدولة الأموية لم تستوعب قانون الامتداد الحضارى؛ فبعد الامتداد (بالفتوحات) كان عليها أن تمتد (بالدعوة) وإلا فقدت مؤهلها للبقاء والتقدم!!

\*\*\*

وفى عصرى الانطلاق والازدهار أيام معاوية وعبد الملك والوليد وحتى هشام كان بريق الامتداد يبهر الأبصار ويوجه الطاقات ويقدم تبريرات البقاء... فلما أو شك هذان العصران على الانتهاء كان لابد للأمويين من تبريرات جديدة يعيشون عليها وتندفع الجماهير خلفهم تحت رايتها...

وبدلاً من أن يوجد أمثال عبد الملك أو الوليد من بناء الدول وصانعى الفتوحات العظيمة أو أمثال عمر بن عبد العزيز من رجال المثالية والدعوة والعدل الشامل وتقديم نموذج الدولة الراشدة لبقية الإنسانية... بدلاً من هذا - قدم الأمويون رجالاً من طراز الوليد بن يزيد، ويزيد بن الوليد، وإبراهيم بن الوليد...!!

ونحن نرجح أن الوليد بن يزيد مظلوم، وقد رمى بتهم باطلة<sup>(1)</sup>، لكن القدر الصحيح الباقي من سيرته لا يؤهله لدور عظيم<sup>(2)</sup>... ونعتقد كذلك أن يزيد بن الوليد، كان وبالا على بنى أمية... إنه نموذج للتدين العاجز الذى يضر أكثر مما ينفع... ويتهم الأبرياء ابتداءً ويميل إلى التجريح فى المستوى العام أكثر مما يميل

(1) انظر: تاريخ ابن خلدون / 3 / 106.

(2) انظر الطبرى: التاريخ / 8 / 293 حوادث سنة 125 طبع دار الفكر بيروت 1976م.



إلى تبرئة الناس . . . وهو من أصحاب الأهواء الجامحة والقلوب المريضة على الرغم من تظاهره بالنسك والتدين!!

إن هذا الخليفة الذى قفز إلى السلطة على أشلاء ابن عمه الوليد بن يزيد بن عبد الملك يتحمل المسئولية التاريخية بالدرجة الأولى فى إجهاض أى أمل فى إقلاع البيت الأموى نحو دور حضارى جديد!!

- ومن الغريب أن الخليفة العباسى هارون الرشيد قد أدرك هذه الحقيقة التاريخية التى غابت عن كثير من مفسرى التاريخ الأموى . . .

يروى العلامة ابن خلدون فى تاريخه أن ابن الغمر بن يزيد دخل على الرشيد فسأله: ممن أنت؟، فقال: من قريش. قال: من أيها؟ فوجم . . . فقال: قل وأنت آمن، ولو أنك مروان . . . فقال: أنا ابن الغمر بن يزيد . . . فقال الرشيد: رحم الله الوليد ولعن يزيد الناقص، فإنه قتل خليفة مجتمعا عليه<sup>(1)</sup>.

ومما قاله الخليفة العباسى المهدي فى الوليد: إنما كان الرجل محسوداً فى خلاله ومزاحماً بكبار عشيرة بيته من بنى عمومته<sup>(2)</sup>.

- ونحن نعتقد أن هذه النعوت إنما قصد المهدي بها يزيد بن الوليد، فهو رجل كان يخفى الحقد ويظهر النسك!!

وهل كان من الدين أن يصير يزيد على نصب رأس ابن عمه الوليد تمثيلاً وتشفيًا، وأن يطاف به على رمح فى دمشق؟! وأى دين هذا؟!

إنه الحقد والتآكل الداخلى الذى سقط فيه بنو أمية فى هذا الوقت العصيب!!

---

(1) تاريخ ابن خلدون / 3 / 106 .

(2) المرجع السابق .





ويقتل الوليد فتح باب الفتنة داخل البيت الأموي ذاته . . . فانتقضت  
اليمامة، ووقع الخلاف فى خراسان بين نصر بن سيار والكرمانى . . . وأعلن مروان  
ابن محمد والى أرمينية آنذاك المطالبة بدم الوليد<sup>(1)</sup>!!

إن مقتل الوليد الثانى كان نقطة البدء فى تحدى فكرة الشرعية ومسماراً  
ضخماً فى نعش الخلافة كمنصب له قدسيته وهيبته، وقد تناولت هذه الفتنة  
الأسس المكيئة التى اعتمد عليها الحكم الأموى بشكل عام إذ كان القائمون عليها  
من أهل الشام أولاً، ومن الأمويين ثانياً، وكلا العنصرين أساس فى تثبيت  
السلطان الأموى<sup>(2)</sup>.

إن هذا التمزق الداخلى هو أخطر ما أصاب بنى أمية . . . إن العصبية التى  
كانت تحفظ تماسك بنى أمية - فى وجه العصبيات الصغيرة والعواطف العامة - قد  
انشقت، وفقدت قوتها الذاتية . . . ومن عجب أن الحجاج بن بشر بن فيروز  
الديلمى أحد القدرين أيام الوليد قد أدرك هذا . . . فقد قال فيما رواه الطبرى  
عنه: لا يعيش الوليد إلا ثمانية عشر شهراً حتى يقتل، ويكون قتله سبب هلاك  
بيته<sup>(3)</sup>!!

ونحن فى الحقيقة نكاد نميل إلى أن يزيد بن الوليد يتحمل الوزر الأكبر فى  
تأجيج هذه الفتنة، ونميل إلى أنه كان يظهر النسك والتدين لغاية يهدف  
إليها . . . ونحن لا نميل إلى تصديق كل ما قيل فى حق الوليد، فإن معاصريه أنفسهم  
كانوا يتشككون فيما يشاع عنه، فقد قيل لخالد بن عبد الله: أتقبل شهادة الوليد  
مع مجونه وفسقه؟ فقال: أمر الوليد أمر غائب عنى ولا أعلمه يقيناً إنما هى أخبار  
الناس<sup>(4)</sup> . . . أى أنها مجرد إشاعات، ونحن نعتقد أن الفريق المناصر ليزيد بن

(1) ابن خلدون 3 / 122 .

(2) نبيه عاقل / تاريخ خلافة بنى أمية 347 .

(3) الطبرى: 3 / 9 .

(4) الطبرى: 3 / 9 .



الوليد كان وراء هذه الشائعات... وقد عرف خالد بن عبد الله بالمؤامرة على الوليد فنصح به بأن لا يحج في عامه فسأله عن السبب فرفض القول بما يعرف فحبسه الوليد<sup>(1)</sup>... وموقف خالد هذا يدل على وجود (عقلاء) لم يكونوا مع هذا الاتجاه الانقلابي الانشقاقى الذى تزعمه يزيد بن الوليد... بل إن العباس أخا يزيد الثائر على الوليد رفض الانقياد إليه وقال له عندما دعاه للتآمر ضد الوليد: - مهلا يا يزيد فإن فى نقض عهد الله فساد الدين والدنيا، فرجع يزيد إلى منزله ودب فى الناس فبايعوه سرا، ودس الأحنف الكلبى يزيد بن عنبسة السكسكى وقوماً من ثقاته من وجوه الناس وأشرفهم فدعوا الناس سرا... ثم عاود أخاه العباس فشاوره وأخبره أن قوماً يأتونه يريدونه على البيعة فزجره العباس وقال: إن عدت لمثل هذا لأشدنك وثاقاً ولأحملنك إلى أمير المؤمنين<sup>(2)</sup>.

وقد وصف العباس أخاه يزيد بقوله: "والله إنى لأظنه أشأم سخلة فى بنى مروان، ولولا ما أخاف من عجلة الوليد مع تحامله علينا لشددت يزيد وثاقاً وحملته إليه"<sup>(3)</sup>.

فهذا العباس أخو يزيد كان أحد العقلاء الراضين للأسلوب الانقلابى الذى ابتدعه فى بنى أمية يزيد...

ومثل العباس وخالد بن عبد الله كان موقف معاوية بن عمرو بن عتبة... وقد نصح للوليد، وأخبره بأن هناك بوادى مؤامرة داخلية ضده<sup>(4)</sup>.

ومثلهما كان العلاء بن برد بن سنان، فقد نهى يزيد عن الدخول فى هذا الأمر<sup>(5)</sup>. وكان مروان بن محمد - آخر خلفاء بنى أمية فيما بعد ووالى أرمينية -

(1) المكان السابق.

(2) خليفة بن خياط 363 والطبرى 7/9.

(3) الطبرى 7/9.

(4) انظر المكان السابق.

(5) انظر خليفة بن خياط: تاريخ 369.



قد علم بما يحاك للوليد من يزيد فكتب إلى سعيد بن عبد الملك بن مروان يأمره أن ينهى الناس عن السير فى طريق التآمر المظلم... ويقول لسعيد: "لقد بلغنى أن قومًا من سفهاء أهل بيتك قد استنوا أمورًا إن تمت لهم على ما أجمعوا عليه من نقض بيعتهم؛ استفتحوا بابًا لن يغلقه الله عنهم حتى يسفك دماء كثيرة منهم (...). فتهددهم بإظهار أسرارهم وخوفهم العواقب لعل الله أن يرد إليهم ما قد عزب عنهم من دينهم وعقولهم فإن فيما سعوا فيه تغييرًا لنعم وذهاب الدولة"<sup>(1)</sup>. ويقول مروان أيضًا: "وقد أمل القوم فى الفتنة أملا لعل أنفسهم تهلك دون ما أملوا، ولكل أهل بيت مشائم يغير الله النعمة بهم"<sup>(2)</sup>.

فهكذا كان مروان بن محمد أحد العقلاء الذين أبصروا آثار الفتنة وحاولوا الوقوف فى وجهها، كما يظهر لنا الكتاب فراسة مروان وبعد نظره وإدراكه لآثار الفرقة والاختلاف وأن محاولة يزيد ستغرق البلاد بالدماء والقتل<sup>(3)</sup>.

وعندما أوشكت مؤامرة يزيد وأصحابه على نهايتها حاصروا أخاه العباس، وأرغموه على المبايعة وزادوا فنصبوا راية وقالوا: هذه راية العباس، وكان العباس يوافقهم على مؤامرة أخيه يزيد ومؤامرتهم... فلم يملك العباس إلا أن يقول: إنا لله... خدعة من خدع الشيطان... هلك بنو مروان<sup>(4)</sup>.

فلخص العباس بكلماته تلك أبعاد الموقف كله، وكشف عن رؤية عاقلة على الرغم من أن الخليفة الجديد أخوه...!!

وموقف آخر يكشف حقيقة خروج يزيد وأبعاد هذه المؤامرة<sup>(5)</sup>، وما فيها من

(1) انظر: خليفة بن خياط: تاريخ 369.

(2) المرجع السابق.

(3) القاضى سعدى أبو حبيب: مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية، ص 119، 120 طبع دار لسان العرب، دمشق.

(4) الطبرى 9/13 وانظر مضمون مؤامرة خداعهم للعباس فى تاريخ خليفة بن خياط 364.

(5) القاضى سعدى: مرجع سابق ص 120.



تجنّيات على شخصية الوليد... ففي أثناء حصار يزيد وأصحابه للوليد... طلب الوليد أن يكلم رجلاً شريفاً من خصومه فقال له يزيد بن عنبسة السكسكى: كلمنى... فقال له الوليد: يا أبا السكسك ألم أزد فى أعطياتكم؟ ألم أرفع المؤمن عنكم؟ ألم أعط فقراءكم؟ ألم أخدم زمانكم؟ فقال السكسكى: إنا لا ننقم عليك أنفسنا ولكن ننقم عليك ما حرم الله وشرب الخمر ونكاح أمهات أولاد أبيك واستخفافك بأمر الله...

قال الوليد: حسبك يا أبا السكاسك فلعمري لقد أكثرت وأغرقت وإن فيما أحل الله لسعة عما ذكرت<sup>(1)</sup>... ورجع إلى الدار فجلس وأخذ مصحفاً وقال: يوم كيوم عثمان ونشر المصحف يقرأ<sup>(2)</sup>... حتى قتل.

وهذه المواجهة بين الوليد وخصومه تؤكد لنا حسن سياسته تجاه الرعية، وقد اعترف محاوره يزيد بن عنبسة السكسكى بها... أما دعاواهم الأخرى فهي من باب الإشاعات والتخرصات وأقاويل الخصوم - ربما باعتبار ما كان من هفوات شبابه أيام ضغوط هشام عليه - ونحن نميل إلى صدق الوليد فيما دافع به عن نفسه: (إن فيما أحلّ الله لسعة)... أفلم يجد الوليد إلا أمهات أولاد أبيه (زوجاته الجوارى) ينكحهن؟ ألا يستطيع الحصول على جوار لنفسه غيرهن؟ وهل يقتل الناس - فضلاً عن الخلفاء والحكام - لمجرد الإشاعات والدعاوى التى لا دليل عليها... لقد صدق خالد بن عبد الله القسرى حين رفض تفسيق الوليد وقال لمروجى الشائعات عنه: إنما هى أخبار الناس!!

ولقد كان ابن خلدون أقرب إلى الموضوعية وهو يذكر الاضطراب فى الروايات حول الوليد بن يزيد... لكنه لم يستطع الوصول إلى نتيجة صحيحة... يقول ابن خلدون عن الوليد:

(1) الطبرى: 13/9.

(2) المرجع السابق.



ولقد ساءت القالة فيه كثيراً، وكثير من الناس نفوا ذلك عنه، وقالوا: إنها من شناعات الأعداء ألصقوها به ( . . . ) وقد روى عن الرشيد قوله: رحم الله الوليد ولعن يزيد الناقص فإنه قتل خليفة مجمعاً عليه<sup>(1)</sup>.

وقد ذكر ابن علانة الفقيه - فيما أورده ابن خلدون - أمام المهدي العباسي أن الوليد كان إذا حضرت الصلاة يطرح الثياب التي عليه ثم يتوضأ فيحسن الوضوء . . . ويشتغل بربه . . . وقد قال له المهدي بعد ما سمع منه: "بارك الله عليك يا ابن علانة وإنما كان الرجل محسوداً في خلاله ومزاحماً بكبار عشيرة بيته من بنى عمومته مع لهو كان يصاحبه أوجد لهم به السبيل على نفسه ( . . . ) فرموه بالفسق والكفر واستباحة نساء أبيه وخوفوا بنى أمية منه . . . وكان أشدهم عليه في ذلك يزيد بن الوليد لأنه كان يتنسك فكان الناس إلى قوله أميل"<sup>(2)</sup>.

ولم يعش الخليفة القاتل (يزيد) إلا خمسة أشهر بعد ولايته<sup>(3)</sup>، وبويع - بعده - أخوه إبراهيم بن الوليد بيعة ناقصة، إذ انتقض عليه الناس ولم يتم له الأمر، وكان يسلم عليه تارة بالخلافة وتارة بالإمارة، وأقام على ذلك نحواً من ثلاثة أشهر ثم خلعه مروان بن محمد<sup>(4)</sup>.

وهكذا بدأت مسيرة الدم داخل البيت الأموي، وفقدت الأمة إجلالها لهذا البيت المتآكل المتداعى . . . وكان عهد مروان بن محمد - مع عظم شخصيته - عهد اضطراب داخلي، ولم تعد للبيت الأموي قضية واحدة . . . بل صارت معظم المشكلات تدور داخله!!

---

(1) ابن خلدون: تاريخ 3/ 106.

(2) ابن خلدون: تاريخ 3/ 107.

(3) المرجع السابق

(4) المرجع السابق.



ومن مسيرة الدم التي تدفقت بين أعضاء البيت الأموي أن يزيد بن الوليد كان قد حبس ولدى الوليد الثاني المقتول، وهما الحكم وعثمان - فى سجون دمشق!!

ولما مات يزيد وولى إبراهيم لم يطلق الولدين...!! وقد أثار هذا العمل حفيظة مروان بن محمد، ورفض - لهذا - أن يبايع إبراهيم، مع أنه كان قد استكان وكاد يبايع يزيد بن الوليد...

وقد التقى الجيشان الأمويان بسيفهما سنة 126هـ، أحدهما أرسله الخليفة إبراهيم بقيادة سليمان بن هشام وفيه مائة وعشرون ألف جندي.. وثانيهما يقوده مروان وفيه ثمانون ألف جندي<sup>(1)</sup>.

وقد انتصر جيش مروان... ولكن دفع ولدا الوليد الثمن إذ قتلها أصحاب السلطة فى دمشق خوفاً من مطالبة أحدهما بالخلافة، إذ كان أبوهما الوليد قد عهد إليهما بالأمر من بعده!!

وكان هذا منعطفًا جديدًا لمزيد من الدم، فقد تحرك مروان إلى دمشق واستولى - بيسر - عليها، فقد كان إبراهيم قد خرج منها هو وسليمان بن هشام، وقد توسد مروان الأمور، وببيع خليفة، ونقل العاصمة إلى حران بالجزيرة... لكن هذا كان إساءة بالغة لأهل الشام.

وقد ساعد الخلاف بين القيسية واليمينية ونقمة أمراء بنى أمية على فريق أو آخر على إشاعة روح الفوضى والتمرد.. فثار أهل فلسطين، ثم حمص، وأهل الغوطة، وحوصرت طبرية، وثار تدمر<sup>(2)</sup>!!

---

(1) انظر: خليفة بن خياط ص 372، والطبرى: حوادث سنة 127هـ.

(2) انظر: خليفة بن خياط 374؛ والطبرى فى حوادث سنة 127، وانظر القاضى سعدى أبو

حبيب: مروان بن محمد ص 40 ح ونبه عاقل: مرجع سابق 361.



وقد نكص على عقبيه سليمان بن هشام الذى كان عدواً لدوداً لمروان، وكان مروان قد عفا عنه وأكرمه هو والخليفة المخلوع.. وقد جرت بين جيش مروان وجيش سليمان معركة قرب قنسرين هزم فيها سليمان وتبعتهم خيول مروان تقتلهم وتأسرهم وتتقم منهم لأنهم نقضوا البيعة<sup>(1)</sup>.

وقد بقى مروان ثلاث سنوات يقارع الخصوم والفتن من كل ناحية!! وكانت هذه هى الفرصة التى استطاع فيها بنو العباس أن ينضجوا دعوتهم!!

وعندما التقى مروان بعبد الله بن على العباسى فى معركة الزاب قرب الموصل سنة 132هـ كان معه أكثر من مائة ألف، وقيل: بل كان فى مائة وخمسين ألفاً.. وكان جيش العباسيين أقل من هذا بكثير.. فقيل: إنه كان عشرين ألفاً<sup>(2)</sup>... ومع ذلك هزم مروان الشجاع... لأنه فقد الروح، وفقدت القوة التى يدافع عنها قضيتها ووحدتها، وأصبحت عاجزة عن أن تبصر ما تحت الرماد وتستهلكها صراعات داخلية قاتلة!!

الحقيقة أن نتيجة معركة الزاب نتيجة غريبة...

- فمروان أفضل من عبد الله بن على خبرة ودربة.

- وجيشه أكبر وأكثر خبرة.

- وظروفه الخارجية أفضل كذلك؛ لأنه جيش ينتمى لدولة قائمة.

- ومع ذلك فإن كل ذلك يضيع...

- والسبب واضح... فإن القضية لم تعد قضية المعركة.. بل قضية الدولة

والعقيدة التى تقف وراء المعركة...

(1) خليفة بن خياط 403.

(2) القاضى سعدى: مرجع سابق، 130.



لقد كان بنو أمية قد انتهوا... كانوا - فى الحقيقة - قد انتحروا وهم كبار  
أقوياء...!!

وخلال السنوات السبع الأخيرة أجهزوا على بعضهم... وهزمت جيوش  
أموية جيوشاً أموية... وكل هذا كان من مظاهر الانتحار...

\*\*\*

لقد وقع بنو أمية فى خطأ حضارى كبير... وأقدموا على عمل خطير، لقد  
فشلوا فى إيجاد تيار حضارى بعد أن اتسعت رقعة الأرض التى يقفون فوقها...  
لقد كان بإمكانهم تحويل كل المناوئين إلى عاملين معهم... فى مجال نشر  
الإسلام والعربية والقضاء على الفرق والطوائف والشيع بالحوار والفكر، ونشر  
الإسلام الصحيح وترجمته إلى لغات البلاد المفتوحة... وتحقيق إسلام وتعريب  
كاملين لهذه الأرض الشاسعة التى فتحها الله عليهم... أى بإيجاز تحقيق التوازن  
بين الدولة والدعوة والأرض والعقيدة والسياسة والفكر...

وكانت هذه رسالة عظمى... لم يتقدم فيه الأمويون كما تقتضى طبيعة  
الظروف والتحديات... وكما تقتضى الاستجابة الملائمة للتحدى، وهذا هو الخطأ  
الحضارى الكبير...

وأما العمل الخطير الذى أقدم الأمويون عليه... فهو أنهم انتحروا عندما  
تعاونوا على قتل الأسرة الأموية، وتبادلوا مواقع الموت... وفى سبع سنوات  
كانوا قد أجهزوا على أنفسهم... وقضوا على أسرتهم التى حملوا رايتها.

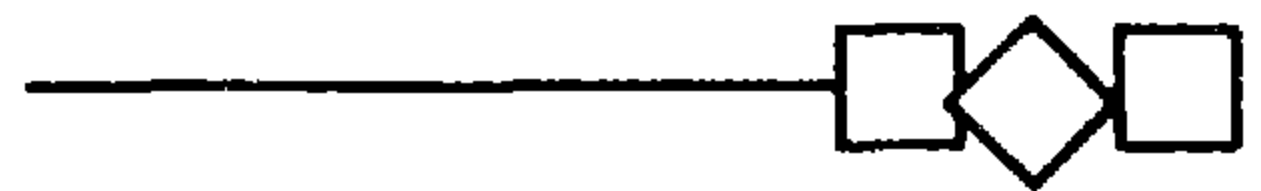
إنه لا أسباب حقيقية (أساسية) تذكر لسقوط بنى أمية... فكل الأسباب  
التي يجنح إليها الدارسون أسباب لا تكفى لسقوط هؤلاء العظماء... وهى  
أسباب تكاد توجد فى معظم الدول والحضارات... بل بعضها من السنن  
الاجتماعية... وكثير من الدول عاشت أضعاف ما عاشوا، وهى تحمل جرائم

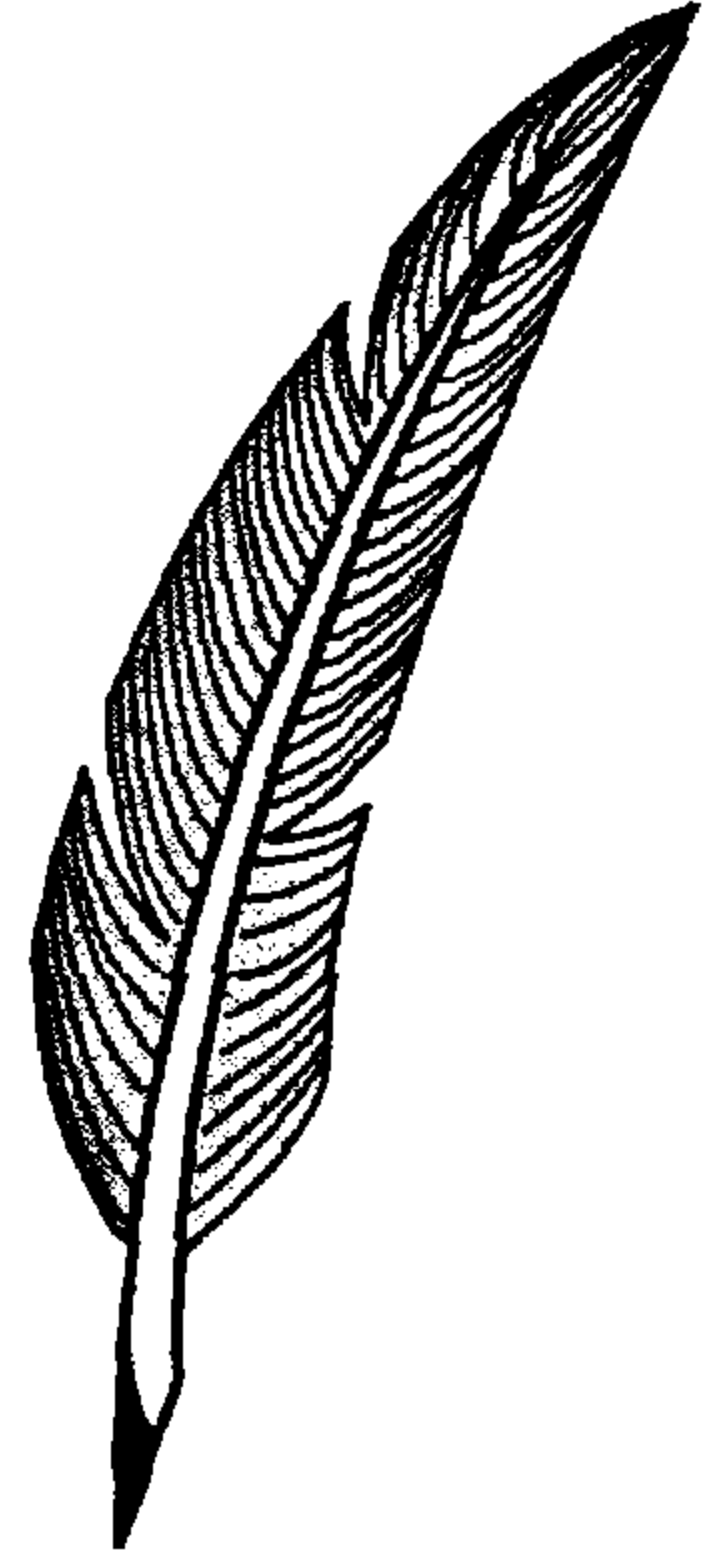




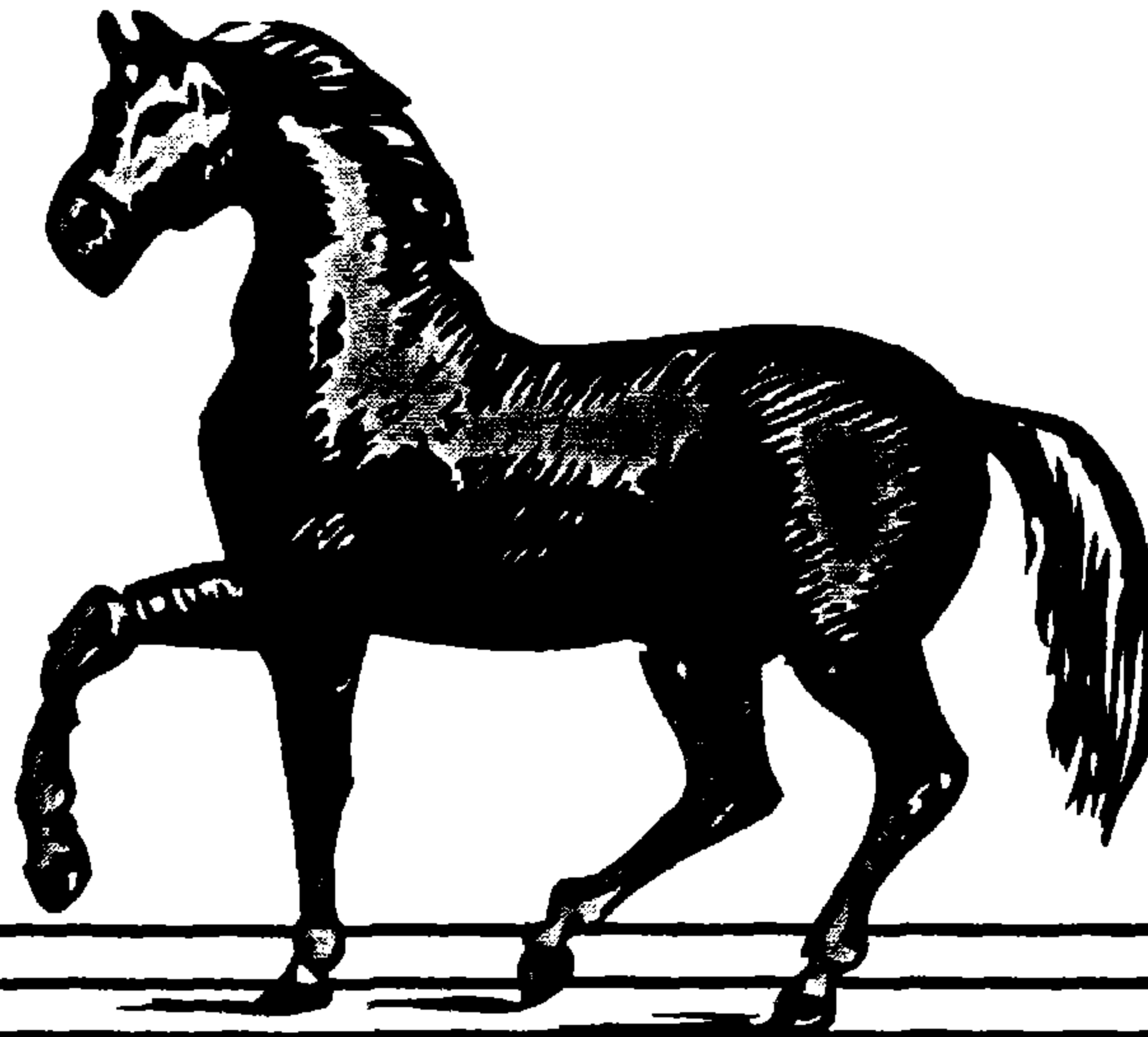
الفناء أكثر مما كانوا يحملون... ولهذا - وكما ناقشنا فى ثنايا البحث - يمكن أن  
تتداعى كل الأسباب التى تساق فى هذا الطريق...  
وليس هناك إلا هاتان الحقيقتان..  
حقيقة أنهم انهاروا داخلهم...  
وحقيقة أنهم لم ينبعثوا بتيار حضارى يتم تيار الفتوحات، ويكملة،  
ويمتص كل حركات الخروج والفتن...  
تلك هى سنة التاريخ الحضارى دائماً...  
إما أن تتقدم أو تموت...  
ولا سكون فى تاريخ الإنسانية!!

\*\*\*





**سياسة العباسيين  
في قمع الأمويين والتتكيل بهم**





قامت سياسة العباسيين تجاه بنى أمية الذين انهارت دولتهم وهى فى إبان قوتها وعنفوانها على أساسين:

أولهما: القضاء على كل نفوذ سياسى لهم بين شيعتهم وأنصارهم؛ حتى لا يفكروا فى استعادة سلطانهم، أو إحياء ملكهم الدارس، ولا يفكر هؤلاء الأنصار فى البحث عن أمير أموى يلتفون حوله، ويحملونه إلى كرسى الحكم.

وثانيهما: الانتقام الشخصى من بنى أمية لما فعلوه ببنى هاشم عامة والعلويين خاصة من قتل وسجن وتشريد.

وكلا الأساسين يقضى - كما يقول الدكتور محمد حلمى (رحمه الله) - بتعقب الأمويين أينما كانوا لاستئصال شأفتهم، واجتثاث فروعهم إن كان إلى ذلك من سبيل<sup>(1)</sup>.

ومن هنا قاد العباسيون فور قيام دولتهم مطاردة دموية شاملة ضد بنى أمية، يندر أن يقدم إلينا التاريخ الإسلامى مثيلاً لها فى بشاعتها وظلمها.

وفيما يلى نقدم نماذج من هذه المطاردة التى حفلت بأحداثها وتفصيلها مصادر التاريخ الإسلامى التى كتبت فى ظل الدولة العباسية نفسها:

1 - استهل العباسيون مسلسل الانتقام الدامى بقتل مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية؛ حيث تتبعه عبد الله بن على العباسى - المملوء حقداً على الأمويين - حتى لجأ مروان إلى مصر، فلحقته جيوش العباسيين عند قرية بوصير، فقتل مروان، وأرسلت رأسه إلى عبد الله بن على بالشام، فأرسلها عبد الله بدوره إلى أبى العباس السفاح الذى خرَّ ساجداً لله، ثم رفع رأسه قائلاً: "الحمد لله

---

(1) انظر د/ محمد حلمى محمد أحمد: الخلافة والدولة فى العصر العباسى، ص: 43، القاهرة (1982م).



الذى أظهرنى عليك وأظفرنى بك ولم يبق ثأرى قبلك، وقبل رهطك أعداء الدين"، ثم تمثل قائلاً: لو يشربون دمي لم يرو شاربهم ولا دماؤهم للغيب تروينى<sup>(1)</sup>.

2 - ومن ذلك - أيضاً - ما فعله أبو العباس السفاح بسليمان بن هشام بن عبد الملك الذى كان فى مجلسه مطمئناً إلى الأمان الذى بذله الخليفة له، فإذا بمولى لأبى العباس ينشده:

لا يغررك ما ترى من رجب ————— حال إن تحت الضلوع داءً دويًا

فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها أمويًا

فتحركت أحقاد أبى العباس السفاح ولم يبال بما أعطاه لسليمان من عهود الأمان، وأمر بقتله<sup>(2)</sup>.

3- تعقب عبد الله بن على العباسى أبناء البيت الأموى بالشام رجالاً وأطفالاً ونساءً فقتلهم أينما كانوا، ولم يفلت من القتل إلا نفر قليل هربوا إلى الأندلس، وإلا بعض الأطفال الرضع.

وقد أمر عبد الله بن على بقطع يدى أبان بن معاوية بن هشام ورجليه، ثم طيف به فى كور الشام ينادى على رأسه: "هذا أبان بن معاوية فارس بنى أمية"؛ حتى مات، وذبح العباسيون عبدة بنت هشام بن عبد الملك ذبحاً<sup>(3)</sup>.

4- وفى البصرة قتل سليمان بن على العباسى جماعة من بنى أمية وأمر بهم فسحلوا، كما قتل يحيى بن محمد العباسى أعداداً كبيراً من أهل الموصل<sup>(4)</sup>.

---

(1) انظر: الطبرى: تاريخه 432 / 7، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ 427 / 5.

(2) ابن الأثير: الكامل 429 / 5.

(3) د/ السيد عبد العزيز سالم: العصر العباسى الأول، ص: 101، 102.

(4) ابن الأثير: الكامل 444 / 5.



5 - وبعد أن تفرق بنو أمية فى الأفاق للنجاة بأرواحهم من بطش العباسيين بهم، تظاهر العباسيون بالأسف والندم على ما اقترفوه من آثام فى حق بنى أمية، وبسطوا أماناً لأمرء بنى أمية حتى يجمعوهم، ثم يضربوا رقابهم جميعاً، فيقتضوا عليهم بذلك دفعة واحدة، فخدع الأمويون بأمان العباسيين الكاذب، فتوجه منهم نحو ثمانين رجلاً إلى معسكر صالح بن على العباسى بالقرب من نهر أبى فطرس بفلسطين بعد أن ملوا حياة التشرد، وأضناهم الفرار من مطاردة العباسيين لهم.

فلما اكتمل بنو أمية أمر عبد الله بن على بهم فقتلوا، وكانوا فيمن قتل: محمد بن عبد الملك بن مروان، والغمد بن يزيد بن عبد الملك، وعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك، وسعيد بن عبد الملك، وغيرهم، فلما فرغ منهم قال:

بَنَى أُمِيَّةً قَدْ أَفْنَيْتُ جَمْعَكُمْ فَكَيْفَ لِي مِنْكُمْ بِالْأَوَّلِ الْمَاضِي  
يُطَيَّبُ النَّفْسَ أَنَّ النَّارَ تَجْمَعُكُمْ عَوْضْتُمْ مِنْ لَظَاهَا شَرًّا مُعْتَاضٍ  
مُنِيَّتُمْ لَا أَقَالَ اللَّهُ عَثْرَتَكُمْ بَلِيثَ غَابٍ إِلَى الْأَعْدَاءِ نَهَاضٍ  
إِنْ كَانَ غِيظِي لِفُوتِ مِنْكُمْ فَلَقَدْ مُنِيَّتْ مِنْكُمْ بِمَا رَبِّي بِهِ رَاضٍ (1)

5 - ومن حوادث الانتقام البشع الذى ينكره الإسلام، وتآباه الإنسانية ويرفضه الخلق النبيل؛ ما روى عن عبد الله بن على العباسى أن شبلى بن عبد الله مولى بنى هاشم دخل عليه وعنده نحو تسعين رجلاً من بنى أمية على الطعام، فقال شبلى:

أَصْبَحَ الْمَلِكُ ثَابِتَ الْأَسَاسِ بِالْبِهَالِيلِ مِنْ بَنَى الْعَبَّاسِ  
طَلَبُوا وَتَرَ هَاشِمَ فَشَفَوُهَا بَعْدَ مَيْلٍ مِنَ الزَّمَانِ وَيَاسِ  
لَا تُقِيلَنَّ عَبْدَ شَمْسٍ عِثَارًا وَاقْطَعَنَّ كُلَّ رَقْلَةٍ وَغِوَاسِ

(1) ابن الاثير: الكامل 5/430، 341، ابن الطقطقا: الفخرى فى الآداب السلطانية والدول

الإسلامية، ص: 152.



ذُلهَا أَظْهَرَ التُّودَدَ مِنْهَا وَبِهَا مِنْكُمْ كَحَرِّ الْمَوَاسِي  
وَلَقَدْ غَاظَنِي وَغَاظَ سَوَائِي قُرْبُهُمْ مِنْ نَمَارِقٍ وَكَرَاسِي  
أَنْزَلُوهَا بِحَيْثُ أَنْزَلَهَا اللَّهُ بَدَارِ الْهَيَّوَانِ وَالْإِنْعَاسِ  
وَاذْكُرُوا مَصْرِعَ الْحُسَيْنِ وَزَيْدًا وَقَتِيلًا بِجَانِبِ الْمَهْرَاسِ  
وَالْقَتِيلَ الَّذِي بَحْرَانٌ أَضْحَى ثَاوِيًا بَيْنَ غُرْبَةٍ وَتَنَاسِ

فأمر بهم عبد الله فضربوا بالعمد حتى قتلوا وبسط عليهم الأنطاع، فأكل  
الطعام عليها، وهو يسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعاً...!!!<sup>(1)</sup>.

6 - لم يكتف عبد الله بن علي العباسي بما اقترفه من آثام في حق بني أمية  
من الأحياء؛ بل أراد - بدافع الحقد الأسود والكراهية المظلمة - أن ينتقم من  
أمواتهم، فأمر بنش قبور بني أمية في دمشق، فنش قبر معاوية بن أبي سفيان،  
فلم يجدوا فيه إلا خيطاً مثل الهباء، ونُش قبر يزيد بن معاوية بن أبي سفيان  
فوجدوا فيه حطاماً كأنه الرماد، ونش قبر عبد الملك بن مروان فوجدوا جمجمته،  
وكان لا يوجد في القبر إلا العضو بعد العضو غير هشام بن عبد الملك فإنه وجد  
صحيحاً لم يبل منه إلا أرنبة أنفه، فضربه عبد الله بن علي بالسياط، وصلبه  
وحرقه وذرأه في الريح<sup>(2)</sup>!!

7 - وكذلك قتل داود بن علي العباسي من ظفر به منهم من بني أمية بمكة  
والمدينة. وروى أنه لما أراد قتلهم قال له عبد الله بن الحسن بن الحسن: يا أخي إذا  
قتلت هؤلاء فمن تباهى بملكه؟ أما يكفيك أن يروك غادياً ورائحاً فيما يذلهم  
ويسوءهم؟ فلم يقبل منه وقتلهم<sup>(3)</sup>.

(1) ابن الأثير: الكامل 5/430، ابن الطقطقا، الفخرى، ص: 151، 152.

(2) ابن الأثير: الكامل 5/430.

(3) السابق 5/448.



8 - وقد واصل العباسيون بعد خليفتهم الأول أبى العباس السفاح سياستهم الانتقامية مع الأمويين حتى فى عهد المأمون نفسه الذى أمر سنة (212هـ) بلعن معاوية على منابر بغداد، وأعد الكتب إلى الحواضر الإسلامية يأمر عماله فيها بذلك، فأعظم الناس ذلك وأكبروه، واضطربت العامة فأشير عليه بترك ذلك، فأعرض عن ذلك<sup>(1)</sup>.

وقد أنكر الفقهاء المعاصرون لقيام الدولة العباسية ما حل بالأمويين على أيدي العباسيين من قتل وتنكيل وتشريد، ولم ترهبهم قسوة العباسيين وشدة بطشهم، فهذا عبد الرحمن الأوزاعي فقيه أهل الشام ومحدثهم وعالمهم الكبير يسأله عبد الله بن على العباسى ذلك السفاح الهمجى: ما تقول فى دماء بنى أمية؟ فأجابه الأوزاعي: لقد كان بينك وبينهم عهد، وكان ينبغى أن تفوا بها، ثم أعلن حكم الشرع فى دماء بنى أمية التى سفكها العباسيون ظلماً وعدواناً فقال: دماؤهم عليكم حرام. فغضب عبد الله بن على، وانتفخت أوداجه، واحمرت عيناه قائلاً للأوزاعي: ويحك ولم؟ فقال الأوزاعي: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: ثيب زان، ونفس بنفس، وتارك لدينه». فقال عبد الله: ويحك أو ليس الأمر لنا ديانة؟ فقال الأوزاعي: كيف ذاك؟ فقال عبد الله: أليس كان رسول الله ﷺ أوصى لعلى؟ فقال الأوزاعي: لو أوصى له ما حكم الحكيمين، فسكت عبد الله وأفحمه منطق الأوزاعي<sup>(2)</sup>.

\*\*\*

(1) د/ السيد عبد العزيز سالم: العصر العباسى الأول، ص: 102.

(2) الذهبى: تذكرة الحفاظ 1/181، نقلاً عن د/ فهمى عبد الجليل: العصر العباسى الأول، منهج جديد وتقويم موضوعى، ص: 267، 268، مكتبة النصر، ط/ الثانية (1996م).





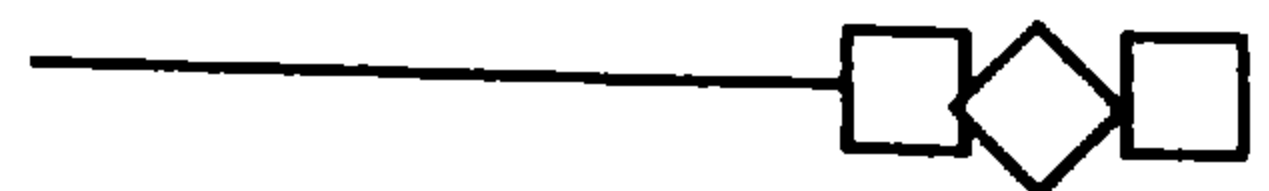
## الخلفاء الأمويون في المشرق

- 1 - معاوية بن أبي سفيان 41 - 60 هـ
- 2 - يزيد بن معاوية 60 - 64 هـ
- 3 - معاوية بن يزيد 64 - 64 هـ
- 4 - مروان بن الحكم 64 - 65 هـ
- 5 - عبد الملك بن مروان 65 - 86 هـ
- 6 - الوليد بن عبد الملك 86 - 96 هـ
- 7 - سليمان بن عبد الملك 96 - 99 هـ
- 8 - عمر بن عبد العزيز 99 - 101 هـ
- 9 - يزيد بن عبد الملك 101 - 105 هـ
- 10 - هشام بن عبد الملك 105 - 125 هـ
- 11 - الوليد بن يزيد بن عبد الملك 125 - 126 هـ
- 12 - يزيد بن الوليد بن عبد الملك 126 - 126 هـ
- 13 - إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك 126 - 127 هـ
- 14 - مروان بن محمد بن مروان 127 - 132 هـ



## محتويات الكتاب

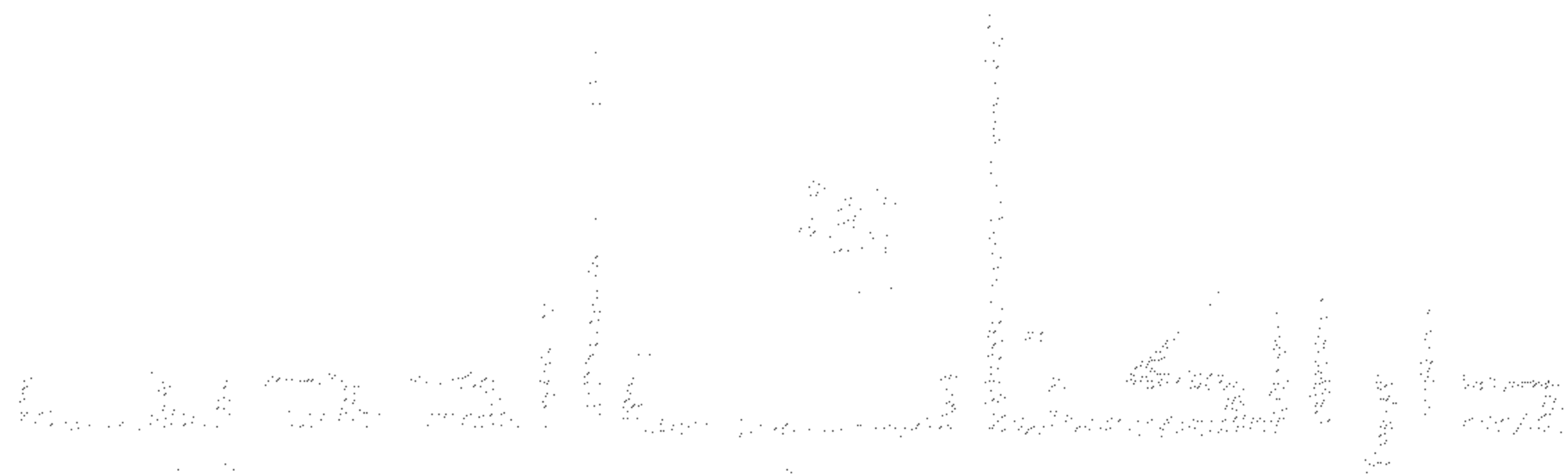
الصفحة	الموضوع
5	بنو أمية والكتابات المتحيزة
13	بنو أمية والأحكام العاطفية
19	بنو أمية والمصادر المحايدة
25	بنو أمية سيرة شخصية
37	معاوية فى الميزان الصحيح
45	معاوية ويزيد والملك العضوض
57	أسس استخلاف معاوية لابنه يزيد
65	المغيرة بن شعبة
75	الوليد بن يزيد المقترى عليه
89	يزيد بن الوليد
99	بنو أمية: تقويم تاريخى
113	من المنجزات الحضارية فى عهد بنى أمية
115	1 - معاوية بن أبى سفيان
118	2 - يزيد بن معاوية
119	3 - مروان بن الحكم
121	4- عبد الملك بن مروان
128	5 - الوليد بن عبد الملك



133	6- سليمان بن عبد الملك
135	7 - عمر بن عبد العزيز
141	8 - هشام بن عبد الملك
143	الرقى الفنى والتنظيمى فى العصر الأموى
151	الفنون الصناعية والقيم الجماعية الإسلامية فى العصر الأموى
157	الأمويون: دولة الفتوحات
167	المجتمع الإسلامى فى خلافة الأمويين
175	أسباب سقوط بنى أمية
191	سياسة العباسيين فى قمع الأمويين والتكثير بهم
198	الخلفاء الأمويون فى المشرق
199	الفهرس







1980 1985 1990 1995 2000

Number of people

Year

60 65 70 75 100

0 100 million

The graph illustrates the growth of the workforce over a 20-year period. The number of people in the workforce increases from approximately 60 million in 1980 to about 100 million in 2000. The growth is steady, with a slight increase in the rate of growth in the late 1990s. The data points are as follows:

Year	Number of people (million)
1980	60
1985	65
1990	70
1995	75
2000	100

Blank header area with faint horizontal lines.



Main body of the document containing dense, illegible text. The text appears to be a series of paragraphs, possibly a report or a document, but the characters are too small and blurry to read accurately. The text is organized into several distinct sections, likely separated by headings or sub-sections, though the specific content is unreadable.



Bibliotheca Alexandrina



0946775



# بنو أمية في التاريخ

بين الضربات الخارجية والانهيار الداخلي  
[دراسة حول سقوط دولة بنو أمية في المشرق]